الجزء الثالث — المجلد السابع والثلاثون





ذو الحجة ١٤٠٦ هـ

أيلول ١٩٨٦ م



مجلة المجمع العلمي العراقي



ذو الحجة ١٤٠٦ هـ

ايلـــول ١٩٨٦ م



خصص مجلس المجمع العلمي العراقي هذا العام عدة جلسات تحدث فيها رئيس المجمـع وعدد من الاعضاء عن البحث العلمي وما يتصل به من متطلبات ووسائل ، وموقع اللغة العربية من التأليف في العلوم ، وكان يتلو كل بحث مناقشات وتعليقات مغنية يشارك فيها الاعضاء •

ويضم هذا العدد من مجلة المجمع الابحاث التي القيت في تلك الجلسات آثرنا نشـرها ليتسع مجال الانتفاع بها ومن الله التوفيق •



مُتطلّبات البحث العلمي

الدكتور صالح احمد العلي

رئيس المجمع العلمي العراقي

نطاق البحث العـلمي :

ينحصر الكلام في هذا البحث حول البحث العلمي المؤدي الى الابداع والاضافة أو تعديل الآراء ، وبصورة خاصة في العلوم الانسانية ، ولا يمتد الى كافة جوانب مواضيع الثقافة العامة التي تقوم على تعميم معلومـات وافكار تم اقرارها ، ونشرها في نطاق واسع •

يهدف البحث العلمي كشف الحقائق وانماء المعلومات واغناء الفـكر بما يضيفه من معلومات • أو بما يجريه من تعديل أو توجيه للافكار بصرف النظر عن مدى انتشارها وتعميمها ، وبذلك يقدم مادة للثقافة العامة ، ولكنه لا يقتصر عليها ، ولا يركز على نشرها •

وكلمة « العـلم » تطلق مجازاً على الابحـاث التي تتبع في القيـام بها الطرق المثبتة عبر التجارب والمختبرات في أي ميدان من ميادين المعرفة ؛ فهو لا يدخل في نطاقه الافكار الابداعية المستمدة من الالهام والتأمل كنظم الشعر ، أو انتاج الفنون التصويرية من رسم ونقش ونحت ، كما انه لا يدخل في نطاقه الافكار التأملية العامة التي تعبر عن الخواطر والآراء وتقوم على تقدير الحقائق ووضعها ضمن نطاق عام شامل ، مما ينتج ما نسميه الفلسفة

ولا نريد في هذا الانتقاص من أهمية الفلسفة والافكار الشخصية التي تسعى الى تقدير قيمة الحقائق ، وادراك العلاقات ونظمها في نطاق عام ولهـا نتائج مقبولة وتأثير في الافكار أو الى ما تقدمه من دوافع في توجيه الابحـاث ؛ اذ لاريب في أن في التأمل والفلسفة كثيراً من الحقائق الصائبة ، غير ان اعتمادها على التفكير النظري الشخصي يخرجها عن نطاق البحث العلمي الذي يتميز باتباعه طرقاً خاصة في البحث ، علماً بأنه لا يحتكر كشف الحقائق ولا يغفل مكانة البحث التأملي فيما يعرضه من حقائق أو ما يسهم به في تقدير أهمية الابحاث وتوجيهها .

وثمار البحث العلمي لن تكون كلها ذات قيم ثابتة ، فالمثل الاعلى لكل بحث وتفكير هو أن يصل الى الحقائق الثابتة في الجزئيات والقواعد ، وان كثيراً ممـا تم انجـازه يثبت بعض هـذه الحقـائق ، ولكنـه لم يصـل الى حد الكمال في دقته وشموله ، ويتجلى قصوره في الوصول الى الدقة في التطورات الحادثة في كل علم ، واما نقصه في الشمول فيتجلى في تتابـع ظهور النظريات المتناقضة أحياناً في التصوير الكلي للمسيرة الفكرية .

فكل تصور عام مهما كان عدد معتنقيه ومؤيديه ، ومهما كانت قـوة تمسكهم وارتفاع أصواتهم ، فانه عرضة لافكار مقابلة قد تعدّله أو تنقضه أو تقدم عنه صورة مختلفة ، فالعلم في هذا المفهوم لا ينحصر في الحقائق المطلقة التي يجب أن يؤمن بها البشر ، وانما يركز على ما تشـير الادلة المتـوفرة لدينا الى ثبوت صحتها ، مع الايمان باحتمال ظهور خطئها أو عدم دقتها في المستقبل .

ان بُعد المعلومات العلمية عن الحقيقة الازلية عام ولكنه اظهر في الدراسات المتعلقة بالانسان وتصرفاته وعلاقاته بالآخرين ، وهي دراسات بالرغم من كثرة الباحثين فيها وخاصة في الازمنة المعاصرة ، والتوسـع الكبير في طرقهـا

وأساليبها والاجهزة التي تستعين باستخدامها للوصول الى الحقائق الثابتة ، فانها لاتزال في أول الطريق ، وأمامها ما يتطلب جهوداً مضاعفة للوصول الى ما وصلته الدراسات في العلوم الرياضية والطبيعية التي لما تصل حد الكمال •

طرق البحث في العلوم الطبيعية والعلوم الانسانية :

وميدان البحث العلمي نطاقه واسع ، وجوانبه متعددة بتعدد ميادين العلم ، ويتبع هذا التعدد تنوع أساليب البحث التي يتبعها للوصول الى الحقائق ، فالبحث في المواضيع التي تدرس المواد الجامدة كالفيزياء والكيمياء تختلف عن البحث في الكائنات الحية ، وخاصة ما نسميها العلوم الانسانية من علم نفس وتربية وانثروبولوجيا واجتماع واقتصاد وسياسة وتاريخ ، اذ ان مادة البحث في الدراسات الانسانية تؤثر في الاستجابة الى التجارب ، وقد لا تسمح بها وخاصة اذا خرجت عن حدود الحفاظ على الحياة ، ففي الكيمياء مثلاً نستطيع اجراء تجارب على تأثير الحرارة الى أقصى مدى ، والى تحويل الجماد الى بخار أو بالعكس ، وفي الفيزياء نستطيع ان نحرك الاجسام كما نشاء أو ندفع بها الى أبعد ما نستطيع من مسافات في أعالي الفضاء أو في أغوار الارض وأعماق البحار ، دون أن نقلق على مصير المادة التي تتعامل معها ، أما عند التعامل مع الانسان فنحن مقيدون بالعمل ضمن النطاق الذي لا يتلفه ولا يحدث فيه أضراراً دائمة ، مما لا يسمح به الشخص الذي تجري عليه الدراسات ولا النظم المرعية ولا تقره المعايير الاخلاقية المعتبرة ، كما ان التجارب الواسعة بنطاق الامة في الامور السياسية أو الاقتصادية أو الاجتماعية غير مقبولة في الاحوال السلمية الاعتيادية • فهل تسمح انكلترة مثلاً باجراء تجارب لتغيير نظام الملكية ، أو روسيا السوفياتية بايقاف تطبيق النظام الاشتراكي ، أو الولايات المتحدة بالعزوف ولو مؤقتاً عن النظام الرأسمالي مثلاً •

ثم ان العلاقات الانسانية معقدة ومتشابكة بدرجات تفوق كثيراً تعقد وتشابك العلاقات بين المواد الجامدة ، وكل هذا يزيد من التباين بين ميادين معرفة الانسان ومعرفة الجماد •

ان التطبيق الحرفي لاساليب البحث المتبعة في دراسة الميادين الطبيعية على الميادين الانسانية لا يؤدي الى نفس الدقة في النتائج ، وهذا لا يعني وجوب رفض الميادين الانسانية أساليب بحث الميادين الطبيعية ، اذ ان في الاساليب الاخيرة مزايا وخصائص لا يصح تجاهلها أو رفضها كلياً ، وانما يجب ان نضع نصب أعيننا حدودها وان نعمل على اتباع أساليب تلائم الدراسات الانسانية وتؤمن الوصول الى أحسن النتائج •

وازاء التنوع الكبير في أساليب البحث وأدواته يمكن القول بصورة عامة ان العلوم الطبيعية في ابحاثها للوصول الى الحقائق أشد حاجة الى المختبرات والاجهزة التي تزيد من كفاءة الحواس ، أما العلوم الانسانية فمهما كانت حاجتها الى هذه المختبرات والاجهزة والى أهمية الاحصاءات في دراستها ، فانها أكثر حاجة الى القراءة والامعان في المكتوب من مخطوط أو مطبوع ، فللمكتوب أهمية ودور في البحث في العلوم الانسانية أكبر من أهميته ودوره في العلوم الطبيعية ، ومن هنا تكون المختبرات أساسية للاخيره ، بينما تكون المكتبات أساسية للبحث في العلوم الانسانية •

وفي كلتا الحالتين لا يتقيد البحث بالمكان ، وانما يرتبط حيثما تتوفر وسائله ، فحيثما توفرت المختبرات تيسر البحث في العلوم الطبيعية ، وحيثما توفرت الكتب تيسر البحث في العلوم الانسانية ، ولنا من الماضي والحاضر شواهد غير قليلة ، فاما في الماضي فنجد مصداقه في العدد الكبير من علماء العرب والمسلمين الذين عاشوا في قرى صغيرة واماكن منعزلة ، وفي الحاضر لنا مثل من شوايزر الفيلسوف الفرنسي الذي انتج روائع الافكار في

مستشفاه في أواسط أفريقية . ان كلتا الدراستين مكلفة ، ولكنها في العلوم الطبيعية اكثر كلفة بسبب تطور الاجهزة المستعملة والحاجة الى استعمال احدثها ، واما في العلوم الانسانية فان الكتب قد تبدأ بكلفة عالية ، ولكنها تتناقص لانها تبقى أساساً ثابتاً لا يتغير . فأدوات البحث في العلوم الانسانية تراكمية ، أما في العلوم الطبيعية فهي أكثر عرضة للتبدل ، وهذا يجعلها في المدى البعيد أكثر كلفة .

والباحث في العلوم الانسانية أحوج الى الاتصال بالناس ومتابعة الحياة اليومية لا لانها توسع من معرفته وآفاقه فحسب ، بل لان الحاضر معرض غني للانسانية ، ومسرح تجارب لها ، لا مندوحة للباحث من متابعته ، في حين ان بامكان الباحث في العلوم الطبيعية أن يحصر نفسه في مختبره وبرجه العاجي .

ومقومات البحث العلمي أربعة هي موضوع البحث ، وشخص الباحث ، وتيسر مستلزمات البحث ، الكتابة للنشر ، ولكل من هذه العناصر الاربعة أحوال وأوضاع متميزة ، رغم تداخلها ، وسأتبعها في تنظيم كلامي .

الاصالة والابداع :

الاصالة والابداع هما أوج ما يصبو العمل الفكري للوصول اليه ، وتقدر قيمة أي عمل تبعاً لمدى اصالته وتوفر الابداع فيه ، والاصالة تقديم صور فكرية جديدة من مواد أولية معروفة ، فأساسها الجدة مقبولة عقلياً وذوقياً ، فليس كل جديد أصيلاً ، وانما الاصالة تشترط أيضاً الانسجام مع الاسس العقلية والمنطقية المقبولة .

والاصالة تتطلب معرفة مسبقة بما تم انجازه في ميدان المعرفة الذي يراد تقديم الاصالة فيه . وهذه المعرفة تشمل الحقائق وتنظيمها ووضعها في

هيكل يظهر مكانتها واهميتها • فالاصالة في اساسها تقوم على ما هو معروف، وللهيكل الثقافي مكانة لا يستغنى عنها في الابداع والاصالة ، ولعل من اهم الاسس المسبقة فيها هي اللغة والحقائق الاولية ، فمهما كان عمق الافكار وشمولها فلابد لها من معرفة سليمة للغة المفهومة عند الناس • وقد يضع مبدع لكلمة او تعبير مفهوماً جديداً يتناسب مع الافق والميدان الذي يبحثه ، غير ان هذا المفهوم يجب ان يكون واضحاً ومقبولاً وله صلة بالمفاهيم السابقة المعروفة ، سواء كان استعارة أو كناية أو مجازاً •

ومثل هذا يسري على دراسة التاريخ ، فان الاصالة لا تكون بقلب الحقائق الثابتة وتبديلها ، وانما تكون بالتسليم بالحقائق الاولية ، ثم تدقيقها وضبطها واعادة تقدير اهميتها ووضعها ضمن نطاق وهيكل عام جديد •

وشرط الاصالة الاتيان بالجديد الذي لم يسبق اليه ، فالاقتباس ينفي الاصالة ، غير انه يجب ان نميز بين الاقتباس وتوارد الخواطر ، اذ كثيراً ما تستجد أفكار ابداعية عند اثنين او اكثر وفي وقت واحد احياناً دون ان تكون بينهما صلة مادية • والتمييز بين الاقتباس وتوارد الخواطر يتوقف على الثقة في امانة المبدع في ادعائه الابداع •

والاصالة مثل أعلى للبحث العلمي ، وعلى مدى توفرها يتوقف الحكم على قيمة أي عمل ، غير ان كونها مثلاً أعلى يجعلها هدفاً لا يمنع عدم الوصول اليه من العمل على تحقيق درجات منه ، فالكمال لله وحده ، وأي بحث انما هو اجتهاد يحكم في تقدير قيمته على مدى اضافته لما سبق ، ومدى اقترابه من المثل الاعلى دون الاصرار على وجوب الوصول الى الكمال •

تشمل الاصالة اختيار موضوع البحث والمادة التي تجمع عنه وعرضها بالشكل الذي يظهر جدتها وييسر الافادة منها ، فاختيار الموضوع هو المرحلة

الاولى التي يتم الانطلاق منها للوصول الى الجـدة والاصالة . والبحث لا يبدأ من فراغ ، اذ لابد من أن يبدأ من فكرة يراها الباحث جديرة بالبحث ويتخذها منطلقاً للبحث ، الذي تتضح معالمه وحدوده خلال التقدم والتوغل فيه ، فقد يقوده هذا التوغل الى اظهار جوانب مهمة لم يكن يدركها عند ابتدائه في البحث ، أو قد يتبين له عدم أهمية بعض ما كان يتصوره مهماً عند بـدء البحث . فاختيار الموضوع ووضع خطة عامة مسبقة لهيكله ونطاقه هما مجرد دليل عام مرن لمجرى البحث ، وليس بقيد صارم له .

تحـديد العنـوان :

ولما كان عنوان البحث ينبغي ان يعبر بدقة عن نطاق البحث ، فانه لا يمكن ان يتقرر الا بعد اكمال وضع اسس البحث والخطوط العامة لهيكله ، أي انه يكون تاليا للبحث وليس سابقا له ، غير ان العنوان ينبغي مع دقته ، أن يكون مقتضباً ومعبِّراً .

ان أهمية العنوان لا تحجب الحقيقة المسلّم بها وهي ان قيمة البحث تقوم بالدرجة الاولى على المادة التي فيه من حيث حقائقها وترابطها واسلوب عرضها . فمادة البحث هي الاساس ، والموضوع انما هو دليل على المـادة التي يحتويها البحث ، وتشابه العناوين قد يدل على التطابق وخاصة في نشر المخطوطات وفي الترجمة ، ولكنه ليس دائما دليلاً على التطابق ، فقد يتشابه العنوان في بحثين ، ولكن محتواهما متباين جداً ، والامثلة على هذا كثيرة من مختلف المواضيع التي يختار لها عنوان « جامع مانع » مثل عنوان « المذكر والمؤنث » أو « التثنية والجمع » في علوم اللغة العربية ، ومثل « تاريخ » أية حقبة او شخص او اقليم في التاريخ ، او دراسة أية منطقة في الجغرافية مثلاً ، فتشابه العناوين لا يستلزم دائماً تشابه مادة الابحاث ، ولا يصح أن يتخذ دليلاً على « الاقتباس » أو « السرقات الفكرية » .

معيار الاهمية في البحث :

ان اختيار مواضيع البحث هو عمل طوعي يتم على اساس مايراه الباحث مهماً ويرغب في متابعة البحث فيه لاستجلاء غوامضه وتوضيح معالمه ، فهو يتوقف على الباحث بالدرجة الاولى، ولا يؤثر في ذلك احتمال قبوله مقترحات خارجية عنه ، لان هذه المقترحات لا يكون لها اثر الا اذا وافق الباحث على القيام ببحثها ، فهو المسؤول الاول عنها ، وفي اختياره للموضوع دلالة على توجهه الفكري .

واذا كانت أهمية البحث تتوقف على ما فيه من عمق وشمول وجدة ، فان أهمية « الموضوع » تتباين تبعاً للجهة التي يسهم في توضيحها ، وهي قد تكون مما يشغل الناس من قضايا آنية معاصرة ، أو قد تكون ممّا له أهمية في مجرى الفكر بعيداً عما ينشغل به الناس ، وتظهر أهمية هذا عندما يمر المجتمع بمرحلة من التطور السريع الحاسم ، وتعرض له قضايا ومشاكل قد تمس مصيره ومستقبله ، فتكون لمثل هذه الابحاث اهمية في توضيح كيان الامة وبنائها وتقرير مستقبلها ، والغالب ان مثل هذه الابحاث تلقى اهتماما من الناس واقبالاً واسعاً عليها ، وهذا يجعلها موضع تشجيع من الجهات الحكومية التي كثيراً ما تغدق عليها الهبات لما تتوقعه من مردود نافع في الاعمار والبناء . وتقدير الناس لمثل هذه الابحاث ورواجها بينهم ، والكسب المعنوي والمادي الذي توفره يدفع الكثيرين الى التوجه للاسهام فيه .

غير انه يجب أن نتذكر ان لكل عصر مشاكله ولكل زمان قضايا تشغل الناس ، والغالب ان هذه المشاكل والقضايا هي مرحلية ومؤقتة ، وتتبدل بتبدل الزمان ، الأمر الذي يجعل لمثل هذه الابحاث ، مهما كانت شعبيتها واثارها ، قيمة محددة بالزمان والمكان ، فهي تسد حاجات مؤقتة لمجتمع محدود ، وتضعف اهميتها بتبدل الاحوال على مر الازمان . ومن الطبيعي ان

درجة اهمية هذه المواضيع تتناسب مع مدى استجابتها لتطلعات العدد الأكبر من المجتمع ، وعلى أهمية القضايا التي تعالجها ومدى سعة وعمق الترضيحات التي تقدمها •

غير ان في ميادين البحث مواضيع لها أهمية « عالمية » وليست محلية ، فهي قد توضح مجرى الفكر في الماضي . وفي مجتمعات غير التي يعيش فيها الباحث ، وبذلك تكون معزولة عن المجتمع الذي تكتب فيه ، ويكون الباحثون فيها من أهل « البرج العاجي » الذي قد يلقون تقديرا من مجتمعهم ، ولكنهم لا يلقون تشجيعاً واسعاً أو دعماً مادياً • والامثلة على هذا في الغرب كثيرة . منها الباحثون في علم الآثار وتتبع دراسة نشأة وتطور الانسان وخاصة في الازمنة السحيقة وفي المناطق النائية عن مكان اقامة الباحث ، ويمكن أن نضع في هذا الصنف الابحاث التي يقوم فيها الباحثون في بلد ما عن أحوال بلد آخر ليست له صلات سياسية أو ثقافية مع بلده ، فأبحاث كرستنسن الدانماركي عن تاريخ الساسانيين ، والدراسات الاسلامية التي يقوم بها السويديون في جامعة ابسالا ، والحفائر الآثارية التي يقوم بها اليابانيون في العراق لا يمكن ان تنسب الى النفع المادي الذي تجلبه للباحث أو لامته ، وهي تجعله يعيش في « برجه العاجي » ، ولكنها ذات أهمية بالغة لمجتمعات اخرى او لمجرى الفكر العالمي ، وهي تكسب البحث خلوداً اعمق ، وتزيد من مكانة الامة التي تجري فيها هذه الابحاث « الغريبة » عنها ، وعلى المؤسسات الاكاديمية الا تهمل مثل هذه الابحاث . وان تضع على نفسها المسؤولية الكبرى في رعايتها وانمائها ، بجانب الدراسات التي تعكس اهتمامات المجتمع •

الباحث واهمية دافعه الذاتي :

للباحث دور أساسي في البحث . فهو الذي يختار الموضوع ويجمع

أجزاءه ، ويرتب مادته ، وينظم عرضه ، وبدون الباحث لا يمكن أن يقوم أي بحث ، ولذلك يجدر عند دراسة اعداد البحوث ، أن نخص الباحث بنصيب يتناسب مع دوره وأثره في البحث ، وهذا يتطلب التطرق الى الامور المؤثرة في تكوينه ، من توفر الاهتمام والولع ، والقابلية ، والتدريب ، وتيسير الجو الملائم لقيامه بالعمل •

ان البحث في أساسه هواية منبعثة من رغبة ذاتية باطنية عند الباحث بصرف النظر عن المغريات المـادية أو نتائج البحث أو التشجيع ، فالتشجيع ينمي ولا يخلق الاهتمام ، والمغريات المادية تقدّم العمل ولا تبدأه ، وبدون الاهتمام لا يتم البحث ، والدافع الذاتي الذي يدفع الفرد للبحث في الميدان الذي يرغب فيه ، وللموضوع الذي يختاره تأثير فعـال في الجهـد الذي يبذله الباحث ، والمثابرة التي يتابعها للقيام بـه ، والوقت الذي يكرسـه لانجازه •

والقوة الباطنية الدافعة للعمل عميقة في النفس ، تتصل باتباع غريزة حب الاستطلاع ، والتأكيد على الذات ، والتعبير عن الاسهام في تقدم الامة والانسانية ، فضلاً عما قد يؤمله الباحثون من المنافع المعنوية والماديـة ، والاهتمام عامل في تثبيت مكانة الفرد في المجتمع ، وازدياد الباحثين من مظاهر تقدم حضارة الامة ، ولاريب في ان من أبرز الأسس في تقدير العرب ابان ازدهار حضارتهم هو العدد الكبير ممن أسهموا منهم في دراسة الفكر وانماء الحركة الفكرية بما بذلوه من جهود ، وما أنتجوه من أبحاث ، قاموا بها من أجل كشف الحقيقة ، وبدوافع ذاتية ومن دون اغراءات مادية ، فكانت دخـول معظمهم قليلة ، ومجالات ربحهم محدودة ، ولكنهم رضوا بذلك ، وانصرفوا عن الاهتمام بتوفير المادة والترف ، من أجل تحقيق ما تصبو اليه نفوسهم من البحث والاهتمام به •

فالاهتمام والرغبة الذاتية أساسية ، وكلما ازدادت قوتها ودام اندفاعها كانت أقوى أثراً ؛ ولا ريب في ان أثر الاهتمام والولع يزداد وترتفع مكانته اذا اتسع نطاقه ، واستوعب ميدانه ، وحقق أكبر قسط مما يصبو اليـه ، غير ان عدم تحقيقه ذلك لا يسقط دوره ولا ينفي أهميته .

والرغبة في البحث تبدأ من مشاكل أو قضايا يدركها الباحث ويفـكر فيها ويسعى الى فهمها وتوضيحها ، وقد يتطلب ذلك وقتاً غير قصير ، وقـد يقوده التفكير الى نتائج سلبية ، أو يفتح له آفاقاً جديدة ، وبذلك يعمق علمه ويتسع ويتجدد ، على ان استمراره في البحث يتطلب توفر الحرية له ، ويقتضي منه أن يسمع آراء الاخرين في بحثه ، فالحرية التي يطلبها يجب ان تمتد الى رحابة صدره في سماع آراء الآخرين ، ومن هنا يقتضي على الباحث الا يعزل نفسه ، وأن يعرض على الناس ثمار اهتمامه ، لان العزلة كثيراً ما تؤدي الى ضيق الافق والجمود ووقوف النمو .

العمـل الجماعي في الدراسات الانسانية :

مهما كانت القوة الدافعة للفرد كبيرة ، واهتمامه واسعاً ، وطاقته عظيمة ، فان انجازه لابد أن يكون محدوداً وكثيراً ما تقتضي معالجـة ذلك بعمـل جماعي يشترك في القيام به أكثر من شخص واحد ، ومثل هذا العمل الجماعي قد يطبق في ميادين كثيرة ، سواء في ميدان التأليف أو الترجمة أو النشر ، ونجده اليوم أكثر شيوعاً في ميدان نشر المخطوطات وخاصة في الاحـوال التاليـة :

أ ــ الكتب الضخمة والكبيرة التي يصعب على فرد واحد النهوض بانجازها كاملة على وجه مرضي بمدة قصيرة مثل كتاب الاغاني لأبي الفرج الاصبهاني ، والمغني لابن قدامة .

ب ــ الكتب التي يضم كل منها موضوعات متعددة مثل كتاب مسالك الابصار ، أو التي فيها تراجم رجال منوعي الثقافة •

ج ــ الكتب التي يبحث كل منها مدداً زمنية طويلة لكل مدة خصائص وميزات مثل كتاب تاريخ الطبري •

لا يقتصر العمل الجماعي على نشر المخطوطات ، وانما يسري على الترجمة والتأليف •

فأما في الترجمة فان الكتب ذات الموضوع الواحد ، وخاصة التى ألفها شخص واحد ، قد تقتضي سرعة العمل في انجازها ، وخاصة اذا كانت كبيرة الحجم ، الى توزيعه على أكثر من شخص واحد يقوم كل منهم بترجمة قسم محدد ، وتتطلب الدقة والامانة اشراك من يدقق في الترجمة ، ومن يدقق في الصياغة اللغوية ، وقد يجتمع العملان في شخص واحد أو قد يوزع على أكثر من شخص تبعاً لضخامة العمل وتوفر الامكانيات ، وقد يكون القائمون على تدقيق الترجمة والصياغة هم نفس المشاركين في الترجمة ، ولكن يبقى عملهم في ذلك متميزاً ، وتقضي الامانة بذكر أسماء القائمين بالتدقيق في الترجمة أو في الاسلوب ، وقد تذكر الاسماء على غلاف المطبوع أو في مقدمته ، ومن الواضح ان عمل المدقق يكون محدداً عندما يكون المترجم متمكناً من عمله ، غير انه لا يمكن ذكر مقدار اسهام كل منهم في العمل ، رغم ما قد يثيره هذا الاغفال في الذكر من مجال المبالغة في حدس دوره •

أما في التأليف فقد يقوم كل مؤلف بكتابة جزء محدد من الكتاب ، أو قد تخلط معلوماتهم في كل فصل ، وخاصة اذا اعتمدوا فيها على مصادر واحدة محددة ، وأكثر ما يجري هذا في المؤلفات « الرسمية » والكتب المنهجية ، حيث توضع أسماء المؤلفين جميعاً على الغلاف ، غير انه في أحيان اخرى يكتب اسم كاتب كل فصل بازاء الفصل الذي كتبه •

يرجع تناقص الاهتمام بالبحث وتقلص الرغبة في متابعته في العراق الى ما في الوضع العام من أحوال تؤثر في الباحث فتضعف قوته الدافعة الى البحث • ونشير منها الى قلة الباحثين المعنيين بمتابعة الدراسة ممن يمكن الاتصال بهم والتباحث معهم ومبادلتهم الآراء والأفكار مما يزيد في المعلومات ويوسع الآفاق ويثير التفكير لا في ميدان الاختصاص فحسب وانما في ميادين المعرفة الاخرى التي يختلف مدى صلتها بموضوع الاختصاص والتي لا تضم كثير من جامعات الغرب خاصة أكثر من واحد فيه ينمو لا بالاتصال مع آخرين لهم نفس اختصاصه ، وانما بالاتصال مع الباحثين في ميادين اخرى ، فيخلقون بيئة « فكرية » نشطة ، وينمون الرغبة في الاستزادة منه •

وتجدر الاشارة الى آثار بعض الموروث من أساليب المعاملات والممارسات الاخلاقية كالعلاقات العائلية والقبلية والبلدية والمحلية التي توثق روابط بين أفراد محددين الى درجة قد تؤثر على احكامهم ، وكذلك التعصب الفردي الذي يدفع البعض الى الحصول على منافع مادية وأساليب قد لا يكون بعضها مطابقاً للمثل الاخلاقية الحميدة • وهي حالات تزيد في التشويش بالرغم من انها لا تلقى التقدير والاحترام مما يجعلها محدودة ويعرضها للتضعضع ، ولكنها على أي حال تكون مصدر قلق يؤثر في توجيه الطاقات للبحث •

مراكز اخرى للبحث :

ان الجامعات هي المراكز الرئيسة للتدريب على البحث وانجازه ، ولكن عملها لا يقتصر عليه أو ينحصر فيه ، اذ ان عليها أعمالاً اخرى ، كما انها ليست المراكز الوحيدة للبحث ، فبجانبها مؤسسات مخصصة للبحث وحده ، أو تقوم به بجانب أعمال اخرى مطلوبة منها • والغالب ان هذه المؤسسات مختصة

بالبحث في ميدان واحد محدد ، كمؤسسة الآثار المختصة بالأبحاث الآثارية ، ومراكز الابحاث الاقتصادية والادارية ، وكذلك أقسام الابحاث في عدد من الوزارات بما فيها التخطيط ، والزراعة ، والري ، والصناعة ، وكذلك بعض المؤسسات التابعة لمنظمات عربية ودولية • كل هذه المؤسسات تقوم بأبحاث اختصاصية للاغراض التي انشئت من أجلها ، وأغلب هذه الدراسات ميدانية تتركز أبحاثها على أحوال العراق بالدرجة الاولى ، ونكتفي هنا بالاشارة اليها دون بحث تفاصيل أوضاعها مع تقديرنا لمكانتها وأهمية أبحاثها •

وللمجمع العلمي مكانة خاصة في البحث العلمي في العراق ، اذ انه مؤسسة قامت لتحقيق هذا الغرض ، وقد تم اختيار أعضائه على أساس طول ممارستهم في الابحاث وتميزهم منها ضمن اختصاصاتهم • غير ان تنوع اهتماماتهم ، والاعباء الملقاة على بعضهم من أعمال خارج المجمع ، وسعة ميدان المعارف التي اختصوا بها يتطلب اعداد برامج مرحلية محددة يعملون على تحقيق كل منها ضمن مدة محددة ، لتتلوها دراسة مواضيع اخرى •

استخدام الاجهزة والآلات في البحث :

ان الانسان هو قوام البحث العلمي وعماده ، وهو يتم بحثه باستخدام حواسه وعقله ، ومهما كانت أهمية الحواس فان امكانياتها محدودة ، ولذلك ابتدعت الأجهزة والآلات والمكائن لتساعد الحواس وتكملها في توسيع الادراك وتنميته ، فالتلسكوب يمكن الانسان من ابصار ما لا تدركه العين المجردة من اجرام بعيدة ، والمجهر ييسر مشاهدة دقائق الاجرام والمواد ، غير انها في كل الاحوال تعتمد على الحواس ، ويتوقف دورها على دقة حواس الانسان وسلامة فكره في ادراك ما تتوصل اليه الحواس والآلات المكملة لها •

كانت أهمية الآلات والأدوات في البحث دافعاً لحدوث مبتدعات

وتحسينات واسعة وعميقة على ما يستعمل في مختلف ميادين المعرفة ، وبمختلف المقاييس الدقيقة أو الضخمة ، وتشير الدلائل الى ان « حمّى » الابتـداع والتحسين فيها سائرة بأقوى مظاهرها ، وان ما نراه اليـوم « جديـداً » و « كاملاً » منها لن يمر عليه الا وقت قصير ليصبح « عتيقاً » قاصراً عن تأدية كل الاغراض .

ان البحث العلمي في العراق لا يستغني عن استعمال الآلات والأدوات ، وبالنظر الى ان امكانيات العراق محدودة في المال وعدد الباحثين وميادين البحث ، فلابد له ان يراعى في الاختيار أحدث الاجهزة ، وأن يوفر من يحسن استعمالها والافادة منها ، وامكان ادامتها .

يواجه تنفيذ الامور الثلاثة صعوبـات ومشـاكل غـير قليـلة ، فان اسهام عدد كبير من الافراد في مختلف الاقطار بالاختراعات والابداعات، أدى الى زيادة كبيرة في الاجهزة والى تطورات متتابعة فيهـا ، والى صعوبة متابعة وحصر هذه التطورات ومعرفة احدث الاجهزة ، وما فيها من تحسينات، غير ان المعرفة حتى لو تحققت لن تكون الا خطوة أولى تتلوها معرفة المصدر الذي يمكن الحصول عليها منه وتدبير المال اللازم ، وخاصة في الاجهـزة المكلفة الثمن . والواقع ان توفر المال وحده غير كاف لعلاج المشكلة ، لان متابعة شراء أحدث الاجهزة يؤدي الى تراكم الاجهزة القديمـة التي يقـل استعمالها عند توفر الاجهزة الاحدث ، ويتطلب اماكن لخزنها ، أو هدراً في التخلص منها باتلافها أو بيعها ان وجدت لها شارياً .

ومما يتصل باقتناء الاجهزة صيانتها وادامتها ، خاصة وان كثيراً منها ، بما في ذلك الصغيرة الحجم ، تكون دقيقة التكوين معقدة التركيب ، وأي خلل قد يعطلها كلياً ، ويتطلب اصلاحها وادامتها فنيين متمرسين والا انعدمت الفائدة منهـا .

وعلى أي حال فان الاجهزة تتطلب من يجيد تشغيلها واستعمالها وقيامها بتأدية أغراضها بدقة .

ان اقتناء الافراد من المعنيين بالبحث الاجهزة الخاصة بالبحث من آلات طباعة واستنساخ وتصوير وغيرها ، من شأنه ان يعين المقتنين على اجرائهم الابحاث ، ويخفف الاعباء عن الدوائر الحكومية التي عليها أن تقوم بالكثير من متطلبات الافراد اذا لم تتوفر لهم هذه الاجهزة ، وان تقييد استعمالها لاسباب أمنية يسبب عرقلات على عموم البحث والحركة الفكرية أكبر بكثير من المنافع المرجوة من التقييد .

واقتناء الافراد للاجهزة لاستعمالها لاغراض « تجارية » ييسر لبعض الباحثين الافادة من استعمال الاجهزة الحديثة . ويتميز بحرصهم على اتقان عملها وصيانتها . وكل هذا يكون مبرراً لتيسيرها وتقليل القيود عليها كيما يتيسر انتشارها فتسهم في خدمات الافراد عموماً والباحثين خصوصاً ؛ غير ان الأفراد مهما ازداد عددهم فانهم لن يستطيعوا سد كافة الحاجات من الاجهزة ، لأن متطلبات البحث كثيرة ولها ظروف خاصة فلا تستطيع تلبية كافة طلبات المؤسسات الحكومية ؛ كما انها كثيراً ما تكون عبئاً على الافراد الباحثين وأكثرهم ذوو دخل محدود .

وتمتلك كثير من المؤسسات الصناعية والتجارية أجهزة وآلات ومختبرات تفيد البحث وتخدمه ، بالاضافة الى خدماتها لتحقيق أغراضها الانتاجية الخاصة ، ويتيح كثير من هذه المؤسسات للافراد استخدام هذه الاجهزة والافادة منها في القيام بأبحاث خاصة .

ان الدولة بامكانياتها المادية الكبيرة ، وماليتها الغنية ، وطموحاتها الواسعة هي أكبر مؤسسة تستطيع توفير الاجهزة والادوات التي قد تكون

للبحث الخالص ، أو لاغراض نفعية اخرى ولكن يمكن ان يفيد منها الباحثون. غير ان هذه الامكانيات الكبيرة للدولة ينبغي الا تقود الى الاسراف والتبذير في جلب ما لا يمكن الاستفادة منه حالياً ، أو ما يمكن التعويض عنه بما هو موجود . ان هذا الاقتصاد ينبغي ان يراعى خاصة في الاجهزة المعقدة الغالية، كالآلات الحسّابة التي يمكن أن تقوم واحدة بتقديم الخدمات التي تتطلبها عدة دوائر وجهات . فالتنسيق والتعاون أمر أساسي وينبغي أن يعطى الأولوية ، وهذا يتطلب بدوره قيام هيئة منسقة تشرف على اختيار الاجهزة وتراعى فيها التنسيق وتفرض التعاون بين المؤسسة .

يعتمد نوع الاجهزة والمواد على المواضيع المطلوب أو المزمع دراستها ، ولكن ينبغي الا تطول المدة بين توفير الاجهزة والمباشرة بالدراسة ، أي لا توفر اجهزة على افتراض استعمالها بعد سنين كثيرة في المستقبل ، ولعل أربع سنوات هي الحد المناسب بين اقتناء الاجهزة واستعمالها .

المدونات والمطبوعات :

ان المدونات المكتوبة هي المعتمد الاكبر للباحثين في معرفة ما تم من الابحاث التي تؤثر في تنظيم عمله ، ومن الحصول على المادة الاولية التي تقوم عليها الابحاث التالية ، والاطلاع على طرق البحث التي اتبعت والاساليب التي استخدمت ، مما يستفيد منها الباحث في اختيار الطريقة الاكثر ملاءمة أو لاكمال ما قصر الاخرون في تحقيقه .

والمدونات المكتوبة متعددة فهي تشمل المخطوطات والكتب والمقالات والوثائق . فأما المخطوطات فقد تكون لمؤلف حي أو لمؤلف توفى وانتهت حياته فيكون استعمالها ملكاً مشاعاً ، وفي كلتا الحالتين تقتضي الامانة العلمية والمبادىء الاخلاقية بالاشارة الى مؤلفها عند الاستفادة أو الاقتباس

منها ، وأن يكون مقدار الاقتباس في حـدود معقـولة اذ أن الاقتبـاس الحر الواسع منها ، أو من الكتب المطبوعة دون الاشارة الى مصدر النقـل ينافي الاخلاق ويتطلب تشريع قوانين رادعة تصاغ بما يؤمن حقوق المؤلف الاصلي ، وباعتبارها تجاوزاً على الحق العام من القيم الاخلاقية فيسري على كل منشور ينسبه شخص لنفسه وهو ليس مؤلفه ٠

يمر الاستنساخ والطباعة بتطورات واسعة ، حتى انه يمكن القول بأن التقدم التقني الذي حدث فيها ابان العقود الثلاثة الاخيرة يفوق ما تم منـذ اختراع الطباعة وانتشار استعمالها ، وبهذا التقدم أصبح متيسراً الحصـول على أحدث ما وصل اليه التطور الحديث من أجهزته وتقنياته وأساليب عمله والذي يتجلى في أجهزة الاستنساخ بما فيها الاستنساخ المطابق للاصل ، والمكبر ، والمصغر في الرقيقات وألواح الرقيقات المصغرة « الميكروفيش » ، وقد عم استعمال أجهزة الاستنساخ وأصبح يستعمل لاستنساخ عدد قليل أو كبير من النسخ لخدمة الافراد والجماعات ، ويؤدي خدمات كبيرة ٠

أما الاستنساخ بالرقيقات فأكثر ما اسـتعمل في تصوير المخطوطـات والوثائق مما يسر الحصول على نسخها من عدد كبير من الاقطار ، غـير ان الصعوبات التي تواجه استعمالها من دقة خطها ، وعـدم وضـوح التصوير أحياناً ، وضرورة وجود جهاز خاص لقراءته ، وصعوبة ادامة حفظه ، كل ذلك حدد من استعماله وحصره بعدد محـدود وزاد من أهميـة الاستنسـاخ التصويري ٠

أما ألواح الرقيقات المصغرة « الميكروفيش » فان صغر حجمها ودقته ضيّق من انتشارها وحدد من استعمالها ، حتى انها تكاد اليوم تكون في حكم العدم ٠

المطبوعات والكتب :

بدأ ظهور المطبوعات العربية منذ بدء الطباعة في اواخر القرن الخامس عشر الميلادي ، وتتابعت ووصلت في السنوات الاخيرة مستوى عاليا من الاتقان في السرعة والكمية ، ورافق ذلك في هذه السنوات الاخيرة التوسع الكبير في عدد وتقنية أجهزة الاستنساخ ، كما ازداد عدد البحوث بدرجة كبيرة تتجلى في عناوين البحوث التي تسجلها ما يسمى « مجموعات التوثيق » التي تصدر دورية وتذكر مجرد عناوين ما يستجد من البحوث ، وهي تبلغ في بعض فروع المعرفة العلمية عشرات الآلاف سنوياً . ان هذا الازدياد واضح في البحوث في المواضيع العلمية الصرفة والطبيعية والطبية ، وهو يرجع الى اهتمام التطورات الحضارية بالمواضيع العلمية التي تؤثر نتائج أبحاثها في التقدم المادي والفكري ، والى تزايد عدد الجامعات وتوسعها ، وظهور مؤسسات رسمية وغير رسمية تكرس جهودها للابحاث العلمية وترصد لها مبالغ كبيرة مما يؤمن للباحثين مكاتتهم ويزيد في التعاون بينهم أو بين المؤسسات التي ينتمون اليها .

وامتد هذا التوسع الى نشر الابحاث في ميادين المعرفة الانسانية وان كان مقداره أقل نسبياً ، ولكنه ظل واسعاً تسهم فيه عدة جهات حكومية من وزارات التربية والتعليم والثقافة والجامعات والمؤسسات ودور النشر ، بالاضافة الى ما يقوم به الافراد من طبع كتبهم على حسابهم الخاص ، والواقع انه يصعب اعداد قائمة بالمؤسسات التي تقوم بطبع الكتب العربية واصعب منه متابعة ما يتم نشره

تظهر بعض الفهارس المطبوعة المقدار الكبير مما يطبع في العربية من مؤلفات ومترجمات ومنشورات بشكل كتب ويكفي ان نشير الى ان الثبت البيبلوغرافي للاعمال المترجمة بين سنة ١٩٥٦ ــ ١٩٦٧ م الذي صدر باشراف

متابعة المطبوعات :

بدر الديب ذكر اسماء قرابة ٣٥٠٠ كتاب مترجم في مدة احدى عشرة سنة ، فكيف بعدد ما ترجم قبلها وبعدها في مصر وغيرها من البلاد .

ويتجلى تزايد المطبوعات من الكتب من فهارس الكتب المطبوعة في بعض المكتبات العامة . فدار الكتب المصرية التي عنيت بنشر فهارس ماتحتويه من الكتب العربية ، أصدرت من هذه الفهارس ثمانية مجلدات ضخمة مصنفة حسب المواضيع ، وأتبعتها بملاحق من عدة مجلدات ضخمة يضم كل منها أسماء الكتب التي صدرت بعد نشر الفهارس ومرتبة كتبها حسب الموضوعات والمؤلفين ، وهي متتابعة حسب السنين ، بالاضافة الى عدد من المجلدات الضخمة التي يختص كل منها باسماء كتب في موضوع واحد مما طبع في مصر وغيرها ، علماً بأن فهارس دار الكتب لم تستوعب كل ما طبع حتى في مصر نفسها ، فضلاً عن كثير مما يصدر في البلاد العربية الاخرى .

تلزم القوانين في بعض البلاد العربية ايداع نسخ مما يصدر فيها من مطبوعات في مكتبات رسمية معينة ، وتنشر بعض الدول قوائم دورية بعناوين المطبوعات المودعة فيها وأسماء مؤلفيها ، ولهذه القوائم فوائد كثيرة في معرفة ما يصدر من الكتب وييسر متابعة ما يستجد من المطبوعات .

غير ان قوانين الايداع حديثة لم تظهر الا منذ سنوات قليلة ، وهي لم تعم كل الاقطار العربية ، ولم يكن توزيعها واسعاً ومنتظماً ، وخاصة من المطبوعات الرسمية ، كما ان شمولها وسعتها واختلاط مواضيع الكتب التي تدونها ، يتطلب جهوداً كبيرة في جرد ما يتعلق بموضوع معين فضلاً عن تقدير اهميته .

وتصدر بعض الجهات الرسمية قوائم باسماء المطبوعات العربية والاعجمية

والغالب في الكتب التي يشترك في تأليفها أكثر من كاتب ، وجـود تفاهم وانسجام بين المؤلفين ، غير انه قد يفرض العمل على أفراد غير منسجمين، وهذا خاصة في الكتب التي تؤلفها جهات رسمية ، الامر الذي يفسح المجال للارباك والتقولات •

يتطلب العمل المشترك وجود مشرف عام واحد او عدد محدود من ذوي الخبرة للقيام بالتنسيق العام والمتابعة ، وتتطلب منه هذه المهمات أن يكون ذا مكانة علمية متميزة في ميدان المؤلَّف وأن يكون ذا كفاءة في الاشـراف والتنفيذ •

ان عمل المشرف يشمل :

١ ــ تيسير المتطلبات المادية للقائمين بالعمل •

٢ ــ تأمين الاتصال مع الجهات التي يهمها العمل ، سواء المؤسسات الحكومية أو المؤسسات الرسمية والاهلية أو الناشرين •

٣ ــ متابعة تقدم العمل والحث على انجازه في وقت محدّد •

ان هذه الاعمال تتطلب أن يكون المشـرف متمكناً في ميدان العـلم الذي يعرضه الكتاب ، وله كفاءة اداريـة تتصف بالنشاط والقـدرة على المتابعة وابداء المشورة والحسم في القضايا التي تتطلب ذلك ، وان تكون له مع من يعمل في التأليف أو الترجمة أو التحقيق علاقة تعاونية طيبة •

والمشرف بالاضافة الى متابعته عمل المؤلفين أو المحققين أو المترجمين ، مسؤول عن اظهار الكتاب بالمظهر اللائق في الدقة العلمية وفي شكل الاخراج •

التدريب على البحث :

للتدريب على البحث أهمية كبرى في تحقيق انجازه ، فهو يهدف توفير

الوقت والجهد من أجل الحصول على أدق النتائج بأقصر وقت ، فضلاً عن انه يولد الثقة في نفس الباحث ، ويزيد من شغفه بما يجنبه الانزلاق في المتاهات المربكة التي تخلق السأم والملل ، وتولد اليأس وتفقد الثقة ، وبذلك تضعف الرغبة في العمل وقد تقتلها .

والتدريب يقوم على شخص الباحث ، فهو الذي يدرب نفسه على البحث ، ويكشف طرقه ، ويتعرف على أفضلها ، ومن المعلوم ان طرق البحث متعددة ، وأساليبها مختلفة ، والباحث هو الذي يقرر أجداها وأنفعها ، وأمتن الطرق هي ما يتعلمها المرء بنفسه ويجربها فتتضح له فوائدها ، ثم يسير عليها ويطبقها في الابحاث التالية ؛ وكلما ازداد تمرّس المرء في البحث تعددت الطرق التي تتضح له فائدتها في البحث وتيسر له السير عليها . ولاريب في ان هذا الكشف والمران يلقي على الباحث المبتدىء عبئاً ثقيلاً ، وقد يعرضه لاضاعة وقت غير قليل ، فاذا تقدم به الزمن وازدادت خبراته ، تيسر له تقرير الطريقة التي يتبعها ، وسهل عليه السير عليها وتطبيقها ، وفي هذا يختلف الباحثون في العلوم الطبيعية عن الباحثين في العلوم الاجتماعية ، فكثير من أنبغ المبدعين في العلوم الطبيعية قدّموا وهم في سن مبكرة أعمق آرائهم وابداعاتهم ، أما في العلوم الاجتماعية فان تشعب المواضيع وتشتت مادتها وتشابك العلاقات بينها يمنع الجمود على طريقة واحدة ، ويلزم بتنويع الطرق ، كما يقضي بالصبر والاناة وتوفير الوقت لاستكمال جمع المادة ، ومعرفة مختلف جوانب الموضوع وتعلقاته ، وبالتالي وضعه بالشكل القريب الى الكمال . فاذا كان النبوغ في العلوم الرياضية والطبيعية يظهر عند من هم في الثلاثينات من عمرهم ، فان الابداع والاسهام الناضج في العلوم الاجتماعية قلما يظهر قبل تجاوزهم الاربعينات من العمر .

ومما يقصر وقت التجارب ويزيد في خبرة الانسان معرفته ثمار تجارب الممارسين ممن سبقوه ، وتتم هذه المعرفة أحياناً بالاطلاع على ما كتب في ذلك ، وهي كتابات بعضها عامة يحاول مؤلفوها وضع قواعد مثبتة لطرق البحث ، ومثل هذه الكتابات مفيدة ، ولكن فوائدها محدودة ، فهي تبحث في امور عامة وقلما تعالج تفاصيل التنويعات التي تلائم المواضيع الخاصة المتنوعة، كما انها باستيعابها القواعد العامة تذكر كثيراً مما لا ينفع في التطبيق ، ولا اريد أن أبحث ما وضعه الباحثون العرب من قواعد لدراسة الحديث النبوي وصلوا فيه الاوج من الدقة والشمول في النظريات ، ولكن اورد مثلاً من حجة معتمد في العصر الحديث هو سينوبوس الذي لايزال كتابه من اتقن الكتب في شرح طرق البحث في التاريخ ، وهو يضع للمؤرخ المعتمد مواصفات جسمية وعقلية لو أردنا أن نطبقها على من توفرت فيهم شروطه لما استطعنا البحث ، لاننا نكاد نجهلها كلها .

ان أكثر الباحثين قديماً وحديثاً نشروا ثمار أبحاثهم وما توصلوا اليه دون ذكر الطرق التي اتبعوها في الحصول على الحقائق التي عرضوها ، فاذا أراد الباحث الاستفادة من هذه الكتب باستنباط الطرق التي اتبعوها فلابد له أن يبذل جهوداً مضنية لا تؤتي الا بثمار قليلة لا توازي ما بذل فيها من جهود ، فضلاً عن ان هذه الطرق قد تكون خاصة بمن طبقها ، ولا تفيد كثيراً الآخرين في تطبيقها على بحوثهم .

وصف بعض المؤلفين الطرق الخاصة التي اتبعوها في الناشىء ، الا ان أمثال هذه الكتب قليلة ومتفرقة في معظم العلوم الانسانية ، وان كانت متزايدة في دراسات علم النفس والتربية .

مكانة « المعلم » في التدريب :

للمعلّم مكانة اساسية في التدريب على البحث وذلك لانه يتصل بالطالب

اتصالاً شخصياً مباشراً مستمراً يقدم خلاله المعلومات والتوجيهات وما له من الخبرات أو الآراء والمقترحات • وهو يثير في الطالب التفكير ، وينبهه الى جوانب متعددة من الموضوع الذي يعنى بدراسته فهو يطلع الطالب على الابحاث المكتملة ، كما يعرض له الابحاث التي في دور التكوين مع الاشارة الى ما هو جدير بمتابعة الدراسة وما يستحق الاهمال •

دور الجامعة في التدريب على البحث :

ان « المعلمين » يتواجدون في المدارس الثانوية ، والجامعات ، ومراكز أو مؤسسات البحث العلمي ، غير ان انصراف المدارس الثانوية الى العناية بالتدريس والنشاطات الاجتماعية ، وتركيز مراكز البحث العلمي على البحث ذاته يجعل واجب التدريب على البحث متركزاً على الجامعات لاسباب منها كثرة عدد طلبتها ممن هم في مستوى النضج المؤهل لتقبل التدريب، ولان الجامعات فيها عدد كبير من الاساتذة ، ومجهزة بمقدار واف من الكتب التي تكفي لتدريب الطلبة في عدد غير قليل من فروع الدراسات الانسانية •

وللجامعة بجانب العناية بالبحث العلمي واجبات اخرى ، منها التدريس وتقديم معلومات بمستوى لائق للطلبة ، ومنها العناية بانماء المواهب الفنية والجوانب الاجتماعية والرياضية ، اذا لم نضف اليها التوجيهات السياسية • وتمر الجامعات في العالم عامة ، ومنها العراق ، بتطورات واسعة تؤثر سلبياً في دورها في التدريب على البحث العلمي ، ومن أبرز هذه التطورات ازدياد عدد الطلبة في الجامعات بصورة لا تتناسب مع تكيفها للحفاظ على رسالتها في تحقيق واجباتها التي ذكرناها • وقد تجلت آثار ذلك في تزايد الاعباء على الادارة وعلى الاستاذ ، مما أدى الى تناقص الاهتمام بالبحث العلمي والتدريب عليه •

ومن أبرز مظاهر التطورات الحديثة في الجامعات توسع الادارة وازدياد أهميتها حيث ألقي عليها واجب معالجة آثار التوسع وما يتصل بـه من توفير الابنية والتجهيزات ، وكذلك النظر في ما يتعلق بسلـوك الطلبة وتصرفهم ، وتنظيم سجلاتهم وما يتعلق بمعيشتهم :حياتاً ، بالاضافة الى العـدد الكبـير من القضايـا المتعلقـة بقبولهم ودراسـتهم والنـاجمة عن تعقـد النظـم التربوية وتعددها ، فضلاً عن القضايا الناجمة عن العلاقات المعقدة المتطورة مع رئاسة الجامعة ومؤسسات الدولة الاخرى ، وكل هذا يؤدي الى ان تصرف ادارة الكليات والجامعات معظم جهودهـا على معالجة الجـوانب الادارية ، والتركيز على الاهتمام بالتدريس ، خاصة وان الجهاز الاداري الذي يساعدها في ذلك محدود العدد والخبرة ولم يتوسع بما يتناسب مع هـذه التطورات الواسعة السريعة ، فقلّت العناية بالبحث العلمي ومتطلباته •

لهذه التطورات آثار واسعة على أعضاء الهيئة التدريسية ، فازدياد الطلبة مع عـدم توفـر الابنيـة عولج في الغـالب بتقسيم طلبة الصف الواحـد في القسم الواحد الى عدة « شعب » ولم تحصل زيادة في عدد التدريسيين تناسب مع هذه الحاجة المتزايدة ، فزيد عدد المحاضرات التي يلقونها ، وكانت هذه الزيادة متباينة ، ومعدلها خمس ساعات اسبوعية ، ولكنها تصل الى خمس عشرة ساعة ، أي أن التدريسي أصبح يلقى ما يصل الى ثلاثـين محاضرة في الاسبوع ، مما يسـتنزف جهـده ووقتـه ، ولا يتيح لـه الوقت الـكافي للتفكير والتأمل والاستزادة من القراءة ومتابعة البحث ، فضلاً عما يسببه من ارهاق وملل •

والغرض من المحاضرات في الجامعة هو تقديم معلومات بمسـتوى جامعي مقبول ، والاشارة الى المواضيع الجديدة بالبحث ، والتعريف ببعض الابحاث التي يجرى القيام بها ، والتدريب على البحث • غير ان المحاضرات

الكثيرة قد يتكرر فيها القاء نفس المعلومات فتولد السأم في الاستاذ ، أو تكون منوعة لا يتيسر تنقيحها ومراجعتها وتجديدها ، مما يؤدي الى ان يتحول التدريس الى مجرد تلقين بالسماع أو بتملية محاضرات يتكرر القاؤها سنوياً دون تطوير أو تجديد ؛ وفي كل هذه الاحوال لا تؤدي المحاضرات الا غرضاً واحداً من أغراضها ، ولا يحظى البحث بالاهتمام المناسب •

دور الاستاذ في التدريب على البحث :

خصصت النظم الجامعية المراحل التالية للدراسة الاولية للتدريب على البحث ، الا ان هذه المراحل تعرضت الى تطورات متتابعة من أبرزها ان زاد فيها عدد المحاضرات التي تعرضت في كثير من الاحيان الى التطورات التي حلت بها في مرحلة الدراسة الاولية الجامعية ، غير ان الهدف الرئيسي من هذه المرحلة ظل ثابتاً في التدريب على البحث ، وان كان قد تعرض الى ما يؤثر في تحقيق هدفه بالمستوى المعقول •

والتدريب يتوقف على المدرَّب والمدرِّب ، أي على الطالب والاستاذ ، والمفروض في الطالب ان لا تكون له عند ابتداء تدريبه خبرة بالبحث ، وانما يتوفر فيه الاهتمام والرغبة في القيام في البحث ، وكذلك معلومات عامة « هامشية » عن الموضوع ، اما الاطلاع الواسع المتعمق فليس شرطاً أساسياً عند البداية ، لأنه يأتي تالياً بتقدم البحث • ودور الاستاذ « المدرِّب » هو الاشراف على البحث ومتابعة العمل لانجازه ، واعانة محدودة في التعرف على مصادره ، وتقدير لتوجه السير فيه وتجنيب انحرافه الى ما لا علاقة له بالموضوع ، أو لا جدوى منه في البحث القائم • وكل هذا يقتضي أن تكون للمشرف رغبة في الاشراف ، واطلاع عام على نطاق البحث ، وقدرة في الحكم على المهم فيه ، ووقت كاف لمتابعته ، أي أنه يتوقف

على مستواه العلمي ، بما في ذلك الاطلاع والتجدد ، وعلى توفر الوقت الكافي للقيام بالعمل ، وعلى اخلاقية تقوم على الامانة والصراحة والصلابة •

ان المؤهلات الاولية لمعظم التدريسيين هي شهادة الدكتوراه أو شهادة الماجستير مع سنوات خبرة اضافية ووجود قلة ممن شهاداتهم العالية لا توازي سمعتها مستوى معلوماتهم وتفكيرهم لا يطعن في الاتجاه العام الذي تشير الشهادات فيه الى مستوى مقبول في العلم والتفكير • غير ان المشكلة في العراق تقوم على مدى استمرار المدرس في انماء المعلومات والتفكير والخبرة في البحث مما يمكنه من القيام باشراف فعال • ومن الحقائق المعروفة اليوم ان التدريسيين في كثير من الجامعات الاجنبية ينتجون بعد سنوات محددة من عملهم أبحاثاً متقنة تفوق في عددها ما ينتجه زملاؤهم العاملون في المؤسسات العراقية ممن لهم نفس المؤهلات الاولية التي للعاملين في المؤسسات الاجنبية •

يرجع بطء نمو العاملين في البحث في العراق الى نقص في المصادر والاجهزة ، وخاصة ما يستجد منها ، وصعوبه الحصول عليها ، وقلة العناية بمتابعتها وضعف الرغبة في الحصول عليها •

ذكرنا ان المثل الاعلى في البحث هو الاصالة والاضافة الى المعرفة ، وهذا يتطلب في الابتداء معرفة عامة بما تم انجازه كيما تتسنى الاضافة اليه وتحسينه وتحاشي تكراره ؛ وبدون هذا الاطلاع لا يمكن تحقيق أية اصالة واضافة • ويتلو ذلك توفير المصادر وتيسير الافادة منها • ان أهمية هذا العامل تحملنا على ان نفرد له دراسة خاصة تتناسب مع أهميته ، ويكفي هنا أن نذكر انه تتوفر في بغداد خاصة من المطبوعات ما يكفي أن يكون أساساً للابحاث في كثير من العلوم الانسانية ، وخاصة التاريخ بنطاقه الواسع ، والادب العربي ، وكثير من علوم الدين الاسلامي ، غير ان النقص

قائم في متابعة انماء الموجود بما يستجد ، وتيسير الحصول على ما يحتاجه البحث مما لا يتوفر •

عوائق النمو الفكري :

لم يعمل على الاستفادة من المصادر المتوفرة في العراق الا عدد قليل من التدريسيين والباحثين ، اما الغالبية المطلقة منهم فلم يعملوا على الاستفادة منها ، لا لنقص في مؤهلاتهم التي ذكرنا ان الشهادات التي حصلوا عليها هي دليل على تأهلهم وقدرتهم على الافادة منها ، انما يرجع الى قلة الوقت المتوفر للافادة منها ، وضعف الرغبة في ذلك • فأما قلة الوقت فيرجع كثير من أسبابه الى ان معظم الاساتذة يصرفون وقتاً طويلاً على القاء المحاضرات الكثيرة ، والانشغال بأعمال لا تتصل بالاستزادة من المعرفة ، كمتابعة نشاطات الطلبة في ميادين خارجة عن العلم ، والاسهام في أعمال ادارية واشتراك في لجان ، وأداء الواجبات الاجتماعية ، والعمل على الحصول على متطلبات المعيشة المتزايدة والمتعرضة لتبدلات واسعة غير مستقرة • ان هذه الاعباء لا ينفرد فيها التدريسي في العراق ، وانما هي قائمة في معظم البلاد بما فيها الاقطار الغربية ، اذ ان كثيراً من الاساتذة البارزين في معظم الجامعات يواجهون متطلبات أعمال ادارية ونشاطات اجتماعية واسهام في لجان واشتراك في اعداد تقارير تتخللها مناقشات فرعية تستغرق وقتاً طويلاً وجهداً كبيراً على حساب ما يخصص للبحث •

والاختلاف الاساسي ، فيما أرى ، بين اثر ذلك على الاستاذ في الغرب وصنوه في العراق ، هو ان هذه الاعمال « الجانبية » المستنزفة للوقت لا تؤثر في تقدير أهمية البحث والرغبة في متابعته ، ولا تسد كلياً أبواب معرفته بما يستجد من أبحاث وما يتم من دراسات •

في مواضيع محددة ، وأغلب هذه المطبوعات تصدر بمناسبات سياسـية أو استجابة لمشاكل آنية ، فهي غير شاملة أو منظمة .

ولقيت المطبوعات التراثية عناية من بعض الجهات، فنشر معهد المخطوطات العربية عندما كان مقره في القاهرة قوائم باسماء بعض الكتب التراثيـة التي ظهرت في حينه ، ويقوم المعهد بعد نقل مقره الى الكويت باصدار نشرة دورية بعنوان اخبار التراث ، ينشر فيها قوائم بما يطبع من كتب التراث ، ومعلومات عن بعضها .

وتصدر بعض مؤسسات النشر والتوزيع قوائم بالمطبوعات التي تتولى بيعها مما تقوم هي أو غيرها بطبعه ، وبعض هذه القوائم واسـعة ومتجددة وفيها كثير مما يستجد ، كما تقوم بعض المؤسسات الرسمية باصدار قوائم بالكتب التي تطبعها . كما ان بعض المؤتمرات والندوات العلمية تصدر قوائم بالكتب المتعلقة بمواضيع الندوة وبما يجري بحثه فيها .

يتبين مما ذكرناه ان فهارس منوعة ومتعددة تصدر في اماكن متفرقة من الوطن العربي والعالم بأسماء المطبوعات الصادرة ، وخاصة الحديثة ، وبالمتوفر منها في السوق . غير ان صعوبات جمة تواجه من يريد الافادة منها .

١ ـ ان هذه الفهارس غير منتظمة في صدورها ، واحياناً غير مستوعبة في مادتها ، وهي في الغالب تعنى بالمطبوعات الحديثة ، وكثيراً ما يطبع مؤلف كتابا لا يعلم به مؤسسات البيع ، وانما يقوم شخصياً بتوزيعه .

٢ ـ كثير من هذه الفهارس محدود التوزيع ، ولا يمكن الحصول عليه الا بطلب مباشر من مصدريه .

٣ ـ انها لا تشمل كل ما يصدر في كل اقطار الوطن العربي ومؤسساته وخاصة ما تصدره الجامعات وبعض المؤسسات الرسمية التي كثيراً ما لا تصدر فهارس بما تطبعه ولا تعلن عما تطبعه وقلما تعنى بتوزيع نشره على المكتبات للبيع •

٤ ـ كثيراً ما يتكرر ذكر الكتاب الواحد في أكثر من فهرس مما يؤدي الى الارباك والملل •

ان هذه الهنات لا تقلل من اهمية هذه الفهارس التي ينبغي ان تجمع ، ويجرد ما فيها وتنسق مادتها وتصنف الكتب التي فيها ، وهو عمل لا يتيسر الا بتوفر الامكانيات المالية والبشرية التي تستطيع انجازه •

الحصول على المطبوعات :

ان الكتب الاساسية للبحث العلمي الدقيق لا يعنى باقتنائها الا القليلون ، ولذلك لا يحرص على جلبها معظم أصحاب المكتبات الذين أغلبهم « باعة كتب » ويندر فيهم من له خبرة في ميادين البحث العلمي ومتطلباته واهتمام ببيعها ، كما انهم قلما يتصلون بمؤسسات البحث لاخبارها بما يردهم من كتب ، ويقابل ذلك ان المسؤولين عن انماء مكتبات البحث عددهم قليل وعليهم واجبات متعددة •

يتعرض استيراد الكتب في كثير من الاحيان الى اجراءات لتنظيم استيراد ما ينسجم مع السلامة الفكرية ، أو ما تتطلبه القيود المالية التي تسبب بطأً وقلقاً وكثيراً من الاتعاب التي تبعث على التماهل في المتابعة • ثم ان اقتناء الكتب ينبغي ان ترافقه خدمات مكتبية مؤهلة لتنظيم خزنها وتيسير استعمالها للباحثين •

لاريب في ان ايسر سبيل للحصول على المطبوعات يكون بمتابعة مايرد الى مكتبات البيع المحلية ، وهذا يتطلب متابعة مستمرة لما يردها من الكتب ، علما بان معظم اصحاب مكتبات البيع يعنون بالسوق وما يطلبه العدد الاكبر من المعنيين بالقراءة ممن يؤمون مكتباتهم ، ولا يعنون بالتعريف بما يصلهم من الكتب .

كل هذا يتطلب بذل جهود كبيرة للحصول على المطبوعات الجديدة المهمة التي تخدم البحث العلمي . ولا ريب في ان المؤسسات الرسمية أكفأ من الافراد في تحقيق ذلك ويمكنها اتباع بعض وكل السبل التالية : ـ

١ ـ الافادة من تبادل مطبوعاتها مع المؤسسات التي تحدد عرض ماتطبعه ولا تعنى بتوزيعها .

٢ ـ السعي للحصول على قوائم مطبوعات مراكز الانتاج الفكري وعلى نسخ من مطبوعاتها المهمة .

٣ ـ متابعة ما يصدر من قوائم المطبوعات مما تنشره المؤسسات أو الدوريات المختصة .

٤ ـ متابعة معارض الكتب التي تقيمها بعض الدول والمؤسسات .

٥ ـ انماء الاتصال الشخصي بالمعنيين بالمطبوعات من الباحثين والمثقفين للاطلاع على ما يصدر من المطبوعات ، والعمل على الحصول عليها .

ويجدر ان نشير الى ان المكتبات المعدة للابحاث تختلف عن المكتبات المعدة للدراسات الجامعية والتدريس فيها ، اذ ان الاخيرة هي أحوج الى كتب محدودة من المصادر الاساسية والمراجع المتصلة بالمواضيع التي

تدرس في الجامعة والتي يرجع اليها الطالب للحصول على المعلومات والاستزادة منها ، فهي محدودة العدد ، والغالب انها من الكتب العامة المشهورة ، واقتناء أكثر من نسخة منها .

اما مكتبات البحث فتختلف أساسياً عن مكتبات مراكز التدريس نظراً لما تتطلبه من ضم أكبر عدد من المصادر والمراجع التي قد لا تستعمل الا في المستقبل البعيد ، ولا يرجع اليها الا لماماً ، ولذلك تكفيها نسخة واحدة من أي كتاب ، ولكنها تحتاج الى ان تضم عدداً كبيراً من الكتب .

اختيار المطبوعات :

ان غزارة انتاج المطبوعات في العالم يجعل توفير كافة الكتب المطبوعة خارجاً عن الامكانيات المادية والمالية لاية مكتبة فضلاً عن صعوبة الحصول عليها ، وهذا يقتضي الاختيار والتنسيق .

فأما الاختيار فالمفروض أن يكون للاهم فالمهم ، غير ان معيار الاهمية نسبي ، فالكتاب في موضوع ما قد يكون مهماً لباحث وغير مهم لآخر ، فقصة عنترة قد لا تكون مهمة لمن يدرس تاريخ العلوم ولكنها تكون مهمة لمن يدرس الادب الشعبي أو الفروسية أو روح العصر الذي كتبت فيه ، وكتب التعليم في الصفوف الاولى الابتدائية قد لا تكون مهمة للكثيرين ، ولكنها تكون ذات أهمية كبيرة لمن يدرس التربية واصول التدريس وما الى ذلك ، وكتب الفأل والسحر مثلاً قد تكون مهمة لابحاث اختصاصية متعمقة ، وقد تستجد في المستقبل مواضيع لا ندرك اليوم جدارتها في الدراسة .

ان الخطة العلمية المفضلة هي وضع برنامج منسق عند تأسيس المكتبات وانمائها يجلب بموجبه كافة المتيسر من الكتب في موضوع أو مواضيع محددة ، تبعاً لتوفر الامكانيات ، وبالتدريج ابتداءاً من الكتب المتعلقة بالابحاث الجارية أو المنوى اجراؤها قريباً على ان لا يهمل اقتناء المتفرقات عند توفرها ،

لان كثيراً من المطبوعات تنفد بسرعة ولا يمكن الحصول عليها بعد نفادها .

ان قلة المتيسر من الكتب وصعوبة الحصول على نسخ منها وما يتطلبه البحث العلمي من اقتناء مطبوعات نادرة لاستعمالها لاغراض محدودة غير متكررة يبرز قضية التنسيق بين مكتبات المؤسسات الرسمية في اقتناء المطبوعات ، فتعنى كل مؤسسة باقتناء الكتب والمطبوعات الداخلة ضمن اختصاصها وتيسر استعمالها للباحثين في المؤسسات الاخرى والافادة مما لديها من المطبوعات ، وخاصة الغالية الثمن والتي يصعب الحصول عليها . ففي التاريخ مثلاً يمكن أن تعنى مكتبة مؤسسة الآثار بالحصول على الكتب عن التاريخ القديم والآثار وتعنى مكتبة المجمع باقتناء الكتب المتصلة بالحضارة العربية ابان ازدهارها ، وخاصة في ميادين اللغة والادب والتاريخ ؛ ومن الطبيعي ان هذا لا يعني أن تقتصر كل مكتبة على اقتناء ما يتصل باختصاصها ، وانما المقصود هو تنسيق اقتناء المطبوعات النادرة والقليلة الاستعمال ، أما الكتب الاساسية العامة المتوفرة فينبغي أن تتوفر منها نسخ في كل المكتبات .

التنسيق يتطلب تحديد المؤسسات التي تكون مكتباتها معدّة للبحث . وتأمين التعاون الوثيق بينها وتيسير افادة الباحثين من خارج منتسبيها ؛ ويتطلب التنسيق نشر فهارس موحدة عامة يعرف منها مكان وجود كل كتاب مما يسهل الرجوع اليه والافادة منه .

ولا ريب في أن التنسيق أيسر بين مكتبات البلد الواحد وأصعب من مكتبات البلدان المختلفة ، وخاصة المتباعدة . ويتوقف نوع ومقدار المصادر المكتوبة للقيام بالبحوث العلمية المعتمدة على الموضوع الذي يدرس . فبعض المواضيع تتطلب مصادر متعددة ومتنوعة ، وبعضها لا تتطلب الا مصادر

محدودة ، وعلى أي حال فان البحث العلمي المعتمد يستلزم توفير هذه المصادر والاطلاع عليها .

ان الوقت الذي ينبغي فيه توفير المصادر له تأثير كبير في انجازه أو عرقلته أو تعطيله ، ومن حيث العموم ينبغي توفير المصادر الرئيسة عند البدء بعمل البحث ، لان تأخيرها قد يثير القلق والاضطراب ويولد حالة نفسية غير مشجعة قد تؤدي الى التوقف التام عن متابعة العمل .

ان توفير المصادر الاساسية لبحث محدد أمر يسير ، أما توفيرها لكافة الابحاث المزمع القيام بها أو التي قد تبحث في المستقبل يخرج عن طاقة الباحث الفرد ويتطلب اسهام المؤسسات العامة في تحقيقه .

التدوين :

الكتابة التي تعد البحث للنشر هي الوسيلة الرئيسة في تثبيت الافكار التي يثمرها البحث العلمي والتمكين من التعريف بها وتوسيع نطاق الافادة منها عبر الزمان والمكان ، وبواسطتها يستفيد القراء الذين لا يتيسر لهم الاتصال الشخصي المباشر بسبب تباعد المكان أو الزمان ، أي ان فائدة التدوين لا تقتصر على المعاصرين بل تمتد الى الاجيال التالية . والافكار اذا لم تسجل تنسى وتضيع وتفقد أهميتها ، أما اذا سجلت فان معالمها تتضح مما يمكن من وضعها في نطاقها الصحيح ، أي تنظيمها ضمن صورة عامة توضح روابطها ، وهذا يستلزم الدقة في التعبير والوضوح في الاسلوب .

والتدوين يخرج الباحثين من عزلتهم التخصصية الضيقة رغم عمقها وينقلهم الى ميادين أوسع ، ويلقي عليهم واجباً ودوراً في الحركة الفكرية دون الاقتصار على البحث العلمي ، أي انه ينقلهم الى العمل لخدمة مجتمع أوسع دون الاقتصار على جماعة محدودة من المتصلين بالباحث اتصالاً شخصياً

مباشراً مهما كانت طول مدته وعمقه فهو محدود ، وبذلك يساعد النشر على انماء جو ثقافي عام مشترك ، وعلى تثبيت مكانة الباحث ويشجعه ؛ ويكشف المتين المتمكن ، ويميزه عن الضعيف المهزوز ، حيث يجعل الحكم عليه من جمهور واسع العدد .

ومن أول ما يثيره التدوين هو اللغة التي تكتب فيها الابحاث العلمية ، اذ انها قد تكون باللغة العربية أو باحدى اللغات الاجنبية العالمية . والتدوين بلغة أجنبية شائعة ييسر ان يطلع عليها معنيون من غير أبناء الامة ، ويتاح لها مجال اكتساب مكانة خارجية تعزز مكانة كاتبها ومكانة امته ، كما ان نشرها في لغة يعرفها كثير من العلماء والباحثين والناقدين قد تكون من الدوافع التي تحمل الكاتب على التدقيق فيها والعمل على رفع مستواها لتكون ملائمة لذلك المستوى . وتكون الكتابة بلغة أجنبية لازمة اذا كان البحث يقدم لمؤسسة تتطلب الكتابة بلغة أجنبية ، كأن تكون رسالة ماجستير أو دكتوراه أو بحثاً يقدم الى جامعة أو مؤسسة أجنبية ، غير ان الكتابة باللغة الاجنبية يحرم فائدتها من لا يعرف تلك اللغة من أبناء الامة ، ويضعف الثروة الفكرية في الامة ، ويؤثر في ثقتها بذاتها لانه يضع الحكم على المستوى بيد الاجانب ، كما انه يؤثر في مكانة الفرد في امته ، فالربح الناجم من السمعة العالمية لا يوازي الخسارة الكبيرة التي تحل بأبناء الامة . وقد يمكن التوفيق بين حفاظ الباحث على مكانته العالمية بجانب مكانته في الامة واغنائه ثقافتها بأن يعمل على نشر ترجمة أو ملخص للابحاث المكتوبة بلغة أجنبية التي يضطر الى نقلها الى اللغة العربية .

اللغة العربية والمصطلح العلمي :

ان أهمية دقة التعبير ووضوح الاسلوب يتطلب اتقان اللغة لتكون أداة التعبير عن الانتاج العلمي والفكري ، وأساس اللغة المفردات التي يعبر كل

منها عن فكرة أو يرمز الى شيء ، وبامكان كل انسان أن يستعمل لنفسه ماشاء من مفردات ، ولكنه اذا أراد أن يطلع عليها الاخرون فينبغي ان يستعمل مفردات بمفهومها عند الاخرين ، ومن هذا تبرز في العربية قضايا قد تكون خاصة بها ، أو انها أبرز منها في اللغات الاخرى ، ذلك ان مفردات العربية واسعة جداً ودقيقة وتراكمية وفيها كثير من المترادفات ، أي عدة كلمات للمعنى الواحد أو للمعاني المتقاربة ، ومجال توسيعها مع الاحتفاظ باصولها واسع ، كما أنه توجد فيها كلمات يطلق كل منهما على معنيين متناقضين « أضداد » فالفوائد الكبيرة من سعة اللغة العربية ترافقها صعوبات وعدم التغلب عليها يعرقل تثبيت ونشر البحث العلمي فيها بالمستوى المنشود .

يدعي البعض لزوم استخدام احدى اللغات الاجنبية في تدوين منتوج البحث العلمي لان أغلب الابحاث التي تعبر عن آخر التطور والتقدم في العلوم مكتوبة باللغات الاجنبية ، وان سعة وسرعة هذا التقدم رافقهما توسع في استعمال مفردات أو مصطلحات في تلك اللغات تدفع كثرتها الى الاخذ بسياقها من تلك اللغات ، ولكن هذا الادعاء لا يمكن قبوله قط في الابحاث داخل الوطن العربي ، لان كتابتها بلغة أجنبية يخلق في الباحثين ازدواجية في التفكير بلغة ما يكتبونه ، ولغة ما يتحدثون به في محيطهم ، ومثل هذه الازدواجية تشوش التفكير وتعرقله وتضيع كثيراً من الجهد ، وتقلص الانتاج ، ويمكن متابعة الاطلاع على المنتوج العلمي الجاري باللغات الاجنبية من اتقان تعلم مرحلي لتلك اللغات على ان لا تحل محل اللغة الاصيلة ، ونشر نص أو تلخيص الابحاث المكتوبة بالعربية الى اللغات الاخرى ، ولتحقيق ذلك ينبغي البحث في الأساليب والاحوال التي تيسر اتقان اللغة الاجنبية للباحثين ، بما لا يطغى على اتقان اللغة الوطنية .

ان المفردات هي أسماء لمسميات تختلف في سعتها تبعاً للنمو الحضاري

والفكري ، فكلما اتسعت الحضارة ازدادت المسميات وكثر تداول أسمائها . وكلما ضاقت وتقلصت ، انكمشت وقلت ، والاصل في المسميات أن تسود في مجتمع أفراده متصلون ببعضهم . فهي محدودة بالحدود المكانية لذلك المجتمع ، غير ان الاتصال الحضاري يضيف الى ذلك المجتمع مسميات مما في الحضارة الاخرى ، وأسماء جديدة لما تستعمله تلك المسميات فتزداد المفردات ولكنها تبقى في تطبيقها العملي مقصورة على ما في حضارة المجتمع الذي تسود فيه ، ومن هنا قد يصبح للمسمى أكثر من اسم واحد وهو ما نسميه بالمترادفات وأحياناً بالاضداد .

غير ان تقلص الحضارة قد يؤدي الى العكس ، فتقل المسميات ويهمل استعمال أسمائها ، فتضمر اللغة ، وهذا الضمور قد يقتصر على العامة من المجتمع ، وقد يمتد الى العلماء ، وللعالم حضارة قائمة في ذاته ، وقد تكون حضارته أوسع من حضارة المجتمع الذي يعيش بين أفراده ، فيستعمل كلمات خاصة به ، غير انها تكون محصورة فيه مقصورة على من هم في مستوى فكري يؤهلهم لفهمه .

ان اللغة العربية بامتدادها الزماني والمكاني اكسبت مفرداتها سمات مميزة ، اذ شملت هذه المفردات مسميات متعددة ومنوعة من أرض وما فيها من تربة وتضاريس وتماسك . ومياه وما فيها من مجاري ، ومحاصيل نباتية وحيوانية ، وأحوال مناخية ، وامور تتعلق بأعضاء الانسان وتركيبه وتطوره وسلوكه الفردي والجماعي ، بالاضافة الى مظاهر الحضارة الاخرى . وساعد تنوع مظاهر الطبيعة منذ أقدم الازمنة على كثرة المسميات والاسماء وتعددها .

ان معلوماتنا عن مفردات اللغة العربية في العهود السحيقة في القدم نزرة يسيرة لقلة الوثائق المكتشفة المكتوبة فيها ، غير ان هذا النزر لا يناقض ما نعرفه عن أول أوجها في أواخر العصر الجاهلي وعند نزول القرآن الكريم

حيث كانت لغة عامة نزل فيها القرآن الكريم « قرآناً عربيــاً غير ذي عوج » ، وقد سجل القرآن الكريم عدداً كبيراً من مفردات اللغة العربية لا في المسميات المادية فحسب ، وانما أيضاً في مسميات النظم الادارية والسياسية والاجتماعية بالاضافة الى ما يتعلق بطرق المعرفة والتفكير والعقائد ، وفي ما وصل الينا من الشعر الجاهلي الذي يرقى الى قرن أو يزيد قبل ظهور الاسلام مفردات كثيرة لم تتم فهرستها حتى الان ، وكذلك في الاحاديث النبوية التي تمت فهرستها ، مع احتمال بعض التبديل الذي جرى عليها ابان تناقل رواياتها .

تاريخ المصطلح :.

يظهر القرآن الكريم والحديث النبوي والشعر الجاهلي مــدى كثرة المسميات وتعدد أسمائها في العربية ، فهي تعبر عن أحوال طبيعية وماديــة واجتماعية وسياسية وفكرية متنوعة وواسعة ، وكلها تقريباً تعبر عن بيئتهم وحياتهم المادية والاجتماعية والسياسية ، ولا ريب في ان اصول بعضها ترجع الى أزمنة موغلة في القدم ، ونظراً لقلة الوثائق المتوفرة فانه لا يمكن تتبــع تطورها عبر تلك الازمنــة .

ولما كوّن العرب دولتهم الواســعة بعــد الاســلام ، ازدادت معرفتهم بالمسميات المادية والادارية والاجتماعية والفكرية ، فأبدعوا لبعضها أســماء من لغتهم ، وأبقوا على مسميات اخرى بلغاتها الاعجمية ، وتعرضت الى تطورات واسعة كثير من مسمياتهم القديمة ، وخاصة في الميادين الاجتماعية والفكرية والادارية ، ورافق هذا التطور اعداد معاجم مختصة بجانب معين من المسميات أو عامة لمختلف الجوانب ، وكانت أكثر المعاجم قبولاً هي التي أعدها علماء يقدرون ثقافة عرب الجزيرة ، وخاصة القاطنين منهم في هضبة نجد والحجاز ، فتوسعوا في تثبيتها ، وقلما أشاروا الى الامتداد المكاني والزماني لاستعمالها فأصبحت عند الكثيرين معبرة عن اللغة العربية ومعياراً للاصالة العربية

ركّز أصحاب المعاجم على تحديد معاني الاسماء كما عرفوها من الشعر والقرآن الكريم والحديث النبوي وما سمعوه ابان القرنين الاولين وخاصة من الاعراب ، أو مما في أمصارهم دون ان يعنوا بايضاح التطور الزمني للمعاني أو مدى استعمالها ، فكانت مادتهم تراكمية ً وليست تطورية ً تعبر عن السمات التي سادت ابان ثلاثة قرون ، وكان أكثر استعمالها في مناطق محدودة من جزيرة العرب ، ولم يعنوا بتسجيل ما كان مستعملاً في عدد من اقاليم الجزيرة الاكثر حضارة كاليمن وأقاليم جنوب الجزيرة وشرقيها ، كما لم يدخلوا الا في النادر أسماء ما اضيف اليها بعد توسع الدولة الاسلامية •

كانت العربية لغة الانتاج الفكري بمختلف ميادينه وصوره ، وبها كتبت المؤلفات بمختلف مظاهرها من رسائل أو كراريس أو كتب • ولم ينحصر المؤلفون فيها بمن كانت لغة الام عندهم هي العربية ، وانما عمت على من كانت لغة الام « أو البيت » التي ربوا عليها منذ أول نشأتهم غير العربية ، ويظهر ما وصل الينا من نصوص وأخبار ان اللغات الاخرى اقتصرت الكتابة فيها على الكتب الدينية غير الاسلامية ، كالافستا وكتب الزرادشتيين ، وربما المانوية ، وكتب اليهود والسريان ، علماً بأن الانجيل والعهد القديم ترجما الى العربية وكانا معروفين بهذه اللغة ابان ازدهار الحضارة الاسلامية •

ان عدم وصول شعر أو اشارات الى مؤلفات بالفارسية ابان ازدهار الحضارة الاسلامية هو دليل على انكماش استعمال الفارسية في أوساط المثقفين خاصة ، ويلاحظ ان الخط الفهلوي انحسر استعماله وانكمش ليقتصر على عدد محدود من الدوائر الدينية الضيقة • وان كانت ارومتهم الفارسية ومن تعصب للفرس واعتز بهم وبتراثهم من الشعوبيين المتطرفين كانت كتاباتهم بالعربية ، كما ان مكاتبات الدواوين كانت بالعربية حتى في البلاد التي سيطر

على مقاليد الحكم والادارة فيها حكام من الاعاجم . وقد بدأ احياء استعمال الفارسية في القرن الرابع الهجري ولكنه كان في بدايته ضعيفاً محدوداً جداً ، ولا نعلم مدى انتشاره ، ولكنه اتسع في زمن السلاجقة ، وهم اتراك . وكان انتشاره ابان توسعه محدوداً ، فالكتب المؤلفة فيه قليلة اذا قورنت بالمقدار الكبير الضخم مما كتب بالعربية ، فاللغة العربية ظلت حتى في الازمة التي كثرت فيه الكتابة باللغات الاعجمية هي اللغة الرئيسة للفكر ، علماً بأن اللغات الاخرى ، وأبرزها الفارسية والتركية استعملت الخط العربي وأخذت كثيراً من المفردات العربية ربما تصل الى أربعين في المائة منها ؛ وليس من الصدف أن تكون الاوزان العربية في الشعر هي السائدة في الشعر الذي نظم بغير العربية . ولا ريب في ان اسلوب التفكير العربي والمفردات العربية كان لها دور كبير في انتشار الاوزان العربية .

ان هؤلاء المؤلفين والكتاب ابان ازدهار الحضارة العربية اختلفت اصولهم وارومتهم واللغة التي كانوا يستعملون عند بدء نشأتهم أو في بيتهم ، ولكن كتاباتهم كانت بلغة عربية سليمة في مفرداتها وتراكيبها واسلوبها ، وتبدو فيها السلاسة والانطلاق دون التعقد ، وفيما عدا بعض المتأدبين واللغويين فانهم كانوا يعنون باحكام الفكرة وتوضيحها ، وان التعقيد الذي يظهر في بعضها منبعث من تعقد الافكار لا لقصور وتعقد اللغة التي كانت تستعمل لاشعورياً الا فيما يتصل بالنقل من اللغات الاخرى . وهذا الانطلاق العام ظهر بتشابه أساليب كتاباتهم التي فيها قليل من المفردات الاعجمية ، كالتي اخذت من الاغريقية أو الفارسية ، أما غالبيتها المطلقة فهي عربية ، وان بعضها اتخذ له معاني متعددة تتجلى في الدراسات عن معاني بعض الكلمات .

تزايد تأليف الكتب في مختلف ميادين المعرفة : الانسانية والعلمية في زمن مبكر منذ أوائل قيام الدولة العباسية ، وخاصة منذ زمن أبي جعفر

المنصور (١٣٦ ـ ١٥٨ هـ) وهارون الرشيد (١٧٢ ـ ١٩٣ هـ) أي في الزمن الذي بدأ فيه العلماء يجمعون مفردات اللغة العربية (وهو أصل المعاجم) وينمون علم النحو (سيبويه والكسائي) ووصل الانتاج الفكري مستواه العالي مع أو قبل نمو المعاجم . ولابد ان العلماء كانوا يعرفون العربية السليمة التي تختلف عن لغات الامم الاعجمية ، وعن العامية التي لا نعلم تفاصيل عن مدى شيوعها ، وان الطلاقة التي تتجلى في كتاباتهم تظهر ان القيود التي كانت مفروضة عليهم ضعيفة ، وانهم راعوا الاسس دون تعقيد التفاصيل والتبريرات التي تظهر في كتب النحو .

لا تتوفر معلومات شاملة توضح الطرق التي أمّن فيها النظام التربوي الذي كان سائداً ابان عز ازدهار الحركة الفكرية الحفاظ على مستوى طيب لكتابة المفكرين والعلماء العرب بمفردات دقيقة وأساليب واضحة ، وللقرآن الكريم دور أساسي كبير في تثبيت اللغة وسلامتها عند المسلمين ، وخاصة المختصين بدراسة « العلوم الدينية » التي تشمل علوم القرآن والحديث والفقه ، أما العلوم الرياضية والطبيعية التي كان كثير ممن اشتغل فيها ونقل كتبها الى العربية من النصارى . وقد أشار الى ذلك عدد من القدماء ، فقال الجاحظ عن النصارى « ان منهم كتاب السلاطين وفراشي الملوك ، وأطباء الاشراف والعطارين والصيارفة »[١] « وان في النصارى متكلسين وأطباء ومنجمين »[٢] . وقال أبو الحسن العامري « ان الاكثرين من المترجمين كانوا يتدينون بالنصرانية وبالصباوة »[٣] .

ويتجلى في ما نقلوه من كتب معرفتهم الغنية بمفردات اللغة .

---

(١) الرد على النصارى ١٧ .
(٢) الرد على النصارى ١٦ .
(٣) الاعلام بمناقب الاسلام ١٨٣ .

واتقانهم لتراكيبها ، وتعبيرهم باسلوب سلس عن أفكارهم فيها ، وقد يكون مرجع بعض ذلك ان اصول معظمهم عربية خالصة . وقد ورثوا مع هذه الاصول العربية اللغة السليمة التي نظم فيها شعراؤهم ومنهم المبرزون أمثال عمرو بن كلثوم التغلبي ، والاخطل . وامتد ما ورثوه الى قواعد الكلام أي النحو ، والواقع ان أقوالاً نقلت عن المختصين بالعلم فيها تقدير للنحو باعتباره لا يستغنى عنه في الصياغة الصحيحة للكلام السليم . والواقع ان علماء اللغة والنحو كان منهم مؤدبو أولاد الخلفاء . وهذا يشير الى ادراك أهل العصر أهمية هذين العلمين في البناء الثقافي ، ومما يؤيد ذلك غنى كتب « العلم » العربية بالمفردات اللغوية العربية التي لابد ان معرفتها المتقنة لم تكتسب من مجرد « السماع الصدفي » ، وانما من تدريس دقيق متقن ممتد الى كافة العلماء بما فيهم النصارى ، وان لم تتوفر عنه تفاصيل وافية . ومن مظاهر الاهتمام بهذين الجانبين ان الفارابي في كتابه « احصاء العلوم » جعلهما القسمين الرئيسين لعلم اللسان[1] . وقد أدرك عدد من كبار المفكرين القدماء أهمية النحو في الكتابة ، فجعله الفارابي سابقاً للمنطق في تنظيم العلوم ، واعتبر صناعة المنطق تناسب صناعة النحو ، ذلك « ان نسبة صناعة المنطق الى العقل والمعقولات كنسبة صناعة النحو الى اللسان والالفاظ ، فكل ما يعطيناه علم النحو من القوانين في الالفاظ ، فان علم المنطق يعطينا نظائرها في المعقولات »[2] ، وهو لا يرى ان الدربة والارتياض بحفظ الاشعار والخطب والاستكثار من روايتها يغني في تقوم اللسان وفي أن لا يلحن الانسان في قوانين النحو ويقوم مقامها ويفعل فعلها[3]

(١) احصاء العلوم ٥٧ (طبعة عثمان امين) .

(٢) احصاء العلوم ٦٨ .

(٣) احصاء العلوم ٧٢ .

ويذكر ان المنطق يشارك النحو بعض المشاركة بما يعطي من قوانين الالفاظ ، ويفارقه في ان علم النحو انما يعطي قوانين تخص ألفاظ امة ما ، وعلم المنطق انما يعطي قوانين مشتركة تعم ألفاظ الامم كلها[٤] .

وذكر أبو حيان التوحيدي « ما تعلم الناس الا من المعلم والعالم والنحوي »[٥] . ويدل سياق كلامه ان المعلم والعالم يعلمان علماً واحداً بمستويات مختلفة ، ولكنه يتميز عن ما يعلمه النحوي ، وقد وصلتنا أسماء عدد من علماء النحو المبرزين ، وأسماء كثير من كتبهم ، وبعض هذه الكتب التي تشرح علم النحو بقواعده وتفرعاته وتعليلاته وفرضياته التي لا يجيدها الا المتبحر ، وقد يضل فيها المبتدىء ، ولا نعلم ما كان يدرس من النحو ، ولابد انه كان مبسطاً يبرز فوائده العلمية التطبيقية دون الشواذ .

المصطلح العربي في الزمن الحاضر :

وفي الازمنة الحديثة توسعت في الغرب دراسة العلوم وازدادت العناية بها لما لكثير منها من آثار تطبيقية ، وكثرت فيها المنشورات المطبوعة من مقالات ورسائل وكتب ، معظمها باللغات الاجنبية ، وخاصة باللغة الانكليزية . وازداد ادراك العرب في نهضتهم الحديثة لاهمية العلم ، فكثر توجههم لدراسة مختلف فروعه ، ولما كانت كتب التراث العلمية لا تستوعبه ، فقد توجهوا الى البلاد الغربية للاغتراف من معينها والأخذ من ثمار جهودها فيه ، واتخذ هذا التوجه سبلاً متعددة ، منها متابعة كثير منهم دراسته في جامعات الغرب ومؤسساته ، ومنها اعتمادهم على الاساتذة الاجانب في تدريس هذه العلوم في المؤسسات التي تزايد عددها في البلاد العربية ، ومنها الاعتماد على الكتب المكتوبة باللغات الاعجمية لمتابعة ثمار البحث العلمي ، واتسم هذا البناء

---

(٤) احصاء العلوم ٧٦ ؛ وانظر ٧٧ .
(٥) الامتاع والمؤانسة ١٠٢/١ .

العلمي بالتخصص الدقيق المتعمق وبتزايد عدد المصطلحات الجديدة في كل علم ، بسهم في وضعها علماء متعددون من مختلف الاقطار ؛ وقد اتخذت مفردات هذه المصطلحات أسماء منوعة ، بعضها مستمد من طبيعة العمل ومسماه من احدى اللغات القومية الاعجمية، وبعضها من الاغريقية أواللاتينية؛ وبعضها من أسماء أشخاص ، وخاصة العلماء الذين كشفوا الحقيقة ؛ وفيها عدد غير قليل من أسماء تم اختيارها بصورة كيفية لا علاقة له بالمسمى الذي اطلقت عليه ، ومع ان كثيراً من هذه المصطلحات استعملت في أكثر من لغة . الا انها من حيث العموم أصبحت السمة العالمية للعلم .

ان اتساع المعرفة العلمية ، وكثرة التشابك والترابط بين العلوم اقتضى أن تطول مدة تدريس العلوم ، وأن يتوسع الاعتماد على المصادر المكتوبة باللغات الاجنبية ، خاصة وان المفردات العامة في كتب العلوم الصرفة، والرياضة والطبيعية ، هي أقل مما في كتب العلوم الانسانية ، وأدى هذا الى كثرة استعمال الكتب الاعجمية في تدريس العلوم ، وأخذ البعض يدعي أن اللغة العربية قاصرة عن مواكبة التقدم العلمي . وكانت حجتهم كثرة كتب العلم باللغات الاعجمية ، وتتابع تزايدها ، وقلتها بالعربية وان هذا يدعو الى استعمال اللغات الاعجمية في دراسة كل فروع العلم ؛ ورافقت ذلك أصوات تشير الى ما تراه قصوراً في اللغة العربية وفي مفردات للمسميات المتزايدة في التطور العلمي الأخير وتدعو الى التدريس باللغات الاجنبية، والكتابة بها .

وقد أسهم في توسيع نشر هذه الآراء ومحاولة اخراجها الى حيز العمل جهات متعددة تتربص بالامة وتضمر لها الشر ، ذلك ان اللغة العربية هي ركيزة الهوية القومية ، وأساس تميزها وأكبر مقوم لاهلها ، فزوالها زوال للذات ؛ وترك الامة العربية لغتها يقطعها عن ماضيها ، ويجعلها تابعةً ذيلية لغيرها .

وفي زوالها خسارة لذاتها وللانسانية ، ولكن العربية أقوى وأمنع من أن تزول لانها ممتدة الى كافة الجهات والاوساط ، يثبتها استعمال كافة الناس لها ، ويعززها القرآن الكريم والدين ، ويقويها تراث غني ضخم هو ينبوع خالد ثرّ يغذي اللغة والفكر والروح ، « انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون » ، فالتفكير في الاجتثاث « عبث » و « هراء » وقصره على دراسة العلوم يعزل العلماء من أبناء الامة ، ويخلق فيهم ازدواجية التفكير : لغتان احداهما في الدراسة والانتاج العلمي والاخرى في الحياة اليومية ، انها تولد تفككاً في التفكير والفكر ، وانفصاماً في الشخصية الفكرية ، وبلبلة تضعف من كيانهم وذاتهم ، وهو ليس من مصلحتهم الخاصة ولا من مصلحة امتهم ، ولا من مصلحة الانسانية ، وهو ان افلح على نطاق فردي محدود ، فلن يفلح على نطاق واسع بأي شكل .

فرضت الدراسة في اللغة الاجنبية على من يدرس في الجامعات الغربية ، وعلى عدد محدود من الجامعات والكليات في البلاد العربية ، وخاصة في دراسة العلوم الصرفة والطبيعية والرياضية والطب ، فمكن الدارسين فيها من تعلم اللغات الاجنبية ، ولكن اسهامهم في البحث العلمي ظل محدداً فيها .

غير ان الادراك الايجابي للذات ، والشعور الواعي بأهميته والاعتزاز به تنامى مع ازدياد نشر الثقافة ، وامتد الى مؤسسات التعليم ومعاهده ، وانحسر التعليم باللغات الاجنبية ولم يبق الا في مؤسسات ومعاهد وأقسام محدودة ظلت تتمسك به وتهمس بجدارته ، وتزايدت الجهود لتيسير استعمال العربية لتواكب التطور الحديث ، وكان المنطلق من أساس لاجدال فيه هو أهمية بقائها أداة للفكر بنطاقه العام الواسع بما في ذلك العلوم الصرفة والطبيعية ، ولما كان الموروث من البيت والحياة اليومية غير كاف لرفعه الى السوية المطلوبة ، فكان لابد من تخصيص دروس في مناهج التدريس لاتقان

العربية ، ورفع سويتها عند المثقفين •

تم القضاء على احلال اللغات الاعجمية في الحياة اليومية في البيت والمجتمع ، وانكمش التدريس باللغة الاجنبية في المراحل الاولى من التعليم ، وأخذ يتقلص في معظم فروع العلوم الانسانية حتى كاد يزول ، ولكنه بقي يسير زحفاً في بعض فروع العلوم الصرفة والطبيعية والطبية ، وكان زحفه عملياً لا يسنده صوت عال من الذين يأخذون به ويطبقونه ، وبدأوا يدركون ضعف الحجج التي يستندون اليها والاخطار التي لا توازي المنافع من التمسك به •

ان المبدأ الاساس المثبت هو متابعة استعمال العربية لا في الحياة اليومية العادية فحسب ، وانما في التدوين الثقافي والعلمي بمختلف مستوياتها ، وبما في ذلك التعبير عن الانتاج العلمي بمستواه العالي كيما يواكب المستوى العالمي ويسهم في تقدمه • وقد رافقت ذلك كتابات مختلفة في عمقها ومستواها تظهر مزايا اللغة العربية وأهمية بقائها لغة الثقافة ، وأصبح استمرار الكتابة فيها للوصف لا للدفاع ، فقد استقر الايمان باستعمال العربية وعدم ابدالها وهو من السعة والعمق وقوة الحجة ما لا يحتاج الى دفاع •

اعداد المصطلح :

ان استعمال العربية أداة للتعبير عن الانتاج الثقافي عموماً والانتاج العلمي بالسوية التي ننشدها موازية للمستوى العالمي يتطلب معالجة عدد من الجوانب التي لا يكفي التراث الغني لتحقيقها ، ومن ابرز هذه الجوانب : معالجة المفردات ، والاسلوب وطريقة الكتابة •

فأما المفردات فان التوسع الكبير في ميادين العلوم تطلب تثبيت مسميات لأسماء ذات أهمية أساسية في كل علم ، وهي أسماء كثيرة وتتزايد بتقدم العلم • وقد واجه الباحثون الغربيون الحاجة الى المصطلحات فتابعوا ابتداعها

من منابع متعددة ، فأخذوا بعضها من لغاتهم القومية وما ينسجم مع طبيعة عمل مسمى المصطلح ، وبعضها من الاغريقية واللاتينية اللتين كانتا لغة العلم في العصور القديمة والوسيطة وظلتا الى عصور قريبة مستعملتين في الكثير من جامعات الغرب ، وبعضها من أسماء الاشخاص المبدعين لها ، وبعضها وضعت بصورة كيفية ، ولكن تعميم استعمالها جعلها جزءاً من الكيان اللغوي لتلك الأمم بصرف النظر عن اصولها وانطباق معناها على ما سميت به ، وبذلك كانت مظهراً لنمو تلك اللغات ، واعطيت لها « الشرعية » بتدوينها في المعاجم المعتمدة التي تستمر بزيادة أو تعديل معاني المفردات فيها . وأصبحت هذه المصطلحات مألوفة عند من يدرس مصادر العلم باللغات الاجنبية .

ان الكثرة الهائلة من هذه المصطلحات ، واستمرار تزايدها جعل عدداً من الباحثين الذين يكتبون بالعربية يبقون هذه المصطلحات بلفظها الاجنبي ، وبالحروف الاجنبية أحياناً ، وقد يرجع بعض ذلك الى انهم ركزوا على « المادة » و « الموضوع » دون اللغة ، لان كثيراً منهم ثروته اللغوية غير واسعة ، ودراستهم فيها محدودة ، ولا يتوفر لهم الوقت الكافي للتعريب .

غير ان كتابة أي بحث بالعربية مترع بمصطلحات أجنبية يشوه انسجامه ورصانته ، لان المصطلح ، مهما كانت اصوله ومظهره ، هو جزء منسجم مع الكيان الثقافي والحضاري ، وان أخْذَ الغربيين من اليونانية واللاتينية لا يناقض كيانهم لان لهاتين اللغتين مكانة في هيكلهم الثقافي ، كما أن المبتدعات الغربية مستمدة من بيئتهم ، وبذلك تناسقت هذه المصطلحات مع الهيكل الثقافي الغربي وأئمته .

غير ان استعمال المبتدعات من المصطلحات الحديثة بحرفيتها يختلف في العربية عنه في الاعجمية ، وذلك لكثرتها وغرابة معظمها عن الهيكل الثقافي العام ، والتمسك باستعمالها بشكلها الغربي يجعل كتابة البحث مشوهة وغير

منسجمة ، تخلق ازدواجية في التفكير والذوق الثقافي ، وتضعف الثقة بالذات التي تكون اللغة خير معبر عنها •

المصطلح في العلوم الصرفة والانسانية :

اتخذ نقل العلم الحديث الى العربية سبيلين متكاملين هما النقل بالشفاه في التدريس والمحاضرات ، والنقل بالتدوين في الابحاث والكتب المنشورة سواء كانت مؤلفة أو مترجمة ، غير ان تعدد السبل لا أثر له في وحدة الهدف، وتطلب تحقيقه معالجة أوضاع خاصة ذات أهمية كبيرة ، منها ان تعريب المصطلح يتطلب فهماً دقيقاً للعلم الذي يستعمله ، واللغة التي كتب فيها ذلك العلم ، والهيكل الحضاري الذي نشأ فيه ذلك العلم ، وبجانب هذا يتطلب احاطة واسعة بتركيب اللغة العربية ومفرداتها ونحوها وصرفها وادراك واعٍ أو ذوق فكري يمكنه من اختيار الصيغة التي يراها ، : هل هي اقتباس الكلمات القائمة ، أو نحت أو تركيب ، أو اختيار خاص ، وفي كل هذه الاحوال ينبغي أن تتوفر النية الصادقة لأهمية العمل وفائدته ، غير انه يمكن أن يجد فيهما وضعين متمايزين : أحدهما يتعلق بمصطلح العلوم الصرفة (بما فيها الرياضيات والطبيعيات) والثاني يتعلق بمصطلح العلوم الانسانية • فأما في العلوم الصرفة فان أكثر المتعمقين فيها معلوماتهم محدودة في التراث العلمي العربي وفي ثروة اللغة العربية وقواعد نحوها وصرفها ، وبالمثل فان المتبحرين بالعربية ليست لهم معرفة واسعة بحقائق العلوم الصرفة ، الأمر الذي يؤدي الى صعوبة التنسيق بين مدلول المصطلح وما يقتضي ان يختار له من مسمى ، ولذلك كان التباطؤ والاضطراب واضحين في مصطلحات هذه الميادين ، بالرغم من المفردات العامة التي تستعملها الكتب العلمية غير كبيرة •

اما العلوم الانسانية فان المفردات فيها كثيرة ، ومعظمها مستمد مما استقر استعماله في اللغة المكتوبة فيها ، غير ان تطور هذه العلوم وتركيز

الباحثين فيها اهتمامهم على عرض الافكار دون تدقيق اختيار المفردات ، أدى الى كثرة هذه المفردات وتعدد معاني كثير منها، مما يتطلب لامجرد معرفة اللغة التي كتبت فيها كتب العلوم الانسانية فحسب، وانما تتطلب أيضاً معرفة مفهومها عند الكاتب ذاته ، ويتصل بهذا غنى اللغة العربية بمفردات ممكنة الاستعمال في العلوم الانسانية الحديثة ، ولكن كثيراً من هذه المفردات متقاربة المعنى والفروق بينها دقيقة ، حتى حسبها الكثيرون مترادفات وما هي بذلك ، وان ادراك الفروق الدقيقة بينها يفوت على كثير من المتبحرين بالعربية ، فكيف بغيرهم ، كما ان لبعض المفردات عدة معانٍ بسبب تطورها الزمني أو الى تحديد معانيها باختلاف المجتمعات المتعددة ، وان عدم تعمق الباحث العربي في ذلك قد يزيد الأمر تعقيداً حيث كثيراً ما يستعمل لا شعورياً في كتاباته كلمات لا يدقق في اختيارها لتطابق ما يريد التعبير عنه .

وقف بعض المراكز المختصة بتدريس العلوم الرياضية والطبيعية والطبية بصورة عامة موقفاً معارضاً للتعريب محتجين بقلة توفر المصادر العربية في هذه العلوم ، وكثرة المدرسين والاجانب المشرفين على تدريسها في البلاد العربية ، اضافة الى ان التدريس بالعربية ونشر الابحاث فيها يضعها في نطاق اقليمي ضيق ، ويعرقل متابعة الابحاث في الغرب حيث يتوفر عدد من المختصين المشرفين والاجهزة والآلات .

غير قوة المعارضين بدأت تضعف ، وأصواتهم تخفت ، ونسبتهم تتناقص، وذلك بتنامي الشعور القومي الذي من أقوى مقوماته اللغة ، وكذلك لقوة الحجج التي يصعب نقضها من ان التدريس والبحث في لغة أجنبية يولد في فكر الطالب والباحث ازدواجية في التفكير تتعبه وتشوش ذهنه وتعزله عن مجتمعه ، ويضعف حصوله على تقدير العدد الكبير من أبناء العربية ، علماً بأن المدافعين عن استعمال العربية في التدريس والبحث لا ينكرون بوجوب

العناية بتعليم الطلبة لغة أجنبية تيسر لهم متابعة دراسة ما يكتب بتلك اللغة وقد يمهد الى اعدادهم لمتابعة الدراسة والبحوث في الخارج • وقد أسهم عدد من الاساتذة العرب في هذه المراكز باعداد معاجم اختصاصية في تعريب المصطلحات تيسر استعمالها •

العاملون في تعريب المصطلح :

بدأ التعريب في الزمن الحديث بجهود فردية قام بها الباحثون فاستعملوا كلمات عربية اختاروها لتعبر عن المصطلحات الاعجمية ، وكان كثير من أوائل القائمين بها من المتبحرين باللغة العربية وليس في تلك العلوم ، وتجلى هذا في ما انجزه رفاعة رافع الطهطاوي والناقلون للعلوم التي دُرِّست في مدارس الطب والهندسة في مصر أيام محمد علي •

وتتابع تعريب المصطلحات بجهود فردية متفرقة ، ومختلفة في مقدارها ، وكان غرض معظمها تعميم الثقافة بين الناس ، وخاصة بعد توسع النشر في المجلات أو في الكتب التي تعرض للعامة ، ومما قواها توسع انتشار القراءة وتزايد الرغبة في الثقافة ، وتنامي الشعور بالذات والحرص على توطيده • ورافق ذلك تزايد نشر الكتب التراثية ، من المعاجم وكتب العلوم العربية التي فيها ثروة يمكن الافادة منها في اختيار التعابير العربية للمصطلحات الاعجمية • وقد حققت هذه الجهود الفردية انجازات كبيرة في كثير من ميادين العلوم ، وساعد استعمالها في الكتب على تثبيتها ، غير أن مدى انتشارها كان متبايناً تبعاً لمدى انتشار هذه المؤلفات ، كما أنها لم تكن موحّدة أو منسّقة ، فكان أثرها محدوداً •

ووضع عدد من ناشري كتب التراث فهارس في التعابير العربية التي استعملت في الكتب التي نشروها ، ومقابلها الاجنبي ، وكان هذا خاصة في كتب الادوية المفردة والطب ، ونشر بعضهم قوائم بالمصطلحات العربية التي

استعملها العرب في بعض العلوم ، كما الحق عدد من المؤلفين والمترجمين فهارس بالتعابير العربية التي استعملوها ومقابلاتها الاعجمية .

وظهرت قواميس كان لابد لها ان تثبت المقابل العربي للمصطلحات الاجنبية ، كما ظهرت معجمات اختصاصية في علم خاص نذكر من أبرزها معجم شرف الطبي ، ومعجم مصطفى الشهابي في النبات . وكانت لهذه المعاجم منفعة كبيرة بسبب ما بذل فيها من جهد ، ولانها جمعت شتات معلومات متفرقة ووضعتها في كتب يمكن الحصول عليها ، وزاد من مكانتها سعة معرفة مؤلفيها ، وحرصهم على العربية فكانت مراجع للمعنيين ، ومعتمداً للكثيرين .

وازدادت المعاجم في السنوات الاخيرة ، وقامت عدة مؤسسات بنشر عدد كبير من المعاجم المختص كل منها بأحد مواضيع المعرفة العلمية والتقنية ، واعتمدت في مادتها على جهود مصادر منوعة .

تنظيم توحيد المصطلحات :

وقد انشئت أربعة مجامع هي المجمع العلمي (ثم ابدل اسمه الى المجمع اللغوي) في دمشق (١٩٢٣) ومجمع اللغة العربية في القاهرة (١٩٣٤) والمجمع العلمي في بغداد (١٩٤٧) ، ومجمع اللغة العربية في عمان (١٩٧٨) ، وكانت أهدافها الاساسية العناية باللغة العربية وما يتصل بثقافتها ومن مهماتها الرئيسة معالجة المصطلحات وتعريبها ، وقد كرس كل منها جهوداً كبيرة في ذلك ، واستعانت بعدد من الخبراء المختصين للعمل مع أعضائها في تعريب المصطلحات . ونشر كل منها مقداراً كبيراً مما أعده في عدد من مواضيع المعرفة العلمية ، كما نشر في مطبوعاته أبحاثاً عن اعداد المصطلح العلمي تشرح طبيعة العمل وسبل تيسيره . وكان لمجمع اللغة العربية في القاهرة ، نصيب أوفى في مقدار ما أقره من مصطلحات في ميادين متعددة ، وبعض ذلك يرجع الى قدم تأسيسه ، أما المجمع العلمي العراقي فقد أعد مصطلحات في عدد غير

قليل من المواضيع ثم ركز جهوده على مصطلحات تسعة مواضيع هي : الرياضيات ، والفيزياء ، والهندسة ، والكيمياء ، والطب ، وعلوم الحياة ، والعلوم الزراعية ، وعلم النفس ، والتربية •

ان كافة هذه المجامع هي مؤسسات « رسمية حكومية » يضم كل منها أعضاء من العلماء والاساتذة الذين مارسوا البحث وأدركوا أهمية تعريب المصطلح ، ولهم اهتمامات متعددة تيسر التعاون بين المختصين بالعلوم والمختصين باللغة العربية ، وان قيامهم بالبحث والتدريس ييسر لهم استعمال المصطلحات المعربة التي يقرونها ، كما ان نشرها يتيح فرصة افادة عدد أكبر خارج المجمع •

غير ان المجامع ليست لها سلطات تلزم استعمالها ، فظل تطبيق استعمالها محدوداً غير عام ، وظلت بجانب ما أقرته مصطلحات يختارها أفراد الباحثين في كتبهم ، كما أن عدداً منهم ظل يستعمل المصطلحات الاجنبية دون المعربة ، ثم ان كثيراً من المجامع أعد كل منها مصطلحات في علوم معينة ، وأقر معرّبات يختلف بعضها عما أقرته المجامع الاخرى ، مما أدى الى تعدد المصطلحات للمدلول الواحد ، وزاد في هذا التعدد الجهود الفردية ، وقد سبب تكاثر المصطلحات المعربة ، وتعدد جهات اعدادها ونشرها ، واختلاف مدى تطبيقها ، تعقيدات غير قليلة •

وعندما تأسس اتحاد المجامع اللغوية في سنة ١٩٧٨ كان من واجباته الرئيسة تنسيق المصطلحات وتوحيدها ، غير ان ضخامة عدد هذه المصطلحات وقلة اجتماعات الاتحادات وقصر مدة كل اجتماع تعقده لم تيسر له تدقيق التنسيق على الوجه الاكمل ، فظل كثير مما أقره مثار اعتراض يعرقل تنفيذ تطبيقه ، ثم ان تعطل اجتماعاته في السنوات الاخيرة ، أدى الى التقليل من مقدار انجاز ما ينبغي عليه انجازه ، وتتابع اصدار المصطلحات ونشرها دون

اقرار اتحاد المجامع لها .

وانشأت المنظمة العربية للثقافة والعلوم والفنون مكتب تنسيق التعريب الذي اتخذ مقره في الرباط ، ونشر عدداً من المصطلحات المختصة في عدة ميادين من العلوم ، كما نشرت دورية صدر منها ثلاثة وعشرون عدداً ضخماً فيه كثير من المصطلحات ، وابحاث لعدد منها علاقة باعداد المصطلح وضبطه ، ورعى المكتب عدداً من الندوات لاقرار المصطلحات ، ولكن ضيق مجال توزيع مطبوعاته وافتقاره الى السلطة الملزمة ، وصعوبة تنظيم التعاون مع المؤسسات الاخرى حدّد من أمر عمله .

وفي السنوات الاخيرة قامت عدة مؤسسات في أوربا باستعمال الحسّابات لجرد وتنسيق ما تم اعداده من المصطلحات . وتبذل جهود لاقامة مؤسسات تعمل على جمع هذه المصطلحات في خزين لتنظيم اعداد المصطلحات، بما يقدمه من قوائم شاملة بما تم انجازه من مصطلحات كل علم ، فتتوفر الجهود وتتركز على الاختيار أكثر مما على الخلق والابداع .

غير انه سيبقى للجهد الفردي نصيب كبير في العمل ، فهو الذي يقدم المادة التي تغذي خزين الحسّابة ، ويتابع انماءها ويقرر اختيار ما هو الانسب والاصلح ، وبالسلطات التي تتوفر له يستطيع فرضها .

ان تعريب المصطلحات عمل واسع وأساسي في تثبيت اللغة العربية السليمة في ميدان العلوم ، مما يحفظ انسجام الكيان الثقافي العربي ، وان ما أتمه الافراد والجماعات والمؤسسات جدير بالتقدير غير ان مما يلاحظ عليها :

١ ــ ان تطرّف بعض العاملين في تعريب المصطلحات العلمية العربية في الاصرار على ايجاد مقابل عربي دقيق « جامع مانع » للمصطلح الاجنبي كثيراً مما يؤدي الى جهود مضنية وصرف وقت طويل كثيراً ما تكون

ثماره غير مستساغة لاغرابها أو جمودها .

٢ ــ ان كثيراً من القائمين بتعريب المصطلحات يفترضون شمول اللغة العربية وامكانية مفرداتها وخصائصها وضع مقابل عربي لكل مصطلح أجنبي ، مما يوقعهم في حرج خاصة عند معالجة المصطلحات الاجنبية الموضوعة بأسماء أشخاص أو بأسماء كيفية واعتباطية أو ما تعبر عن حقائق جديدة .

٣ ــ ان معظم العاملين في تعريب المصطلحات اعتمدوا كلياً على عدد من المعاجم العربية القديمة هي رغم دقتها وغناها ركّزت اهتمامها بالدرجة الاولى على لغة بعض القبائل العربية التي ديارها في شبه جزيرة العرب ، أي انها افترضت اقتران العروبة الاصيلة بالبداوة ، وأغفلوا عن عمد تدوين المفردات المتداولة بين كثير من القبائل الاخرى ، وفي مناطق عديدة من الجزيرة ذاتها وبذلك لم يشمل مادونوه على كل ما كان مستعملاً في الجزيرة ، وانما على بعضه .

ثم ان هذه المعاجم لم تدخل كثيراً من المفردات التي شاعت بين العرب من أهل الحضر والامصار والمدن الاسلامية ، بالرغم من أن كثيراً من هذه المفردات عربية في اصولها وأشكالها وأبرز مظهر فيها انها لم تدخل كثيراً من التعابير المستعملة في ميادين العلوم الصرفة ولم تشر الى معانيها عند العلماء .

ومن حيث العموم فان المعاجم العربية « تراكمية » وليست « تطورية » أي انها تضع مختلف معاني المفردات مع بعضها ، دون أن تشير الى أن كثيراً من هذا الاختلاف ناجم عن تنوع المعاني في مناطق متعددة ، أو تطورها على مر الزمن ، فهي تربط المفردات بحضارة واسعة

متطورة ، دون أن تشير الى علاقة معانيها بهذا التطور •

٤ - ان القائمين بتعريب المصطلحات أقاموا تنظيم عملهم على أساس مجموعات المصطلحات الاجنبية ومعاجمها ، أي انهم افترضوا شمول اللغات الغربية وتفوقها ، فكانت جهودهم خدمة تلك اللغات بعمل مقابلات عربية لتلك المعاجم •

وقد أغفل معظم القائمين بتعريب المصطلحات دراسة المفردات الموجودة في الكتب التراثية العربية والتي يمكن الافادة من كثير منها للتعبير عن المصطلحات الحديثة ، اذ في كتب التراث العربي العلمية ثروة كبيرة من المفردات ، التي يمكن جمعها من جرد تلك الكتب ، والحق ان عدداً من الكتب التراثية المنشورة حديثاً يلحق فيها ناشروها قائمة بالمفردات التي وردت فيها ، ويضعون أحياناً مقابلها الاجنبي ، وفيها كثير مما يفيد في ميادين علم النفس ، والادوية والمنتوجات الزراعية والحيوانية والمعدنية وما يتصل بالطب والاجتماع والاقتصاد وتدعو الى الاهتمام بالاستزادة من طبعها وجرد مفرداتها للافادة منها •

العرض واسلوب الكتابة :

ان استعمال اللغة العربية في تدوين ونشر الابحاث أمر مسلّم به ولا يعطله ما تقتضيه الاحوال الخاصة من تدوين عدد قليل من الابحاث بلغة أجنبية أو العناية بتعلم الباحثين لغة ثانية أجنبية لغرض الافادة منها في قراءة المصادر والمراجع ومتابعة التقدم الفكري ، غير ان العناية بكلا الامرين ينبغي ألا يصل الى تحديد استعمال العربية •

واللغة العربية ، شأن أية لغة اخرى ، تشمل المفردات والتراكيب ، وقد بحثنا من قبل في المفردات فلابد من الكلام عن التراكيب التي لم تحظ بالاهتمام الذي يناسبها في الكتابة السليمة • والتراكيب ، تشمل شكل الكلمة

وتنظيم وضعها في الجملة التي هي مجموعة كلمات مترابطة بنظام أو نسق معين يعين على فهمها بأقل جهد عقلي ، وهذا لا يتم الا اذا كان تنظيم صياغة الجملة يسير على نمط مألوف للقارىء •

للنحو مكانة أساسية في تحديد المقصود بعدد كبير من الكلمات ، فانه يحدد الدلالة على زمن الفعل في الماضي أو الحاضر أو المستقبل ، وهوية الفاعل في كتابة أكتب ، وأكتب • ولذلك فانه أساسي في تحديد الكلام• ومن أسباب عدم اتقان مراعاة قواعد النحو هو تعدد أشكالها في اللغة العربية ، والتركيز على تعليم « علم النحو » بما فيه من تعليلات وافتراضات ومصطلحات وتعقد يباعده عن اتقان اللغة ، وهناك ادراك عام بقصور مادة وطرق تدريس العربية في تحقيق الهدف منها ، كانت مبعثاً لدراسات متعددة عرضت فيهـا أفكار بعضها سليمة ، ولكن قليلاً منها أخذ طريقه الى التنفيذ ، وبقيت الحاجة الى معالجة ناجحة تمكن الكاتب من عرض معلوماته على النمط العام المقرر في الكتابة• وقامت بعض المؤسسات بعرض الكتابة على خبراء في اللغة لاصلاحها واقامة ما اعوجّ منها ، ولكن هذا العلاج المفيد مكلف وضيق ، ولابد ان يعتبر وقتياً ، ليحل محله اتقان الكاتب لهذه القواعد وتطبيقها في الكتابة •

ولما كانت قواعد النحو قائمة على صلب اللغة ومرتبطة بها ، فان تعـلم اسسه يتم سماعاً في البيت وفي المجتمع ، غير ان تعدد أشكاله في اللغة العربية دفع الكثيرين الى عدم التدقيق فيه والاقتصار على تسكين أواخر الكلمات والتساهل في ضبطها ، وكان هذا التبسيط أبرز مظاهرها فيه ، وقد تعـددت أشكاله وأحواله ومداه ، ولكنه ظل محلياً وبعيداً عن النسق العام المقبـول عند الغالبية منذ أقدم الازمنة والى ما شاء الله ، غير ان هذه العامية لم تكن قط مقبولة ، وظلت مستهجنة حتى عند من يستعملها •

فاستعمال اللغة العربية السليمة في الكتابة لا يختلف فيها أحد ، ولكن

تسلل العامية كان قوياً لدرجة يتطلب علاجاً لتقليصه واجتثاثه .

عولج هذا العيب بادخال تدريس النحو في المدارس في المرحلتين الابتدائية والثانوية ، وامتد في بعض المؤسسات الى السنوات الاولى من مرحلة ما بعد الثانوية . غير ان هذا لم يفلح في تحقيق الغرض منه ؛ ولم يؤد الى اتقان مراعاة القواعد ، خاصة عند المختصين بدراسة العلوم ممن تتطلب دراستهم الانصراف الى العلوم ، دون قراءة نماذج الكتابة العربية .

ذكرنا ان لكل لغة نظاماً تترتب فيه الكلمات في الجمل ترتيباً معيناً تبعاً لعلاقاتها مع بعضها بما يؤمن الوضوح والتسلسل المنطقي في العرض مما ييسر للقارىء فهم ما يكتب بأقل جهد عقلي . وتختلف اللغات في تنظيم جملها تبعاً لطبيعة تركيبها ، ويثبت هذا التنظيم بالممارسة والتدقيق ، وللغة العربية خصائص تتحكم في الكتابة ، منها ان الجملة تبدأ عادة بالفعل الماضي للفاعل الغائب ، وفيها ثلاث صيغ : المفرد والمثنى والجمع ، وهي لا تشترط استعمال فعل الكينونة ، وتكثر فيها حروف الربط ، ولكل حرف معناه المحدد . وقد راعى الكتّاب بالعربية هذا النظام واتبعوه ، بصورة عامة ، واعتبروا البلاغة في الوضوح أي في اتباع هذا النظام الذي يتطلب البساطة في التركيب الذي يراعي خصائص اللغة العربية .

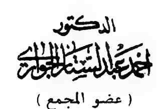
ان لاسلوب الكتابة أهمية بالغة في فهم ما يكتب ، ولابد ان يعني به الكاتب اذا أراد أن يعرف الناس ما يقول ويفهموا ما يكتب ، غير ان عدداً من الباحثين المتعمقين كثيراً ما يعنون بتدوين الافكار دون العناية بصياغتها وكتابتها بالطريقة التي ألفها الناس في اللغة العربية ، ومنهم عدد غير قليل يتأثر في اسلوب كتابة الاجانب ، وهي منوعة فيعرض أفكاره على نمط ما يكتب فيها ، وتكون كتابته نشازاً غريباً غير مألوف للقارىء العربي ، ويتطلب الجهد لفهمه ، وقد يباعده ذلك عن الدقة .

ان الكتابة بالاسلوب الواضح المقبول ذات أهمية أساسية للبحث الذي يراد من نشره أن يستفيد منه القارىء ، وهو يعين على توضيح الافكار وفهم الناس لها ، ومصدره وضوح الفكرة عند الكاتب ، وادراكه « منطق » تنظيم اللغة ، وهذا يتم باطلاعه على أساليب الكتابة وتفهمها ، تلك الاساليب التي منها نماذج رائعة من التراث جديرة بأن يطلع عليها الكاتب ويراعيها ، والواقع ان صدوف الكثيرين عن قراء الكتب العلمية لا يرجع الى غرابة مادتها ، وانما الى الخلل في اسلوب عرضها .

ومما يتصل بالكتابة مراعاة تحديد الجمل واستعمال علامات الفصل من فارزات ونقط ، فانها تعين كثيراً على توضيح الاسلوب ومنهم المكتوب . ومسؤولية مراعاتها تقع على الكاتب لان من يقوم بالطباعة ينقل ما يكتب فحسب .



اللغة والبحث العلمي



(عضو المجمع)

هذا العنوان يمكن أن ينظر فيه من أكثر من جانب واحد .

١ ــ انه يحتمل البحث في مكان اللغة ومنزلتها من البحث العلمي بمعناه الذي يكاد يستقر في الأذهان وهو تحري الحقيقة والاجتهاد في الوصول اليها بالتجربة والملاحظة ، واستقراء أجزائها واستنباط النتائج من ذلك الاستقراء .

٢ ــ ويمكن أن ينظر فيه من جانب علاقة اللغة بالبحث العلمي بوصفها وعاء الفكر ، وأداة التعبير عن الأفكار ، ووسيلة التواصل الفكري بين بني الانســان .

٣ ــ ثم يصح أن تكون طبيعة اللغة وأساليبها المختلفة سواء منها الذاتي الذي ينطلق من شعور الفرد واحساسه وتأملاته ، والموضوعي الذي يتحرى التجرد ويلتزم بالمحسوس والملموس وما يمكن أن يحيط به العقل ويحتويــه الفكر والمنطق .

٤ ــ ومن هذه النظرة يمكن أن تتجه سبيل الباحث الى لغة للعلم والبحث العلمي توافق طبيعة العلم ، وتجري في ميدانه سوية ، لا يجمح بها الخيال ولا يشتط بها التأمل والاستغراق في المطلق والمجرد . وانما تلتزم بالواقع وبالوقائع التي يقع عليها الحس ويحيط بها الادراك .

— ١ —

أما الأمر الأول فانه يتعلق بطبيعة البحث اللغوي من حيث انه دخل أو كاد يدخل في مجال العلوم الطبيعية ويجول في ميدانها • انه اليوم يقوم على الملاحظة والمشاهدة ويستمد مادته من التجربة ، ويستند الى ما تستند اليه العلوم الطبيعية من الاحصاء وبياناته وجداوله وحساباته ، ويجد في المختبر ميدانه ومجال حياته •

ان أصبح مثل علم النفس جزءاً من درس السلوك البشري وحياة الانسان العقلية ، وهو قد انسلخ أو كاد ينسلخ من الفلسفة وتأملاتها واغراقها في السلاسل المنطقية التي ربما أدت الى ما يشبه السفسطة ويتعلق بالأوهام •

ولقد نتج ذلك نتائج قيمة اذ ضرب صفحاً عن اصطناع أساليب في الدرس اللغوي تنأى به عن الواقع ، وتوغل في التصور والتخيل • كأن يتصور عالم اللغة تراكيب وأساليب ليس لها في واقع الاستعمال وجود ، بل قد يتخيل من الاشتقاقات والتصاريف ما لم ينطق به أهل اللغة قديماً أو حديثاً بل لم تدع حاجة الى استعماله أو الركون اليه •

وأحسب أن الاشارة في هذا المقام تكفي وتغني عن ضرب الأمثال فان علماء العربية أدرى بما جر ذلك على قواعد اللغة من تعقيد في التقعيد وتفريع يكاد يضلّ فيه الدارسون والمدرسون ، ويلقون فيه عنتاً ونهكاً بلا طائل ولا ثمرة •

لقد أصبح من واجب البحث العلمي اليوم أن يجعل من علوم اللغة موضوعاً لدراسات تقوم بالطرق الحديثة والوسائل العصرية تقودها التجربة والملاحظة والتزام الوقائع والحقائق المحسوسة والمدركة ، وأن ينأى بعلم اللغة

عن الامعان والاغراق في القياس المجرد والتصور والتخيل الذي لا يكاد يتصل من الواقع بسبب •

ذلك بعض ما يمكن أن يقال في القضية الأولى • وهي ، كما لا يخفى ، قضية ذات خطر كبير في الحياة العقلية والعلمية ، بأنها هي التي تعيد اللغة الى مكانها وسيلة الفهم والتفكير والتواصل الفكري ، بل وسيلة نقل المعرفة أياً كانت صورة تلك الوسيلة سمعية أو بصرية ، مكتوبة أو مسموعة أو مصورة مرئيـــة •

لابد للبحث العلمي اذن من أن يخوض هذا العباب معتداً له بالعــدة اللازمة من الفهم والفقه والذوق ، وبالكثير الكثير من الصبر والأناة وقــوة الاحتمال ، وبالقدر الكبير من تحري الانصاف والموضوعية والاعتـــدال في الحكم على الأفكار والنظريات ومناهج البحث ومنطق العصر الذي تأسس فيه واستند اليه وتشرب روحه واحتكم الى ثوابته ومعادلاته •

— ٢ —

وان مما هو معلوم بالضرورة مدرك بالبديهة حاجة البحث العلمي الى اللغة وافتقاره اليها في كل حال • سواء في ذلك مراحل الملاحظة والمشـــاهدة وتجميع أشتات الأفكار وأجزائها ، أو ضم بعضها الى بعض نظماً في التراكيب والعبارات ثم صوغاً في المقالات أو الرسائل تفصح عن فكرة ، أو تمهيد السبيل الى النظرة والتأمل وتهدي فيه الى سبيل أي سبيل •

وليس يخفى على أحد أن صوغ الأفكار ، بل معالجة أجزائها في الفــكر أو المشاهدة والملاحظة انما تكون باللغة ألفاظِها أو تراكيبها أو جِمّاع كليهما •

فباللغة يفكّر من يفكّر ، يؤلف بألفاظها وتراكيب أجزائها الأفكار ،

وباللغة يعبّر عن تلك الأفكار ، يكتب بها اذا كتب وينطق بها اذا نطق ، وبها تتفاوت الأفكار والنظريات وحقائق المعرفة في الوضوح أو الغموض أو ما هو بين هذا وذاك من الترجح والتردد .

ولقد يذهب فريق من الباحثين والدارسين لأساليب الكلام الى الاقرار بعجز اللغة أحياناً عن الوفاء بالتعبير الدقيق التام عن الأفكار والمشاعر ، ويزعمون أن القائل أو الكاتب أو الشاعر انما يستعين في التعبير الصادق العميق عما في نفسه بما يسمونه موسيقى الألفاظ ، من حيث الانسجام بين أجزاء التراكيب ، وتقسيمها وترتيب تلك الأجزاء تقديماً وتأخيراً ، تقديماً للمهم المعني بأمره ، وتأخيراً لما يكون في اعتبار المنشيء أيسر في بلوغه والوصول اليه .

أو يعمد منشيء الكلام الى أساليب الايحاء والايماء والاشارة ليشرك من يتلقى عنه في استنباط المعنى الذي يقصد اليه والفكرة أو الخاطرة التي يريد أن يعبر عنها .

ونحن ــ أهل هذه اللغة العربية ــ نقول ونعيد مقالة الأوائل في « مطابقة الكلام لمقتضى الحال » ، وعبارتهم الذائعة الشائعة ؛ « لكل مقام مقال » . وفوق كل ذلك قول أمير المؤمنين علي ابن أبي طالب : خاطبوا الناس على قدر عقولهم .

ولعل من أشد آفات المعرفة وأسباب تعثرها ضعف الملكة التعبيرية في كثير من الباحثين والدارسين ، حين يقعد بهم الجهد عن ايصال حقائق المعرفة أو التعبير الدقيق عن تلك الحقائق ، فينقطع ما بينهم وبين مَن دونهم من أهل العلم من أسباب التواصل الفكري ، وتهبط قيمة ما يريدون عرضه واضافته الى المعرفة من جانب ، وتضيع جهود قيمة ثمينة لو ملك أصحابها ناصية التعبير

الواضح السليم لعادت بنفع عظيم ولأثمرت تقدماً ومزيداً من السعة في المعرفة •

ان العبارة الجميلة الأنيقة المشرقة أشبه بالوعاء أو الاناء الجميل النظيف حين يعرض فيه الشراب أو الطعام ، فيتشوف اليه الذوق وتقبل عليه النفس في متعة ذات فروع وألوان • كذلك يستمتع القارىء أو السامع بالعبارة الطلية، سمعه حين يسمعها ، وبصره حين يقرؤها ، وفكره حين يتدبرها ، تتلألأ تلألؤ المعدن الصقيل أو تترقرق ترقرق الماء الفرات ، فتسرع الى الأفهام وتسرع اليها الأفهام لا تقتحمها الوعورة ولا ينال منها التعقيد والالتواء •

وأضرب لذلك مثلين من التراث العريق ومن التراث القريب • فان الامام أبا حامد الغزالي رحمه الله قد عالج قضايا الفلسفة وعلوم العصر في كتبه ؛ فجعلها أقرب الى الأفهام من كل قريب ، وأدخل في الأذواق من كل مستساغ لذيذ • ولعل خلاصة فكره ونظره في العلم وفي الفلسفة تتجلى في كتابه « المنقذ من الضلال » ، وهو من أسلس ما عرفته العربية من أساليب التعبير ؛ ومن أقربها الى النفوس وأيسرها على الأفهام وأبعدها عن التكلف والوعورة والتعقيد •

ومن قبله كان الجاحظ الذي عرض لقضايا العلم ومسائل علم الكلام وغير ذلك من ضروب المعرفة عرضاً يعد من أرفع أساليب العرض الأدبية ومن أنصع ما عرف الأدب العربي من النثر الفني •

أما أمثالهما من المعاصرين فحسبنا بالدكتور أحمد زكي رحمه الله علَماً في تقديم قضايا علوم الطبيعة والأحياء في عبارة يصدق فيها وصف السهل الممتنع ، السهل الذي يسيغه الذوق وتقبل عليه النفس ، الممتنع على من لم تتضح في ذهنه الأفكار التي يجتهد ويكد ويشقى في التعبير عنها ، ومن يقعد به العجز عن الاعراب والابانة وحسن التعبير •

ومن عرف هذا الجيل من أعلام أهل العلم أستاذ صرف وكده لفرع من فروع ما نسميه الفيزياء وهو فيزياء البصريات وبلغ فيه مبلغ الثقـات الذين تحتفل بهم محافل العلم وتأخذ عنهم مراجعه ومصادره في سائر بلاد العـالم المتقـدم •

كان هذا العالم الجليل لا يتردد في أن يتحدث في أمور هذا العلم الدقيق المسائل العسير التناول في محاضرات عامة ، يستمع اليه فيها المختصون وغير المختصين فيجد فيها كلا الفريقين طِلبته وفائدته ، كأنما يتحـدث الى كلٍّ بلسانه ووفق مراده • ذلك هو الأستاذ مصطفى نظيف رحمه الله •

ومن قبل كان الأستاذ أحمد أمين رحمه الله ، فقد استجمع أسباب الفكر الاسلامي وجزئياته وكبريات قضاياه وتمثلها في فكره تمثل الزهرة الزاهية أو الثمرة اليانعة لكل ما في الهواء والماء والثرى من قيم الحياة ، ثم أخرجها في صورة آثاره الخالدة فجر الاسلام وضحى الاسلام وظهر الاسلام ، تاريخـاً للفكر الاسلامي جمع فأوعى ، في لغة واضحة وأسلوب قريب التناول لا يكاد قارئه يحس بمشقة أو يشعر بوحشة على الرغم من دقة ما عالج من مسائل وما أوجز من الأفكار والعقائد والمذاهب •

— ٣ —

ان من أهم ما يحتاج اليه البحث العلمي في شتى مراحله وسيلة للتفكير ميسّرة لا يجد فيها طالب العلم عنتاً حين يلتمسها ويسعى اليها ، ومعلوم أن وسيلة التفكير هي اللغة •

وهو يحتاج في اختزان حقائق العلم أو نظرياته الى وعاء يتسع لتـلك الحقائق أو النظريات فلا يزحم بعضها بعضاً ، ولا يختلط فيه الحابل بالنابل

كما يقال • وعاء رحب واضح المعالم بيّن الدلائل لا يضل فيه الباحث أو الدارس ولا تعمى عليه السبل أو تتفرق به • وهذا الوعاء المراد الذي لا بدّ منه هو اللغـــة •

ولابد من بعد أن يكون التواصل بين الباحث ومن يأخذ عنه أو يتابـع مساعيه في البحث متين الأواصر قوي الأسباب ، وخير موصل بين العاملين في البحث العلمي وبين من يتلقون عنهم اللغة • اللغة التي لابد أن يجتمع لها من الصفات والخصائص ما يمكن اجماله في ما يأتي :

أ ــ وضوح يجلو الحقائق ويعين على فهمها واستيعابها •

ب ــ دقة تعصم من الخطأ وتجنب من الفضول وتطابق المراد •

ج ــ بساطة وبعد عن التعقيد الذي يسلّم الى الابهام وينشر على الحقـائق ظلالاً تعوق رؤيتها واضحة ، أو تشوه مرآها ومنظرها •

هذا من جهة التراكيب والعبارات ، أما الألفاظ وأعني بها المصطلحات : فانها ينبغي أن يراعى في وضعها أن تكون صادقة الدلالة على المعنى العلمي الذي يراد بها ، بعيدة عن كل ما يورث الالتباس أو يوقع في البلبلة •

ومن المهم أيضاً أن يكون اللفظ الاصطلاحي مأنوساً محدد الدلالة واضح المفهوم قريباً الى الأفهام •

ــ ٤ ــ

ان لغتنا العربية من أصلح اللغات للبحث العلمي ومن أكثرها قرباً من مزاج العلم وأساليبه في التعبير وفي التفكير وفي التواصل الفكري •

ويسبق الى الخاطر هنا قول حافظ ابراهيم رحمه الله في الحديث بلسانها :

وسعتُ كتاب الله لفظاً وغاية
وما ضقت عن معنى به وعظات
فكيف أضيق اليوم عن وصف آلة
وتنسيق أسماء لمخترعات

وهذا حق واضح لكل من تدبر آي الكتاب الحكيم ، سواء ما تعلق منها بالهداية والارشاد وتثبيت العقيدة واليقين ، أو ما عالج منها شؤون الحياة في التشريع وتهذيب العقل وتربية النفس .

ان من أهم مزايا العربية وخصائصها أن يكون الكلام بها بليغاً ، ومعنى البلاغة هو ابلاغ اللفظ مفرداً أو مركباً ما يراد به في أيسر وسيلة وأقرب سبيل ، بحيث لا يجد من يتلقاه عنتاً ولا مشقة في الانتفاع منه أو التأثر به .

ويكثر عند البلغاء حديثهم عن الاصابة ، ويمثلون لها بقول قائلهم في وصف البليغ انه يصيب المحزّ ويطبق المفصل تشبيهاً بمن يحسن تقطيع اللحم فيصيب مواضع القطع من غير أن يكثر من الحز أو يتعثر فيه فيفسد بذلك مادة ما يقطع ويعبث بها .

ومما يستكره عند أهل البلاغة ويستهجن ما يعرف بالتعقيد ، سواء منه التعقيد في الألفاظ والتعقيد في التراكيب ، ويقول قائلهم حين يمدح خطيباً بليغاً :

وتجنبت هجنة التعقيد .

فالوضوح وقرب التناول اذن من أهم مزايا الكلام العربي ، وهو الذي يهواه العلم ، ويصبو اليه البحث العلمي .

ومن المحسنات البلاغية التي يكتسب بها الأسلوب البليغ جمالاً وتنسيق العبارات بحيث تقسم أجزاء متناسقة ، يتصل بعضها ببعض وصلاً ظاهراً بحروف العطف ، أو موحياً بطريق الفصل الذي يعرفه أهل البلاغة مما يعرف بكمال الاتصال أو كمال الانقطاع . أو شبه كمال الاتصال وشبه كمال الانقطاع . فيكون هذا التقسيم عوناً على الايضاح وحسن البيان ، ومدخلاً الى تيسير عرض الأفكار : حقائق أو نظريات بحيث تقسم أجزاء متكاملة متناظرة ، عرضاً ينأى عن الالتواء الذي يجهد الفكر ويشغله بفهم تركيب اللفظ عما يراد به من معنى .

ولعل من المفيد أن نعيد الى الأذهان المقالة الذائعة الشائعة عن مطابقة الكلام لمقتضى الحال فان فيها جوهر المسألة البلاغية وملاك أمرها .

(والله يقول الحق وهو يهدي السبيل) .



الكتاب العلمي العربي

دواعيه واوضاعه ومستلزماته



استاذ الهندسة المدنية بجامعة بغداد
(عضو المجمع العلمي العراقي)

نبذة تاريخية

ادرك الانسان العربي منذ اقدم العصور ما للمعرفة المنظمة بحقائق الكون من اهمية في الحضارة والتقدم ، فعُني بالمادة المكتوبة لانها تحفظ له سجلا للعلوم والمعارف والنظريات والتجارب والنتائج ومختلف الأحداث ، يعود اليه الدارس للتعلم منه ، والعالم والباحث لتحديثه ونقده والاضافة اليه ، وتتناقل الأجيال مادته للاعتبار بها والافادة منها .

وقد وُجد في معبَد المدينة البابلية القديمة (نفّر) — قرب مدينة عفك الحالية — مكتبة جيدة تضّم عشرات الالوف من الرقوم الطينية تعود الى النصف الاول من الألف الثالث قبل الميلاد (١) . وتعّد مكتبة اشور بانيبال الشهيرة في نينوى اغنى مجموعة من نوعها في العالم ، وتضم نحوا من ٢٥٠٠٠ من الرقوم الطينية فيها مواد علمية وأدبية وفنية واقتصادية وعقود ورسائل وغيرها . وكان من عناية هـــذا الملك بالثقافة والعلم انه كان يرسل مبعوثيه للتفتيش عن

---

(١) انظر :
طه باقر — « مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة » ؛ ج ١ ، ص ١١٩ ، بغداد ، ١٩٧٣ . وانظر ايضا :
((Encyclopaedia Brittanica)) , 'Macropaedia' , v. 10, p. 856, 15th. Ed., 1974 .

الكتابات القديمة في قطري سومر واكد العريقين في المدنية لاستنساخها لمكتبته (٢) .

الكتاب في العصر العربي الاسلامي

وشهد انتعاش الحضارة العربية في العصر الاسلامي نشاطا عظيما في الحركة العلمية . وبذل خلفاء بني العباس بسخاء لترجمة علوم اليونان والهند ، وكان بيت الحكمة الذي أنشأه المأمون مناراً للعلم وملتقى للعلماء . وقد رعى العرب آنذاك علوم من سبقهم وطورها وزادوا عليها الشيء الكثير من عندهم . وكانت العلوم تنتشر والمخطوطات تتنقّل بين مشارق البلاد العربية ومغاربها بسرعة عجيبة ، وان لم يكن لديهم من وسائط النقل غيرُ الدوابّ والأرجل .

ثم خيّم على هذه البلاد عصر من السبات والتخلف ، فبقيت تدور في بُحرانٍ من الظلام العلمي والثقافي في الحين الذي كان الوعي العلمي فيه ينفذ حثيثا الى اقطار اوربا التي كان ما نقلته عن العرب من العلوم والمعارف مرتكَزاً أساسيا لها في مسيرتها العلمية الجديدة .

الكتاب العلمي منذ انتشار الطباعة

وزامن انتشارَ الطباعة في اوربا في القَرن الخامسَ عشر بدءُ ثورة علمية سريعة : فصار الكتاب المطبوع يمهّد لتقل العلوم وانتشارها على نطاق لم يسبق له مثيل . واخذ زخم الحركة العلمية يتضاعف منذ القَرن السابعَ عشر عندما صارت نتائج البحوث العلمية تنشر بصيغة مقالات قصيرة في المجلات والدوريات العلمية . غير أنه مهما يمكنْ ان تؤدّيَهُ المقالة العلمية المنشورة في مجلة . او المذاعة بوسائل الاعلام او التسجيل الحديثة ، يظَلّ الكتاب هو الوسيلةَ الأهمّ في ايصال العلم المعاصر الى الطالب والمتعلم . فالكتاب فيه تفصيل

(٢) انظر : George Roux — ((Ancient Iraq)), p. 323, Pelican Books, Middlesex, 1966 .

لخلفيّة المادة ، وفيه تسلسل منطقي لعرضها ، مما لا يجده القارئ في المقالة العلمية ، التي يتوخى كاتبها بالدرجة الاولى عرض فكرة جديدة للقارئ المتخصص في صفحات معدودات . ولا يمكن له ان يتناول فيها جميع ما يتعلق بموضوعها من خلفية وتفصيل ، هذا فضلا عن ان العثور على كتاب في موضوع معين في مكتبة متخصصة أسهل عادة واكثر احتمالا من وجود مقالة وافية في مجلة في ذلك الموضوع .

لماذا الكتاب العلمي العربي

ومهما حصل ويحصلُ من بوادر النهضة واليقَظَة الفكرية العربية في هذا العصر ، مازال الكتاب العلمي العربي يفتقر الى أدنى المتطلبات اللازمة لتأدية دوره على الوجه الصحيح في نشر العلوم ، سواءٌ من حيث الوفرةُ أو من حيث النوعية .

ولكن لماذا الكتاب العربيّ ؟ سنفترض بدءاً أن حتمية التعريب ، من حيث كونُه من اهمّ مقومات وحدتنا القومية ، وأرسخِ دعائم العزّة والسيادة ، وأبرزِ مظاهر الانتماء . باتت من الحقائق المقرَّة التي نحن في غنى عن تكرار الكلام عليها . ولنا ان نضيف الى ذلك انه لا يمكن ان يكون لنا علم عربيّ أصيلٌ نابعٌ من تربتنا اذا بقينا عالةً على لغة أجنبية في عامنا وتعليمنا وكتابنا العلمي . ومن ثَمّ يحسُنُ الوقوف قليلا على بعض الفوائد العملية المباشَرة التي يمكن ان نجنيَها من التعريب والكتاب العلمي العربي . ويحلو لي هنا الحديث عن تجربتي على مدى سبع وثلاثين سنة متواصلة في التعليم الجامعي درّست فيها مادة اختصاصي في ميكانيك الموائع وموضوعاتٍ هندسية اخرى فأمضيت ثلاثين سنةً منها في التدريس باللغة الانكليزية ، والسبعَ السنواتِ الاخيرةَ باللغة العربية . لقد ثبتَ لي بما لا يقبل الشك ان استيعاب الطالب لمادة المحاضرة الملقاة باللغة العربية ، لغته ولغة اهله وقومه ، وضبطَهُ وتدوينَه للمحاضرة ، اكملُ وأسرع كثيرا منها باللغة الانكليزية ،

حتى بات في الامكان التوسّعُ في مادة المنهج . واغناؤه بالكثير من حلّ الأمثلة ، والاجابةُ عن الأسئلة ، والمناقشةُ ، مما لم يتّسع الوقت لبعض منه في السابق . وتأكد لي أيضاً ان قراءة ثلاث صفحات أو اكثرَ ، من الكتاب العلمي العربي ، وفهمَ مادتها وهضمَها ، أسهل على الطالب من قراءة صفحة واحدة من الكتاب الانكليزي واستيعابها . لما يجدُه الطالب في اللغة الأجنبية مما يُشكِلُ عليه فهمُه من التعابير والتراكيب والالفاظ الغريبة عليه . وهكذا كان اختيار اللغة العربية مما يَسّر للطالب مزيدا من الوقت لتقصّي كتب المراجع العلمية عداالمقررات الدراسية ، مما لم يكن يتيسّرُ له قبل تعريب المحاضرة والكتاب .

هذا ولاشك في ان اشاعة استعمال الكتاب العلمي العربي وتعريبَ التعليم في الكليات العلمية صار يزيد من اقبال خرّيجي الدراسة الثانوية على الفروع العلمية التي كانوا يعدلون عنها الى الفروع الادبية والانسانية بسبب تخوفهم من اللغة الأجنبية .

ومن الناحية الثانية . لا يخفَى أننا اليوم في أمسّ الحاجة الى نشر كتاب التبسيط العلميّ على أوسع نطاق ، للخروج بالعلم من دائرته الضيقة في الجامعة والمدرسة وجعلِه في متناول مدارك الجماهير التي تفتقر أشدّ الافتقار الى المعرفـة ببسائط العلم وأولياته في هـذا العصر عصر الحضارات الصناعيـة والتّقْنيّات .

معدلات انتاج الكتاب العلمي العربي مازالت هزيلة

ولكنّ مما يدعو الى الأسف حقّاً ان انتاج الكتاب في العالم العربي مازال هزيلاً جدا اذا قورن بانتاجه في البلاد المتقدمة . بل حتى عند مقارنته بمعدل الانتاج في العالم بأجمعه . وتشير احصاءات اليونسكو الى أنّ عدد عناوين الكتب المنتَجة في العالم عامَ ١٩٨٠ في جميع الاختصاصات بلغ ٧٢٦٥٠٠

عنوان ، وأن الصادر منها في الاقطار – ومن ضمنها روسيا – كان ٤٠٦٠٠٠ عنوان ، وان الصادر في الأقطار العربية كان نحو ٧٠٠٠ عنوان فقط . وهذا يعني أن عدد العناوين في الاقطار الاوربية كان بمعدل ٥٤٢ عنواناً لكل مليون نَسَمة ، وأنه في العالَم اجمعَ كان بمعدل ١٦٤ عنوانا ، في حين لم يبلغ هذا المعدل في اقطار العالم العربي سوى ٤٣ عنوانا فقط لكل مليون نَسَمَة (٣) . اي ان معدل الانتاج الأوربي لكل مليون نسَمَة بلغ قُرابةَ ثلاثَ عشرةَ مرةً بقدر الانتاج العربي ، وحتى معدل الانتاج العالمي بلغ زُهاء أربعةِ أضعاف معدل الانتاج العربي ، كما يظهره الجدول – ١ . وفي كل هذا بيان ساطع لمدى تخلفنا عن الركب المتقدم ،

الجدول – ١ : بعض عناوين الكتب المنتجة عام ١٩٨٠

	عدد العناوين	عدد النفوس(٤) لعام ١٩٨٠	عدد العناوين لكل مليون نسمة	عدد اضعاف الانتاج العربي
العالم	٧٢٦٠٠٠	٤٤١٥ مليون	١٦٤	١٦٤÷٤٣=٣,٨١
اوربا بضمنها روسيا	٤٠٦٠٠٠	٧٥١ مليون	٥٤٢	٥٤٢÷٤٣=١٢,٦
الاقطار العربية	٧٠٠٠	١٦٣ مليون	٤٣	١

وحتى عن الركب العالمي ، في هذا المضمار .

وتجدر الاشارة هنا ايضا الى انه يمكن الاستدلال على وجه التقريب من

(٣)
United Nations Educational, Scientific and Cultural Organization (UNESCO) — ((Statistical Yearbook - 1982)), table 6.1, p. VI - 11, Paris, 1982 .

(٤) المصدر نفسه : Table 1.1, p. I - 7 .

أحسن النتائج الاحصائية المتوفرة للسنوات ١٩٧٨ و١٩٧٩ و١٩٨٠ في احد عشر قطرا عربيا ، بأن نحو ٢٥ بالمائة فقط من مجموع هذه العناوين الصادرة سنويا هو في العلوم الصرف والعلوم التطبيقية . أما البقية ففي الاداب والفنون والعلوم الانسانية ، كما يبينه الجدول ـ ٢ .

الجدول ـ ٢ : العناوين العربية في العلوم الصرف والتطبيقية والمجموع الكلي في مختلف الاختصاصات ، في ١١ قطرا عربيا (٥)

القطر	السنة	مجموع مختلف الاختصاصات	العلوم الصرف	العلوم التطبيقية	
الجزائر	١٩٧٩	٢٧٥	٥٠	٣٥	
مصر	١٩٧٨	١٦٨٠	١٤٣	١٩١	
العراق	١٩٧٨	١٦١٨	١٣٤	٣٨٠	
الكويت	١٩٨٠	٢٥	—	٢	
ليبيا	١٩٧٨	٤٨١	٣١	٧١	(نسبة العلوم الصرف والتطبيقية
قطر	١٩٧٨	٢٧٠	٢٢	—	الى مجموع الاختصاصات
السعودية	١٩٨٠	٢١٨	١	١١	=٥٠٧٠÷١٢٦٤
السودان	١٩٧٩	١٣٨	٢٨	٦	=٢٤,٩٣٪ اي نحو الربع)
سورية	١٩٧٨	٢٣٠	٣٥	٧٨	
تونس	١٩٧٩	١١٨	٣٤	١٢	
الامارات	١٩٧٨	١٧	—	—	
			٤٧٨	٧٨٦	
المجموع		٥٠٧٠	١٢٦٤		

(٥) United Nations Educational, Scientific and Cultural Organization (UNESCO) –« الحولية الاحصائية للدول العربية ـ ١٩٨٢ » , Paris 1983 (أعد الجدول اعلاه ونتائجه استنادا الى المعلومات الواردة في table 6.2 , p. VI - 17 من المصدر المذكور) .

وهذا يُظهر ان ما يصدر سنويا من العناوين العلمية في الوطن العربي قليل بدرجة فظيعة ، اذ يمكن القول بان معدله لا يتجاوز نحو ١١ عنوانا لكل مليون نسَمَة من ابناء هذه الأمة . علما بان هذا العدد يشمل الكتب العلمية من جميع المستويات ، فيدخل فيه كتب التبسيط للجماهير . وكتب الدراسات الاولية ، والثانوية ، والجامعية ، وكتب الاختصاص ، وكتب المراجع ، جميعا .

الكتاب العلمي العربي والترجمة

اما من حيث النوعيةُ فان الكتاب العربي على العموم مازال دون المستوى المطلوب بالمقاييس المتعارف عليها عالميا . ومن هذه المتطلبات ما يتعلق بمحتوى الكتاب ومادته . اوبلغته وأسلوبه ، أو بتبويبه وفهرسته ، او بطبعه واخراجه ومظهره .

ولما كنا سنبقى في هذه المرحلة نعتمد الى حدّ كبير في كتابنا العلمي العربي على مادة الكتاب والمرجع الأجنبي ، فسيظلّ للترجمة دورها الكبير في هذا الشأن . ومن هنا يلزم التفريق بين كتاب التأليف ، وكتاب الترجمة ، وكتاب الإعداد الذي تُجمَع مادته من كتب اجنبية مختلفة ويُعَدّ بالتنسيق والتأليف فيما بينها .

فأما كتاب التأليف فلا ينهض بأعبائه الاّ ذو الخبرة الطويلة ، المتضلعُ في مادته ، المتمكن من اللغة العربية ووسائلها . واولاءهم قلة ، وقد تحدوهم دوافع علمية الى التأليف ، ولكن قد تؤخرهم عنه عوائق فنية ، او نُزرةٌ في العوَض المادي ، فيجب تذليل العقبات امامهم ، مما يتعلق بالنشر والآلة الطابعة والطبع والتوزيع وغيرها ، واجزال الحوافز لهم .

والملاحظ ان كتب الإعداد قد ينهض بها من هم دون هؤلاء في الخبرة العلمية بعض الشيء ، وان تكن من مستلزماتها الأساسية المعرفةُ الجيدة بكلتا اللغتين الأجنبية والعربية .

الترجمة وكتاب التبسيط

ويمكن القول باننا في هذا العصر سنبقى الى أمد غير وجيز بحاجة الى الترجمة في تهيئة الكتب العلمية التي نتوخى بها تبسيط العلم للجماهير . ولكننا نلاحظ ان بعض هذه الكتب يُقْدِم على ترجمته أفراد قد يكونون متمكنين من اللغتين الاجنبية والعربية ولكن تعوزهم المعرفة العلمية الكافية بموضوع الكتاب المترجم ومصطلحاته . أمثال هذه الترجمات قد تكون مسبوكة العبارة حسنة الاسلوب ولكنها قد لا تخلومن الأخطاء العلمية التيتجلب الضرر الى القارئ بدلا من منفعته . ولذا لا يحسن ان تنشر من دون ان يشارك في اعدادها متخصص في مادتها العلمية ، أو ان تعرض عليه لتأييد صحة محتواها في الأقل.

وقد يحسُن في الأغلب ان تترجم كتب التبسيط بتصرف ، فيزيدَ فيها المترجم شرحاً بعض الشيْ . ويفسِّرَ معانيَ المصطلحات العلمية الواردة في سياق مادتها ، ويَنقُصَ منها الكثير من التفصيل والاستطرادات الجانبية والتحليلات الدقيقة مما قد تحتاج اليه الكتب المنهجية وكتب المراجع ولكنه لا يلائم القارئ الاعتيادي . فان كتب التبسيط يقرؤها اناس بمستويات مختلفة من المعرفة . فلا يجب ان نرقى في اسلوب عرضها ودقة تفاصيلها وسعتها الى مستوى الكتب المنهجية الجامعية ، ولا ينصبَّ فيها الاهتمام على حشد قَدْر كبير من الموادّ العلمية الجامدة غير المرتبطة بالواقع مما يؤدّي الى سرعة مَلَل القارئ ، وانما توضع بلغة سهلة مفهومة تُراعى فيها حاجةُ جُمهور القرّاء . وقابليانُهم في القراءة . وخلفيّتُهم العلمية المحدودة .

الترجمة والكتاب المنهجي

ولعل كتب الترجمة من غير تصرف هي الأكثر الآن في الكتب العلمية المنهجية ، ولاسيما الكتب الدراسية الجامعية ، وكتب المراجع ، وأمثال هذه

الترجمات يجب ان تكون مواكبة لتطور العلم فتستند الى آخر الطبعات وتعرض أحدث المعلومات في موضوعاتها . وكثيرا ما تكون هذه الترجمات من عمل أناس تخصصوا في الخارج ، ثم قاموا بالترجمة خلال السنوات الباكرة بعد عودتهم . وقد يلاحظ ان بعضها يعوزه ادنى متطلبات الكتاب الجيد . فقد تطغى حرفية الترجمة على بعض نصوصها حتى ان قارئها ليتيه في جمل وتراكيب هي في واقعها أجنبية مكتوبة بالفاظ عربية ، فلا يكاد يفقه لها معنى ، ويكون أدعى الى فهمها ان يقرأها بأصلها الأجنبي . العلة هي أن بعض اولاء يظن أن تعلم المادة العلمية بلغة اجنبية كاف وحده للنهوض بمهمة الترجمة . والواقع انه قلما يقدر على تقديم ترجمة جيدة من لا يستطيع هو نفسه ان يكتب مقالة بمستوى مقبول .

بعض مستلزمات الترجمة العلمية

ان اهم مستلزمات الكتاب المترجم الجيد الأمانة العلمية ، والدقة في الترجمة ، وسلامة اللغة ، ووضوح العبارة . وهذه أشياء لا تتوفر الا اذا توفرت للترجمة أركانها الثلاثة : المعرفة العميقة بمادة اختصاص الكتاب المترجم ، والتمكن الواسع من اللغة الأجنبية المترجم منها وأساليبها وتراكيبها ، والاتقان الجيد للغة العربية وقواعدها ووسائلها في التعبير . وهذه المتطلبات كلها متداخلة متلازمة يشد بعضها بعضا ولا غنى عن اي منها في تحقيق ترجمة جيدة .

ويتبع ذلك ان الترجمة قد تستلزم تغييرا في ترتيب الألفاظ والعبارات ، وفي الادوات التي تربط بعضها ببعض ، وفي استعمال المجاز او عدمه ، اذ أن لكل لغة مصطلحاتها وتراكيبها وطرائقها .

ولعل من المناسب ايراد مثالين او ثلاثة لما قد ينتج عن ضعف المترجم في اللغة العربية من حرفية الترجمة وركة العبارة وعجمتها ، أو ما يسببه

عدم اتقانه اللغة الأجنبية وأساليبها ، او عدم تمكنه من المادة العلمية ومصطلحاتها.
فقد ترجم أحد المشتغلين هذه العبارة :

These are machines for simply fitting together or separating metal parts, or metal and non - metal parts.

فجاءت ترجمته : « وهي آلات لوضع أجزاء معدنية في مكانهـا المتوافق بسهولة مع أجزاء . أو مع غير معدنية أخرى بسهولة ، أو فصلها عن تلك الأجزاء » . وغير خاف ما في هذه الترجمة من حرفية وغموض وعدم تماسك . مع ان الجملة كان يمكن ان تترجم بالصيغة السهلة : « وهي آلات لتسهيل الوصل أو الفصل بين الأجزاء المعدنية ، أو بينها وبين اجزاء غير معدنية » ، أو بأي صيغة اخرى من هذا القبيل .

وترجم بعضهم كتابا عنـوانه descriptive geometry فأسـقط أداة التعريف من العنوان العربي للكتاب الذي ظهر بعنوان : (هندسة وصفية) التزاما لحرفية الترجمة . وبقي هكذا نكرةً نابية حتى اصلحه في طبعة الكتاب الثانية فجعله (الهندسة الوصفية) . وترجم آخر كتابا في هندسة الأسس عنوانه foundation engineering فجعلـه (هندسة الأسـاس) بدلا من (هندسة الاسس) وفاته ان التركيب الانكليزي من هذا القبيل يُقصد به معنى الجمع وان لم يَستعمل أداتَه . ومثله ترجمة بعضهم تعابير مثل book store و horse thief (بمخزن الكتاب) و (سارق الحصان) والمراد (مخزن الكتب) و (سارق الخيل) .

ومن أمثلة الخطأ الذي قد يقع فيه غير المتخصص ترجمةُ تعبيرٍ مثل switch gear (بمعشّقات الإبدال) والمراد به في الهندسـة الكهربائية (عُدّة الإبدال) ، وسبب الخطأ ان للفظ gear دلالتين لغويتين فلم يعرف المترجم ايهما المقصود . وترجمـةُ تعبير personal equation في علـم

المساحة (بالمعادلة الشخصية) في حين أن المقصودَ به (خطأُ الراصد) (٦) ، وهذا بعيد كل البعد عن الدلالة اللغوية للتعبير ، ومثله ترجمة adopted street في هندسة الطرق (بالطريق المختار) مع ان المراد هو (الطريق المحليّ) (٧) . ومثل هذا كثير .

ولما كان من النادر وجدانُ المتخصص المتمكن في علمه المتضلع في كلتا اللغتين الأجنبية والعربية فالغالب ان تستدعي الحاجة ان يستعين العالم المتخصص أهلَ اللغة لامكان تهيئة الترجمة الدقيقة الأمنية الجيدة السبك الواضحة العبارة . اي انه يجب في كثير من الأحيان ان تكون الترجمة عملا جماعيا تعاونيا .

والمترجم في جميع الأحوال لا غنى له عن المعجمات ، سواء منها المعجم المتخصص ، والمعجم الأجنبي ، والمعجم الأجنبي – العربي ، والمعجم العربيّ ، وحتى المعجم العربي – الاجنبي . فهو يحتاج اليها جميعاً ليعود اليها باستمرار تدلُّهُ على المعاني والمصطلحات ، ويتحقق فيها عن بعض الدلالات ، وتذكِّره بالفاظ نسيها ، ولن يمكنه الحصول على ترجمة جيدة سليمة من دون ذلك .

ويمكن القول بعد هذا إن من المفيد جدا انشاء مؤسسة متخصصة للترجمة على مستوى قومي ، على غرار بيت الحكمة ، تُنسِّقُ عمل الترجمة ، وتؤمِّنُ تجنُّبَ تعدُّد الترجمات للأصل الواحد ، وتعهَّد بترجمة الكتب الجيدة الجيدة المختارة الى النخبة المعدودة من الذين لهم المقدرة عليها ، وترصد لهم المكافأت ، وتُشرف على ترجمة أمهات المراجع العلمية ، وتوفِّر الخبرة

---

(٦) انظر :

Scott, John S. - A Dictionary of Civil Engineering, Third Edition, Penguin Reference Books, London, 1980

(٧) المصدر السابق .

والمعلومات وتسمّي المعجمات المعتمدة للمترجمين ، وتعقد للترجمة الحلقات والندوات والمؤتمرات يتبادل فيها التراجمة خبراتهم ودراساتهم . فانّ مثل هذه المؤسسة يمكنها ولا شكّ ان تسير بالترجمة خطُوات حثيثة الى أمام .

ضرورة تحريك بعض النصوص بالشكل

ومن مستلزَمات الدقّة العلمية في الكتاب العلمي العربي ، سواءٌ أكان مؤلَّفاً ام مترجَما ، ان يُحرَّكَ بعض الفاظه بالشكل لئلا تلتبسَ مدلولات الألفاظ او التراكيب . فمن دواعي الأسف مثلا اهمالُ تحريك (المَفْصِل) فيقرأه بعضهم (مِفْصَل) او (مَفْصَل) ، وان يقال (لمَدْرَج) الطائرة (مُدَرَّج) و (لمُدَرَّج) المحاضرة (مَدْرَج) ، وان يلتبس (مَجْمَعُ) اللغة (بالمُجَمَّعَ) و (المُجَمَّعُ) (بالمَجْمَع) ، وان لا يفرَّقَ بين (القِطَاع) و (القَطّاع) . وان تُصبح (الوَفَيَاتُ) (وَفِيّات) و (الحُمَّيَاتُ) (حَمِيّات) . فمن مهمات الكتاب العلمي ايضاً ان يُعلِّم الطالب والقارئَ كيفية النطق بالمصطلح العلمي والالفاظ العربية عموما على وجهها الصحيح . ومن الضروري ايضاً ان تكون عبارات الكتاب وتراكيبه واضحة الدلالة . ومن شأن النصّ المشكول ، حيثما تدعو الى ذلك حاجة ، ان يُوضِّحَ المعنى ويزيل اللَّبْس . غير أن مما يؤسف عليه اغفالَ التحريك حتى في بعض المعجمات العلمية ومجاميع المصطلحات الصادرة عن الجهات العلمية واللغوية . وفي ذلك مدعاة للغموض والوقوع في الوهم ، ومضيَعة للكثير من الفائدة .

بعض مستلزمات العرض العلمي الجيد

اما عن أسلوب العرض فيلزم على العموم في الكتاب العلمي الجيد تجنب حشو الكلام واستبعاد اللغة المزوقة وتحامي الغريب من الألفاظ واللغة الجزلة الحماسية مما قد يفيد في الخَطابة او المقالة الأدبية ولا مكان له في لغة العلم . وانما تُتَّبَع طريقةُ العرض المباشر الهادئ للفكرة العلمية ، بالتسلسل المنطقي

المشوّق الذي يَشدُّ القارئ اليها ، مع العناية بابراز علاقتها بالواقع ، لتنشيط فكر القارئ والدارس ، وحثّه على التفكير التحليلي والعملي ، وتربية مهارته في التعامل التطبيقي الواقعيّ مع الحقائق العلمية .

وكل هذا يستلزم اغناء الكتاب العلمي العربي بالكثير من الأمثلة التي توضّح التطبيق المباشر للنظريات ، وتربّي لدى الدارس المقدرة على توثيق الصلة بين المعرفة والتطبيق ، وتنمّي القابلية على التخيل والابداع .

ويتطلب العرض الجيد في الأغلب تعزيز النص بالصور والأشكال والخطوط البيانية فهذه كلها قد تغني عن الكثير من الشرح وتسهّل استيعاب القارئ للمادة العلمية وتقبّلها . وهنا تجدر الاشارة الى ما حدث من تطور في استعمالات الطباعة الملونة في الكتب العلمية الحديثة ، ولاسيما كتب التبسيط وكتب التعليم العام ، مما يمكن الاستفادة منه .

ويلاحظ في كثير من الكتب العلمية العربية خلوّها من أي عرض وافٍ للخلفية التاريخية لمادة الكتاب العلمية ، مما يجدر استهلال الكتاب به ، مع أن من شأن هذا تحبيب المادة الى الدارس وشدّه الى الكتاب . ويحسن هنا بوجه خاص توكيد ابراز تراثنا العلمي العربي ودور العرب في تطوير العلم وما قدموه من اسهامات واضافات الى التراث العلمي العالمي مما يجهله الكثيرون من طلبة العلم ودارسيه ، فكل هذا يقوّي روح الاعتزاز بتراثنا القومي ويعزّز الشعور بالانتماء .

من متطلبات الجوانب التنظيمية

اما من الناحية التنظيمية فان من مستلزمات الكتاب الجيد حسنَ تنظيم ابوابه وفصوله وفقراته ، وكونَ عناوينها تمثّل الموضوعات التي يشتمل عليها الكتاب تمثيلا وافيا وحقيقيا ، بحيث يمكن للباحث والدارس الاستدلال بسهولة من جدول المحتويات على وجود المادة التي يحتاج اليها في الكتاب او عدمها .

وهنا لابدّ من الاشارة الى نقطة ضعف ظاهرة في أغلب كتبنا العلمية العربية ، وهي خلوُّها من الفهرس الالفبائي index بالمواد التي يعالجها الكتاب . ومثل هذا الفهرس لايكاد يخلو منه كتاب علمي جيد في البلاد المتقدمة ، فهو يوفّر فائدة عظيمة للباحث والدارس بأن يَدُلَّه على مواضع جميع الاسماء والاشياء والمواد والموضوعات المهمة التي يمكن الحصول على على اي معلومات مفيدة عنها في الكتاب .

العناية بمظهر الكتاب واخراجه

ويجب على العموم الاهتمام لمظهر الكتاب الخارجي وحسن اخراجه وجودة طباعته ، فهذه الاشياء مضافا اليها متطلبات العرض الجيد والنواحي التنظيمية كلُّها ذات أثر كبير في اجتذاب القارئ الى مادة الكتاب والحدّ من سأمِه وملَله . لأن قراءة المادة العلمية في الغالب ليست بالسهلة ، وكثيرا ما يحسَب قارئ الكتاب العلمي ان القراءة قد أعيته وأنهكته ومع ذلك قد لا يتوانى بعدها عن قراءة قصة تستغرق عدة ساعات من وقته .

وجوب العناية بالمكتبة العلمية

ولا بد ايضاً لتقوية الدور الذي يجب ان يؤديه الكتاب العلمي في نشر العلوم من اغناء مكتبات المدارس والكليات . والمكتبات العامة ، بالكتب العلمية التي يجب مواصلة تجهيزها بأحدث الطبَعَات . فالملاحَظ ان هذا الأمر لا يحظَى بالعناية اللازمة حتى في بعض المكتبات التي تتوفر لها التخصيصات المادية لاقتناء مثل هذه الكتب .

اهمية معارض الكتب العلمية

ومن دواعي الغبطة الاتجاه الملحوظ نحو اقامة المعارض الكبيرة للكتب في في بعض الاقطار العربية . ويا حبذا لو ضوعف الاهتمام للاجنحة المخصصة للكتب العلمية . فغير خاف ما لهذه المعارض من اهمية في اجتذاب الانسان العربي الى الكتاب العلمي الذي مازالت قراءته مقصورة على نخبة محدودة من الناس.

خاتمــة

وفي الختام ، يمكن القول بانه مازال ثمة تخوف عامّ لدى الكثيرين من القراء في البلاد العربية من الكتاب العلمي ، اذ ينظرون اليه وكأن طريقه شائك مغلق امامهم . فيلزم ، فضلا عما أشرنا اليه من وجوب توفير متطلبات الكتاب العلمي الجيد ، البدء في سن باكرة بتدريب الناشئة على الربط بين ما يشاهدونه من ظواهر طبيعية والقوانين البسيطة التي تتعلق بمجرى تلك الظواهر ، وارشادهم الى الكتب العلمية المبسَّطة المشوِّقة المفيدة مما يتعلق بذلك ، ليتعودوا على حب الكتاب والقراءة المنفردة وهضم المادة المقروءة والبحث المستقل عن المعلومات . ومن المهمّ ان يُعَوَّدَ الطالب على استعارة كتاب او اثنين من مكتبة المدرسة في عطلة نهاية الأسبوع ليفيد من مادتها في توسيع معلوماته ومقدرته العلمية ، وان يوجَّه النشء الى عادة شراء الكتاب والاحتفاظ به لما في ذلك من سهولة العودة اليه كمرجع مفيد جاهز عند تكرّر الحاجة الى ذلك .

ومن المؤسف ان المادة المقروءة اليوم ليست مستغلة كما يجب كأمر مساعد في تدريس العلوم . فان التعويد على القراءة المستقلة يطوِّر الثقة والمهارة في المعالجة الشخصية . هذا فضلا عن أن المحاضر قد تفوته أشياء أو لا يستوفي الشرح لبعض النقاط ومن ثم لا تقتصر فائدة تسمية الكتب ذات العلاقة على استكمال المادة لدى الطالب وانما تفيده في التطلع العلمي الى أمام وتَهديه الى التطبيقات العملية بدلا من الاقتصار على الأمور المنهجية البحتة ، وتجعل له القابلية للتفكير والمناقشة ، بل حتى الاستعدادَ للكتابة في تلك المادة . ثم إن قراءات الطالب الخارجية قد توفِّر على المدرس الكثير من الوقت والجهد الذي يمكن ان يخصصه للتوسع في المادة والافاضة في المناقشة وتساعد الطالب على حسن التذوق والاستيعاب .

من اساليب منهجية البحث عند العرب

الدكتور نوري حمودي القيسي
كلية الآداب ــ جامعة بغداد

تؤكد الروايات التي وصلت الى عصر التدوين ، والأخبار التي تناقلتها الكراريس الأولى ان الحركة الفكرية التي ازدهرت في القرن الثاني واتسعت في القرن الثالث كانت بداياتها الاولى ونشاطها المتميز قد بدأ منذ العهد الاسلامي وفي الصدر الأول الا أن الحراجة التي صاحبت الحركة والتهيب الذي ساد المرحلة قد حال دون تدوينها فظلت تُروى شفاهاً وتنقل عن طريق المحادثة وان الاصول الأولى لهذه التآليف جاءَت عن طريق النقول ووقفنا عليها من خلال الاستشهاد الذي عبرت عنه المرحلة الثانية وهي نقول تخص الموضوع المنقول وروايات اختيرت من سيرة أو غزوة أو تاريخ أو تفسير أو كتاب لغوي . وان هذه المرحلة تمثل الوسيلة التي تُعرّفنا بما كان يدور في الوسط الثقافي والفكري . وقد حفلت الاخبار بروايات مختلفة عن التدوين وأول من دوّن أو صنف من رواة الامصار، وهي تؤكد ان القرن الثاني الهجري شهد هذه الحركة وكانت البداية الحقيقية لما زخر بـه العصر من تآليف على امتداد الوطن باقاليمه المعروفة وأمصاره التي اصبحت مراكز فكرية تنطلق منها مواكب العلماء ويتجه اليها الباحثون ويتدارس في رحابها بأمور الحديث واللغة والفقه والعلوم والسير والتاريخ فكانت البصرة والكوفة والمدينة ومكة واليمن وبغداد والشام ومصر واوشكت ان تكون بعض هـذه الأمصار متميزة في الاهتمام بعلوم معينة ومعارف خاصة كما هو الحال بالنسبة للبصرة والكوفة .

وبغداد وتوزعت بعض العلـوم على المراكز الاخـرى مثل الحديث والفقه والتفسير فقد برع فيها العلماء في معظم الأمصار لعلاقتها بامور الحياة وصلتها بالتشريع واثرها في ترسيخ القيم الاسلامية التي أصبح الاهتمام بها جزءً من التكوين العام ومسايرة الحالات التي بدأت تستلزمها ظروف الحياة الجديدة، وقد اسهم في هذا التكوين العنصر العربي بشكل متميز لصاتهم الوثيقة باللغة وقربهم من مفرداتها وتأثرهم بما تنقله اليهم من أفكار وتحمله من معاني وتوفره من جو نفسي يتحسسون به ويتأثرون بأفكاره . وأصبح بامكان المتتبع لتطور هذه الحركة أن يَعُدّ القرن الثاني بما حفل به من افذاذ وظهر بـه من علماء قرناً ذهبياً وعصرَ ازدهار فكري بقيت نفحاته تملأ زهو العصور التي تلتـه وظلت ثمار أفكاره تمد العلماء بعطاء خصب يهيىء لهم سبل التقويم ويترك لهم خيار المفاضلة ويحقق لعلومهم الازدهار في اطار الفيض العلمي والنضـج الفكري الذي تركته هذه المرحلة في كل باب من ابواب العلوم . وفي كل اتجاه من اتجاهات الحركة الثقافية ..

ان التميز الذي قدمته هذه الفترة أعطى الثقافة العربية قوة التماسـك وحقق لها وحدة الثقافة وهيأ لها اسباب الترابط لتظل اسبابُها وثيقة الاتصال ومادتُها موحدة العطاء لتشمل في استيعابها حاجة التطور الفكري وقـدرة علمائها متسعة الأصول لتغني الباحثين وتشدهم الى هذا الكيان العلمي الذي تحددت خصائصه وتميزت معالمه وأصبح يمثل فكراً عربياً اسـلامياً ووجهاً ثقافياً تمكنت فيه اصول هذه الثقافة وعبّر عن حاجة المجتمع ومكّن الناس من تجاوز الحالات الجديدة الذي شهده المجتمع بعد اختلاطه ودخول الأمم الاخرى ...

لقد اضطلع بمهمة الثقافة الأولى الى نهاية القرن الثاني ابناء هذه الأمة ممن استوعبوا علومها ووقفوا على ذخائرها وتثقفوا بما قدمته اليهم من زاد

ملأ عليهم جوانب الحياة فوضعوا أسس الثقافة وحققوا قاعدةالمعرفة واصبحت تآليفهم الأولى موضع دراسات واراؤهم العلمية مجال مناقشة وافكارهم حديث اجتهاد توسعت في تفاصيله بحوث الدارسين وتعددت في اطار نضجه مسائل العلماء وكأن هذا التوجه قد حصر ابواب التآليف وترك لهم خيار الافاضة في الدائرة التي لم تقف عند الموضوع المجدد . فللامثال باب واسع كثرت فيه الكتب ولكنه عند كل باحث له طريقة وفي حديث كل لغوي له توجه وفي عناية كل دارس له صورة ومثله النوادر والامالي والانواء والغريب وحتى أصبحت لكل موضوع تآليف تلتقي باسمائها وتبتعد بمضامينها فأمالي القالي غير أمالي اليزيدي وهما يختلفان عن أمالي ابن الشجري ، ونوادر أبي زيد غير نوادر الهجري وهما يختلفان عن نوادر القالي . وما يقال عن هذه التآليف يقال عن الانواء وكتب الغريب ومعاني القرآن والتفسير لان مناهج الباحثين بدأت تأخذ منهجية خاصة وتسلك طريقاً له صورته في ذهن المؤلف يبرز فيه اجتهاده وتعرف من خلاله سَعَةُ اطلاعه وشموليةُ معارفه وتعدُدُ قدراته .. فالجانب اللغوي حدّد ضرباً من الشروح والتفاسير والمنهج التاريخي وجّه ابعاداً اخذت مساحتها في التناول والتوجه الديني ذهب مذهباً آخر ويبقى الباحث والدارس أمام حصيلة غنية من الثقافات وفي رحات موسوعة من المعارف التي تفرد لكل منهج اضافةً وتعطى كلّ حالةٍ لوناً من ألوان الاتساع وكأن حدود الموضوعات التي اختيرت أو عناوين التآليف التي اشتقت من معاني التأليف قد دفعت هؤلاء العلماء للافاضة في المضمون ليظهروا قدرتهم فاذا صنع كتاب في الأضداد انبرى عالم آخر للتأليف في هذا الباب لاضافة ما يقف عليه ويستدرك ما فات المؤلف الأول ويأتي ثالث ليحقق الفاظاً أخرى توفرت فيها مضامين الاضداد حتى تتسع دائرة كتب الأضداد لتتجاوز العشرين وهي عند كل واحد اضافة يتفرغ للبحث عنها هؤلاء الأعلام ليكسبوا لفظاً أو

يزيدوا معنى أو يتحفوا القراء بتركيب يوحي بالمعنى وقد وسّع هذا التوجه عمق المجال المحدد ودفع المؤلفين الى ان ينقبوا ويدققوا لأن اللغة التي يتحدثون عنها غنية ومفرداتها التي عبرت عن افكار ابنائها ماتزال بعيدة عن التناول ومنها من الرقة والاداء ما يثير فيهم حبّ الرغبة للبحث ويحملهم على الاعجاب باسرارها التي ماتزال كامنةً في كل تركيب •

ومن مظاهر الاعتزاز بالامة الشعور بالدور الانساني الذي اضطلعت به والاحساس الصادق بأحقية القيم الانسانية التي آمنت بها وبذلت جهوداً كريمة في ترسيخها ، وسعت لنشرها بين الأمم لاعتقادها بانها تمثل الصورة النبيلة التي يرى الانسان فيها نفسه ، ويحققُ من خلالها سعادته المنشودة ، ويرقى فى الالتزام بها ما تعترضه من مصاعب وتصادفه من مشاق • والتاريخ حافل بأخبار الأمم التي استطاعت أن تضع على خارطة التاريخ اعمالها وتحدد خطوط مسراها وتشق لها طريق الخلود بالوسائل التي اقتنعت بها أو آمنت باساليبها ، أو ارتضت مجالها الذي اعطاها وجاهة القناعة ورضا الاداء وصدق التعامل ••

وحاولت هذه الأمم ان تتلمس الطريق في ايجاد المحاور الدائمة التي تمكنها من اثبات قدرتها على الحياة وايضاح الرؤية التي تطوي فيها مضامين الاقتدار الذي اهتدت الى حلوله والوصول الى النمط المؤثر في خلود العمل وبقاء الاثر •• وهي نزعة عرفها الانسان وتشبث بها لحرصه على ذاته وشدة تعلقه بوجوده ، والاحساس بان الحياة الأبقى لا تخلّد الا بما يتفق الناس على خلوده ، ولا تدوم الا في اطار النظرة الموضوعية لدوام الحالات النافعة • فكان التاريخ اسفاراً يبرز فيها ألق التكريم لمن أحيا اثراً أو انجز عملاً خالداً أو سجل مأثرة أو شيّد بناءً نفع به قومه أو أقام دليلاً على صدقه مع نفسه وايمانه مع ذاته •• وكانت الاسماء اللامعة التي ظل دفق الحياة يروي ذكرياتها،

وصوتُ الوفاء يَشُدّ أيامها ، وملامحُ الاعتزاز تشرق عليها لأنها اعطت الحياة ما تستحق واستطاعت ان تُدرك بقدرتها وثاقب بصيرتها صورة المستقبل الذي تُكرمُ فيه المناقب ، وتُعزّ المواقف ، وتخلد الاعمال الجليلة .. وكانت الاعمال الشامخة التي عرف فيها الانسان قدرة المؤمنين من ابناء جنسه ، وعزم الصادقين الذين كرّموا أبناء البشر بتضحيتهم ، وأغنوا حياتهم بما استوعبوه من تجربة الزمن فكان الخلود صنواً لمجدهم ، والتقدير وجهاً من وجوه انجازاتهم والتواضع في حضرة اعمالهم الرائدة واجباً تترضه أسباب الاعتراف وتلزمه حالات التقدير .. وكلما أوغلت الأمم في عراقة الحضارة استطاعت أن تقدم من الانجازات ما تفخر به ، وهيأت من الوسائل الكفيلة بصلاح ما تهتدي اليه باعتباره حالة من حالات الاعتزاز ، وعملاً من اعمال المباهاة التي حاول الانسان ان ينتهي اليها بعد إعمال الفكر وكدّ الذهن وبراعة الابداع ..

ومن مفاخر أمة العرب ان يمتد تاريخها الى اعماق موغلة في القدم فتتعدد الوجوه التي اسهمت في اغنائها ، وتتنوع المعارف التي برعت في تقديمها فكانت اخبارُها مبعثَ اعتزاز ، وتراثها الذي صاحب حركتها التاريخية رصيداً زاخراً من القدُرات ، وذخيرةً عزيزة من كنوز المعرفة ومدخراً قيماً من مدخرات المآثر النفسية عبرت فيه عن أصالتها وكشفت عن الجانب الجدي الذي ظل سمة من سمات الامة الثقافي في الأداء الذي خلق في نفوس أبنائها حالة الاندفاع وولّد في كل مظهر من مظاهر الحياة صوت الابداع والخلق وروح المتابعة والتواصل وأثار في أوساطهم حبّ العمل واشاع نمطيّة الاحساس بالموقف المسؤول ..

وفي كل مرة من مرات التخلخل . أو فترة من فترات الاسترخاء تقف الأمة أمام تراثها الحضاري الشاخص أو الشاهد المخطوط أو الداثر لتجد فيه صوتها الذي عبّرَ عن جهد القدامى من علمائها .. وحالة التوثب التي

عرفتها ، وقيمة التواصل الذي شدّ حلقاتها وأحكم بناءَها وترك لها نهايات الحلقات مفتوحة لتضيف اليها ما تهتدي اليه وتُعنى ما قدّم بما تراه جديداً ومناسباً ولايمانها بأن كلّ خطوة من خطواتها رهينةٌ بهذا التأمل ، وكلٌّ نهضة تسعى اليها كفيلةٌ بالاحياء الذي يُعطي صورَ الحياة ما تستحقه من معاودة في المراجعة .

ولم تنفرد أمة العرب عن غيرها من الأمم الذي ظل تراثُها يُروى شفاهاً ويُنقلُ على لسان أبنائها قصصاً وأخباراً ، أياماً ومآثر ، قيماً وسيراً تحكي تاريخها الذي خالطته الاساطير وعاشت في ثناياه وقائع الأمم البائدة والأخبار القديمة ، وكانت لأسباب الرواية وفق هذه الطريقة مبرراتُها المشتركة ، وأسبابُها التي لم تقتصر على أمة واحدة وكانت تضحية الأمم وهي تنتقل من مرحلة الرواية الشفهية الى مرحلة التدوين جسيمة لما فقدته من تراث ظلت مجالسها عامرةً بروايته وأنديتُها حافلةً بذكره وبيوتُها زاخرة بترداده ، فكانت ثمرات الأفكار نهباً للضياع ونتائج التجربة الحياتية حصةً من حصص الفقدان الذي جاء على كثير مما أجهدت العقول من أجله أعزّ أوقاتها ، وبذلتْ في سبيله النفوس أغلى ما تملك .. كان جمع التراث امنيةً عزيزة وغاية تداعب مطامح كل الحريصين على تاريخ الامة ولغتها وتراثها . لما يترتب عليه من حفاظ على أصولها واعتناء بسلامتها وحرصٍ على حمايتها مما يَشين وجهها ، وتُعد محاولة جمع القرآن أول حركة لجمع أهم جزء من هذا التراث بعد أن أدرك الأوفياء عليه والغيارى على سلامته ضرورة جمعه فاجتمع المسلمون على مصحف واحد فكان أول نص يجمع وأول كتاب يدوّن وان كانت الكتابة محصورة في بعض الأغراض التي تشمل العقود والمواثيق والأحلاف وفي رواية من ذكر ان الشعر العربي قد دُوّنت بعض قصائده اختلاف لما يترتب على هذه الرواية من أحكام لأن الشعر دوّن بعد هذه

المرحلة . وعندها تحول الاهتمام الى رواية هذا النص القرآني المكتوب . وأصبح المرجع الأساس في الاحكام والموئل الموثق لكل قاعدة والأصل السليم لكل مطلب .

ويأتي الاهتمام بالقراءات استجابة لرغبة نفر من القراء الذين أعربوا عن ميلهم لقراءة القرآن وفق اللهجات الصوتية لكل قبيلة . كما كان ذلك يحدث في حياة الرسول عليه السلام وقد أوجد هذا عدداً من الاختلافات في القراءة بعد أن أصبح النص القرآني الرسمي المدون نصاً واحداً وقد نشأت الدراسات اللغوية الأولية مرتبطة بالقرآن عقب ظهور القراءة التي اتفق عليها بعد الجمع ويبدو ان اعجام المصحف بالنقط وبالشكل يرجع الى نفس العصر وان تقسيم القرآن الى أجزاء مختلفة كان عملاً متميزاً وعظيماً أنجزه الحجاج ابن يوسف الثقفي أما علامات الاخماس والاعشار في القرآن فقد أضافها نصر بن عاصم ويُعد كتاب قتادة أقدم كتاب وصل الينا وبه ذكر لهذا التقسيم ...

كان التدوين المرحلة الأولى التي وضعت اللبنة الاساسية لبداية عهد المخطوط العربي بعد أن ظل الموروث يُتناقل شفاهاً ويُروى أخباراً ، يتوالى الرواة على روايته ، وتحفظه القبائل لتعلّقه بتاريخها ، ويروي الشعراء وأصحاب السير ما يجدون فيه من تعلق باهتمامهم أو اتصال بتاريخهم أو تسجيل لما يرغبون في تعليمه لابنائهم ويروونه لاجيالهم .. واذا كانت محاولة جمع القرآن قد أخذت المركز الاول في هذه المحاولة باعتباره مصدرَ التشريع ودستورَ الأمة والرسالة التي تُبنى في ظلّها قواعد المجتمع الجديد فان الحديث النبوي الشريف كان المرحلة الثانية لأنه يمثل السنة النبوية الطاهرة ، والممارسة الحيّة لاستكمال بناء المجتمع العربي والتطبيق الواقعي للحالات التي فرضتها أنماط الحياة التي بدأت تواجه المجتمع بعد انتقاله الى مرحلة

التوحيد والبناء والتكوين .. وعلى الرغم من مضمون الآراء التي طرحها جولد تسيهر بشأن المراحل التي مرّ بها تدوين الحديث وما ذهب اليه من تحديد تلك المراحل فالظاهر ان قاعدة الاعتماد على كتب اصول الحديث لم تكن موثقة بالنسبة لجولد تسيهر ولم تدرس الدراسة التحليلية التي تعطي فترة التدوين ما تستحق من عناية تتصل بظروفها وسياقها التاريخي وواقع المجتمع الذي تشابكت في تكوينه ظروف معقدة بسبب انتقاله من واقع الى واقع جديد والتغيّر الجوهري لما كان يعتقده الانسان والايمان الذي ترسخ في وجدانه فأصبح حالةً لها غاياتها التي امتازت بالشمول واتصفت بالاتساع ووثقت في نفسه قدرة تحمل الرسالة التي اوكلت اليه في مجتمع تنازعته أسباب الاختلاف وتوزعته حالات المعتقد المتعدد . ويمكن حصر المراحل التي مرّ بها تدوين الحديث .. في تسجيلها في كراريس صغيرة أطلق على الواحد منها اسم الصحيفة أو الجزء وتمت هذه المرحلة في عصر الصحابة وأوائل التابعين ، أما المرحلة الثانية فقد ضمت الوثائق المتفرقة وتمت في الربع الاخير من القرن الأول للهجرة والربع الاول من القرن الثاني ورتبت الاحاديث في المرحلة الثالثة وفق مضمونها في فصول أو أبواب وبدأ هذا مع الربع الثاني من القرن الثاني واستمر الى أن ظهرت مع أواخر القرن الثاني للهجرة طريقة اخرى لترتيب الاحاديث وفق أسماء صحابة الرسول (ص) في كتب يحمل الواحد منها اسم « المسند » ويمكن اعتبار الزهري أول من دوّن الحديث بعد أن أكدت المعلومات الخاصة بالكتابات الاولى وتطور الاسناد وبحث سلاسل اسناد الحديث ان الوقت كان سانحاً لمثل هذا النشاط في التأليف . وكما اتجه المحدثون الى الحديث يحمونه والفقهاء الى الحديث ، وفتاوى الصحابة والتابعين يدوّنونها اتجه قوم الى اللغة يجمعونها ، وكانت مهمتُهم جمعَ الكلمات التي نطق بها العرب وتحديدَ معانيها فرحل العلماء الى البادية

بسدادهم وصحفهم يسمعون ويكتبون ، ورحل عرب البادية الى الحضر ليؤخذَ عنهم ، وقد أصبحت ألفاظُ القرآن مادة كبيرة من مواد اللغة اجتهد العلماء في تحديد معانيها وكانت حافزاً لهم على الرحلة والرواية لتبيين مدلولها، كما كانت ألفاظه سبباً في أن يجمعوا حول كل لفظة ما يتصل بها ، ويبين اشتقاقها وما تفرع من مادتها فكان التدوينُ قاصراً على سماع هذه المفردات من دون ترتيب أو تنسيق • وأصبح الموضوع الواحد بعد هذه المرحلة هو الغاية التي تجمع في أطارها الكلمات وقد انتهت الى تدوين الكتب التي تؤلف في الموضوع الواحد فألّف أبو زيد كتاباً في المطر والأصمعي كتاب الخيل وآخر في الابل وثالثاً في النخل والكَرْم ورابعاً في النبات والشجر •

وتتسع دائرة المرحلة الثالثة لتضم المعجم الذي يشمل الكلمات العربية التي يوحدها النمط الخاص فكان كتاب العين للخليل بن احمد أول عَمل من هذه الأعمال ••

ويمكن اخضاع الأدب لنفس المقاييس التي خضعت اليها اللغة لامتزاج الأدب بها . واختلاطِه بشواهدها وتداخله في ثناياها استشهاداً وشرحاً ، اعراباً أو صرفاً بعد أن أصبح لكل قبيلة أدبُها كما كان لكل قبيلة لغتُها وان العلماء الذين رحلوا الى البادية أو رحل الاعراب اليهم كانوا يأخذون عن العرب أدبَهم كما كانوا يأخذون لغتهم ، وفي كثير من الاحيان كانوا يأخذون اللغة من خلال الأدب . ويقفون على الشاهد في ثنايا القصائد • ومن الطبيعي أن تكون منازلُ القبائل هي المرجع الذي يتقاطر عليه من أخذوا على أنفسهم الاضطلاع بهذه المهمة فقد رُوي أن الشافعي رحل الى البادية وكان يحفظ عشرة آلاف بيت من شعر هذيل باعرابها وغريبها ومعانيها وكان يحمل شعر الشنفرى فأخذ عنه العلماء ومنهم الاصمعي وبقيت أخبار أعراب البادية هي المورد الثر الذي أغنى معجم اللغويين والينبوع الغزير الذي ظل

يضخ المعلومات النقية والاحاديث الخالصة لتأخذَ المجرى الذي سارت فيه قنوات التدوين الأولى فكانت الاختيارات الشعرية الأولى الصورة الجديدة التي أصبح المؤدبون يعتمدونها في التأديب ويقفون عليها في الشرح ويستشهدون بها عند الاحتياج الى الشاهد .. فتبقى القصائد السبع الطوال ــ مهما اختلف في عددها وأسماء أصحابها ــ فانها المجموعة الأولى التي وُضعت بين أيدي الدارسين بعد أن اختارها حماد الراوية وفق مقاييس عصره ، وضوابط الجمهور الذي وجد فيها توافقاً لذوقه .. وبقيت هذه القصائد تروى وتشرح شفاهاً حتى قَيّض لها عصر التدوين أن تكون بداية لتآليف شعرية أخذت دورها على يد المفضل الضبي والأصمعي في اختياريهما للمفضليات والأصمعيات وهما كتابان نحا بهما هذان اللغويان منحى الرواية والتدريس في أول الأمر حتى استقام المفضليات كتابَ اختيارات جمعه طلاب المفضل .. ومثله الاصمعيات وبقية كتب الاختيار .

ان هذا الحديث كان بداية التأليف لما زخرت به المكتبة العربية من مخطوطات وجدت طريقها الى الدارسين والمتعلمين وقد يسّر لهذا العصر أسباب التدوين ما زخر به من وسائل الكتابة وتطور صناعة الورق وانتشار دور الوراقة وظهور طبقة الوراقين الذين أسهموا في نشر التآليف التي وجدت الرواج والاهتمام في هذا العصر .

واذا كان العصر قد شهد الحركة الفكرية المتمثلة في هذا الفيض الزاخر من التآليف وهذه الاعداد الكبيرة من الكتّاب فان مناهج البحث التي اتسع افقها وكبرت مساحتها كانت صورة أخرى من صور الحياة الفكرية وقد اكتسبت قواعد ثابتة واصولاً راسخة بدت آثارها في تآليف العصور التي تلت القرن الثالث الهجري ويمكن اعتبار الجاحظ مدرسة قائمة ومنهجاً علمياً طريفاً تكثفت في أعماله التجربة الانسانية وتحدّدت في خطوط مواهبه

أساليب العمل العلمي الناضج . وسأقف عند جانب من جوانبه التي عرف بها وهي طريقة التناول التي يدخل فيها الى مقدمات كتبه وأساليب التقديم التي يجد فيها انسيابية الوصول الى الغرض حتى أصبحت مدرسته في هذا الاتجاه طريقاً لمن سلك مسلكه واهتدى بمنهجه . وهي طريقة توحي للقارىء أسباب التأليف وتترك له خيار الاستئناس بالدواعي الحقيقية التي حملت المؤلف على هذا التأليف ويمكن اعتماد مقدمة كتاب الحيوان نموذجاً متكاملاً لهذا المنهج الذي أخذ يسلكه في رسائله ويتبعه في تآليفه الأخرى بعد أن اكتملت منهجيته وهو يراها واضحة المعالم ، فالجاحظ في أساليب استخدامه للجمل الاعتراضية . كاتب" متميز وطريقة مخاطبته لمن توهمه حاضراً حالة فريدة واضفاء القدرة على المحاججة لمن جعله في موقع المخاطبة صورة لها شكلها وحذقها ومهارتها . وان كانت هذه المحاججة التي يضفيها على هذا المخاطب تخضع لضوابط التثبت وتتحدد في اطار الانصاف وتحمل المخاطب على ان يكون قريباً من التقوى ومتمسكاً بعز الحق وطارداً عن نفسه ذل اليأس ، عارفاً ما في الباطل من ذلة وما في الجهل من القلة[1] . ويبرر الجاحظ في أحيان كثيرة هذا الدعاء الذي يقدم به وهو يرمي الى غرض أبعد ويدخل الموضوع من أبواب واسعة ، ويجد في بعض الرموز اشارة لما يريد فقد انتهى اليه ميل مخاطبه (المزعوم) الى أبي اسحاق وحمله عليه وطعنه على مَعْبد ، وتنقّصه له في الذي كان جرى بينهما في مساوي الديك ومحاسنه وفي ذكر منافع الكلب ومضاره[2] . حتى إذا وجد نفسه قادراً على الدخول الى الموضوع في هذا التمهيد الموجز كانت انتقالته المفاجئة الى ما عابه المخاطب على حيل اللصوص وغش الصناعات والملح والطرف وما جرّ من النوادر[3]

(١) الجاحظ . الحيوان ١/٣ .
(٢) الجاحظ . الحيوان ١/٣ .
(٣) الجاحظ . الحيوان ١/٤ .

ويقف أحياناً عند أبواب رسائله ليذكر وجوه العيب التي أبداها (المخاطب) أو تساؤلات مشروعة تثيرها طبيعة الموضوعات المعالجة • ففي حديثه عن كتاب احتجاجات البخلاء ومناقضتهم للسُّمَحاء والقول في الفرق بين الصدق اذا كان ضاراً في العاجل والكَذب اذا كان نافعاً في الآجل • يشير مجموعة من الاسئلة تدخل في صلب الموضوع منها لِمَ جُعل الصدق أبداً محموداً والكذب أبداً مذموماً والفرق بين الغيرة واضاعة الحرمة ، وبين الافراط في الحميّة والأنَفَة وبين التقصير في حقّ الحرمة وقلة الاكتراث لسوء القالة ، وهل الغيرة اكتساب وعادة أم بعض ما يعرض من جهة الديانة ، ولبعض التزيّد فيه والتحسن به أو يكون ذلك في طباع الجرية ، وحقيقة الجوهرية ما كانت العقول سليمة والآفات منفيّة والاخلاط معتدلة[٤] وعند حديثه عن العيوب الموجهة الى كتاب فضل ما بين الرجال والنساء وفرق ما بين الذكور والاناث يقف موقف تأمل عند مسائل يمكن أن يؤلف في كل باب منها كتاب فيقول •• وفي أي موضع يغلبن ويفضُلنَ ، وفي أي موضع يكنّ المغلوبات والمفضولات ونصيبُ أيّهما في الولد أوفر ، وفي أي موضع يكون حقّهنَ أوجب ، وأي عمل هو بهن الحق ، وأيُ صناعة هنّ فيها أبلغ •

ويستمر الجاحظ في مقدمة كتاب الحيوان بهذا الحديث الذي يذكر فيه أعداداً كبيرة من تصانيفه ورسائله وهو في كل رسالة يشير الى الاغراض التي حملته على التأليف والافكار التي حاول أن يدافع عنها في كل رسالة والوجهة التي سار عليها في كل فكرة طرحها أو رأي ارتآه ولم يتورع عن ذكر عيوب وجدها في نفسه مثل التكرار والترداد والتكثير والجهل بما في المُعَاد من الخطل وحمل الناس المؤن[٥] •

---

(٤) الجاحظ . الحيوان ١/٤ .
(٥) الجاحظ . الحيوان ١/٥ .

أما معرفته العلمية وما يثار بشأن المعرفة بالمعادن والقول في جواهر الارض فله فيها أحاديث تخص اختلاف أجناس الفلز والاخبار عن ذائبها وجامدها ومخلوقاتها ومصنوعها وكيف يسرع الانقلاب الى بعضها ويُبطىء عن بعضها وكيف صار بعض الألوان يصبغ ولا ينصبغ وبعضها ينصبغ ولا يصبُغ وبعضها يَصبغ وينصبغ(٦) ..

ان التساؤلات المثارة في كل رسالة والتفنن في ايجاد الصيغ المناسبة هيأت للجاحظ منهجية متقدمة وقدرة على تجاوز الاساليب التقليدية في التأليف تمكن من خلالها ان يهيىء لكل باحث وجوهاً من المداخل وطرائق من التناول ولعل محاولته في هذه التساؤلات قد أخذت شكلها المحدد في اعطاء المخاطب أحقية الطلب في التأليف وتركت له الخيار في تحديد المسار الذي يمكن أن تندرج فيه وهو ما حملني على أن أظل متابعاً لهذه الظاهرة منذ فترة بعيدة .

ان مناهج التأليف عند الجاحظ تمثل قيادة فكرية متقدمة ، وصورة من صور الريادة التي تدخل فيها الحياة عنصراً متفاعلاً لعلاقتها بمضامينها ، ودخولها في أشكال تحركها ومن الطبيعي أن تأخذ أشكالاً تفرضها طبيعة الكتاب ، وتوجبها خصائص الموضوع ، وتحددها ضوابط المرحلة الزمنية ، وابداع المؤلف الذي يستطيع الاهتداء الى ما يحقق له وللغرض الذي يريد معالجته المسلك السليم والغاية المتوخاة ، لتأتي النتائج منسجمة ، ولتكون الأطر التي يدور فيها البحث قادرة على استيعاب خصائصها التي تؤلف في الاساس الوقائع المنظورة ، والاحداث الصادقة ، والهدف المرسوم الذي يمثل البداية الحقيقية في البحث ، والصورة المرغوبة التي تعطي النتائج التي يتوقع الباحث الوصول اليها ، ومنهج التأليف الذي أريد الحديث عنه هو ضرب من

(٦) الجاحظ . الحيوان ١/٦ .

ضروب كثيرة في هذا الميدان ، مارسها المؤلفون العرب القدامى ، والتزم بها كثير منهم ، وحاول بعضهم أن يطورها ليجعلها جزءً لا يتجزأ من عملية التأليف نفسه ، بعد أن امتدت الى فروع المعرفة واتخذت طريقاً متقدماً ، واسلوباً متميزاً ، وقد حاولت متابعة منهج واحد من هذه المناهج بعد أن شعرت بوضوح معالمه ، وبروز خطوطه ، وتميز طريقته عند الجاحظ وهو منهج سلكه في كثير من رسائله وبعض كتبه ، وقد كشف فيه عن أسباب تأليفه ، ودواعي اختيار موضوعاته ، والعوامل التي تحمله ، أو الدوافع التي تدفعه الى مثل هذه الموضوعات وفق اسلوب في الحوار ، وفي اطار من التساؤلات التي تطرح من خلال الرسالة المرسلة أو الاستفسار المطلوب .

ان هذه الظاهرة ظلت تعيش معي فترة من الزمن لأنني كنت أقف عليها في كثير من كتب الادب والنحو وغيرها وأتساءل عنها عندما اكتشف ان صاحب الرسالة مُخاطب لا وجود له ، أو مجهول لم تُحَدّد شخصيته ، أو اسم لا وجود لذكره ، أو شخصية لا ظل لها من الحقيقة أو اسم له ظل خفيف من الحقيقة ، وكثيرا ماكانت هذه الظاهرة وما تثيره من تساؤلات تدفع الباحثين الى الذهاب وراء التفتيش عن هذا المخاطب أو السائل وكثيرا ما كانت نتائج البحث تأتي مُخيّبة للظن ، على الرغم من الجهود الكثيرة التي يبذلها محققو تلك الكتب وقد حملتني هذه الطريقة في البحث على متابعة الجاحظ للوقوف عليها ، ودراسة جوانبها لأنها تؤلف واحداً من المناهج التي اتاحت له ولغيره من بعده من الكتاب مجال التوسع ، وميدان الانتقال الى معارف متنوعة الى جانب استبطانه للاحداث ، وتعبيره عن الموضوعات التي كانت تطرح في مجالس العلم وحلقات المذاكرة ، أو المسائل الاجتماعية التي يجد في مناقشتها حاجةً تقتضيها طبيعة الحياة ، لتوضيح رأيه بشأنها ، وبيان اجتهاده في تحديد نتائجها ، وكان يجد

في هذا الأسلوب مآرب تعينه على الدخول الى ما يريد ، وتعاونه على خوض المسائل التي يجد بها حاجة .. وسأحاول عرض بعض النماذج التي تؤكد هذا الاتجاه في كتاباته ، ففي صدر رسالته في الحاسد والمحسود يقول : كتبتَ اليّ – أيّدك الله – تسألني عن الحسد ما هو ؟ ومن أين هو ؟ وما دليله وأفعاله ؟ وكيفَ تُعرف أموره وأحواله ، وبمَ يُعرف ظاهره ومكتومه ، وكيف يعلم مجهوله ومعلومه ، ولِمَ صار في العلماء أكثر منه في الجهلاء ؟ ولِمَ كثُرَ في الأقرباء وقلّ في البعداء ؟ وكيفَ دبّ في الصالحين أكثر منه في الفاسقين ؟ وكيف خُصّ به الجيران من بين جميع أهل الاوطان[٧] ، وهو اسلوب يفرض على المؤلف الالتزام بما جاء في الرسالة – ان كانت حقا مرسلة الى المؤلف – ومتابعة الاستفسارات والافكار التي تراد الاجابة عنها ، والذي يتابع الرسالة المكتوبة يجدها مطابقة لكل الاوصاف ، وخاضعة لكل المقاييس المثبتة في الاستفسار ، ومستجيبة لكل الطلبات المقدمة في ثنايا الكتاب المرسل ، وكأن المؤلف في هذه الحالة جهاز تلقائي يستجيب للنداء اذا طلب منه ان يستجيب ويحدد الجواب بمقدار ما يطلب منه ، ويقف عند انتهاء الحدود المطلوبة منه – اذا افترضنا ان هذه الرسائل كانت حقيقية – كما في هذه الرسالة وتتكرر هذه المسألة في رسائل اخرى للجاحظ ففي صدر كتابه في الاوطان والبلدان يقول[٨] :

سألت – أبقاك الله – ان اكتب لك كتاباً في تفاضُل البلدان ، وكيف قناعة النفس بالاوطان ، وما في لزومها من الفشل والنقصان ، وما في الطلب من علم التجارب والعقل .. ويستمر الجاحظ في الكشف عن مضمون (الرسالة

(٧) الجاحظ . رسائل الجاحظ ٣/٣ (القسم الاول من الفصول المختارة من كتب الجاحظ ١٩٧٩ .

(٨) الجاحظ . رسائل الجاحظ ١٠٩/٤ .

فيقول .. وذَكرتَ ان طول المقام من اسباب الفقر، كما ان الحركة من اسباب اليُسْر ، وذَكرتَ قول القائل : الناس بأزمانهم أشبه منهم بآبائهم ، ثم يعقب على الرسالة ، وكأنها حقيقة مسلم بها فيقول : ونسيتَ ــ أبقاك الله ــ عمَل البلدان ، وتصرف الزمان ، وآثارهما في الصـور والاخـلاق وفي الشمائل والاداب ، وفي اللغات والشـهوات ، وفي الهمم والهيئـات ، وفي المكاسب والصناعات ، على ما دبَّر اللـه تعالى من ذلك بالحكمة اللطيفة ، والتدابـير العجيبة .

ثم يبدأ بتفاصيل الجواب، مستدلاً عليها بما يسوقه من الامثلة ، ويذكره من الاحوال ، ويدلل عليه بآيـات القرآن واحاديث الرسول عليـه الصلاة والسلام والاخبار والاشعار والحكايات والاقوال ، وعندما يحاول ان يقف على جواب ، او يريد الاستغراق فيه يميل الى استدراك بعض الاسـئلة التي تحقق له الدخول في تفاصيل لم تذكر في صـدر الرسالة ، توسيعا لدائـرة الحديث ، وتوضيحا لما قد يبدو مما في بعض الاجوبة ، فعندما يريد ان يتحدث عن الخصال يقول : وقلتم : خبرونا عن الخصال التي بانت بها قريش عن جميع الناس . ثم يستدرك على هذا ليقول : وأنا اعلم انك لم ترُدْ هـذا ، وانما الخصال التي بانت بها قريش (٩) وكذلك الحال في صدر رسالته عن الشارب والمشروب (١٠) .

وفي رسالته في تفضيل البطن على الظهر يجعل السائل ابن اخٍ له ، وهي صيغة جديدة ، واسلوب مختلف ، حاول الجاحظ ان يطرقه في هذه الرسالة ليلون اسلوب المخاطبة ، ويعطيه حركة غير الحركة التي اعتـاد عليها في بقية رسائله لهذا افتتحها بقوله : وقد كان كتابك يـا ابن اخي ــ وفقك الله ــ وَرَدَ عليّ ، تصف فيه فضيلة الظهور ، وصفاً يدلُ على شغفك بها ، وحبك

(٩) نفس المصدر ٤/١١٤ . (١٠) نفس المصدر ٤/٢٦١ .

اياها ، وحنينك اليها ، وايثارك لها ، وفهمته • ثم يجد الجاحظ مبرراً ، او يختلق عذرا لتأخير الجواب وفي هذا محاولة اخرى من محاولات اشعار القارىء بصحة الرسالة ، حرصا على نمط التأليف الذي استخدمه ، وتأكيدا لما يتطلبه هذا المنهج من التزامات ، وتشويقا لمتابعة القارىء الذي كان يستعجل الجواب ، وينتظر المفاضلة ، ويسعى من اجل الوصول الى الرأي القاطع الذي حدده الجاحظ في نفسه منذ الفكرة الاولى بانشاء الرسالة ، وهنا لابد ان يشير الجاحظ الى تأخير الاجابة ، بعد ان يُسبب هذا التأخير بعوارض أشغال مانعة ، وحوادث من التصرف والانتقال من مكان الى مكان عائقة ، ولكنه لم يأمن ان لو تأخر الجواب على السائل أكثر مما تأخر ، ان يسبق الى قلبه أنه راض بهذا الاختيار ، ومسلّم بهذا المذهب ، وموافق له فيه ، ومساعد عليه ، ومنقاد معه فيما اعتقد ، ومجد في طلبه ، ومحرض عليه ، وهي امور كان الجاحظ يراها ماثلةً امامه لو لم يجب على هذا التساؤل ، بعد ان حاول جمع كل المبررات التي يمكن ان تدور في الذهن ، وتفسير كل الظواهر المترتبة في حالة العزوف عن الاجابة ، وليخلق منها سبباً موجبا للجواب ، وحالة مفروضة للتعجيل به مهما تكن المبررات • وهذا ما دفعه الى ان يكتب اليه لينبهه من سنة رقدته ، ويدعوه الى الرشد بعد ان يأخذ حظه في عرض مذهبه ، والاستعانة بحججه ، وهو في كل حالة من هذه الاحوال يعطي العقل مكانه ، ويدلل بما يقف عليه من آيات او احاديث او اشعار او اقوال لنصرة ما يناقض به الرأي الذي ورد في الرسالة (الموهومة) ••

ويستخدم في رسالته في مدح التجار وذم عمل السلطان اسلوبا آخر حيث يجعل الكتاب لصاحب المخاطب الذي اعتاد أن يبعث اليه برسائله ، وهي لون آخر من ألوان المناقشة الطريفة التي تحاول الابتعاد عن الصيغة المألوفة ، وتميل الى تغيير طبيعة المخاطب لتأتي المناقشة خارجة عن الاطار المعتاد ،

ولتتعدد الاطراف المساهمة في طبيعة الحوار ، ولتبتعد صورة الحديث في الرسالة عن الاسلوب المعروف . وقد حقق الجاحظ هـذا النمط في مطلع الرسالة حيث يقول : فهمتُ كتابَ صاحبك ، ووقفت منه على تعدّ في القول ، وحَيفٍ في الحكم ، وسمعتُ قولهُ وهو على كل حالٍ جائر .. وكذلك حالُنا وحالُ صاحب كتابك فيما يَستخطه من أمرنا ، أني لا اعتذر منه ، واستنكف من الانتساب اليه ، بل استحي من الكتابة[١١] ، ويظل كتاب هذا (الصاحب) المخاطب مجهولا ، وتظل المعاني والأهـداف التي يوحي بها الجاحظ في كتاباته هي الغاية المتوخـاة والغرض المطلـوب الذي يجـد مخارجه في هذه الصور ، ويعبر عنه من خلال كل المخاطبين الذين حـدد شخصياتهم في مطالع رسائله ، ويظل اسلوب الجاحظ في رسائله الأخرى يأخذ هذا الطريق في متابعة المسائل التي يوردها ، واستقصاء ما فيها من استفسارات وقراءة الكتب المرسلة اليه وما تضمها من موضوعات ، وتتطرق اليـه من مناقشات ، وتقف عليه من أحوال وتعرضه من أفكار واحتجاجـه في ذلك بالأقوال واعتصامه فيها بما سار من أقاويل الشعراء ، والمتسـق من كلام الأدباء ويأتي على جميع ما تحتويه هذه الكتب ، واصفا وملخصا ، شـارحا وموضحا[١٢] وهو أسلوب العصر الذي عرف به بعد أن وجد نفسه قادرا على استخدام هذا الاسلوب الذي يضمنه نماذج من بليغ الكلام ليفتح أمـام النشء أبواب البلاغة ، ويبصر الأقلام بمواطن الجمال ويـدل العقول على مدافن الأفكار ويقدم وهو يعالج كل موضوع من هذه الموضوعات المعاني الرقيقة والتشبيهات الجميلة والصياغات المتجانسة ، وقد وهب الى جانب هذا الاقتدار براعة باستخدام الألفاظ وعناية بامتلاك الحجج والأدلة التي تعينه

---

(١١) رسائل الجاحظ ٢٥٣/٤ .

(١٢) رسائـل الجاحظ (تنظر رسائلـه (النبل والتنبل وذم الكبر) ١٦٩/٤ وتفضيل النطق على الصمت ٢٢٩/٤ .

على مدح الشيء وذمه بنفس الموازنة وقد أهله حذقه في علم الكلام على استخدامه في هذا المجال ومكنه اطلاعه على المعارف الفلسفية على استخدام أوليات هذا العلم في المسائل العلمية التي كان يطرحها • وقد تميز اسلوبه بهذه النزعة الواضحة التي أكدت قدرته في هذه الصنعة في مداورة المعاني ، واستخدام الألفاظ والاقناع بوجهة النظر التي يريدها مستعينا بملكته البارعة في اختيار الألفاظ واستخدام اللغة وتركيب الكلام حتى أصبحت اللغة في اسلوبه رمزا من رموز البلاغة وصورة من صور الارتقاء البياني الرائع ، ونموذجا من نماذج القدرة التعبيرية الفذة • ان هذا الاسلوب لم يقتصر على رسائله الكثيرة ولكنه امتد الى بعض كتبه الكبيرة مثل كتاب البخلاء الذي اتخذ من مقدمته عرضا لتآليفه الكثيرة وما قدمه كل كتاب في بابه ، ووقف عنده من مواطن ، ليدخل الى أسباب تأليف الكتاب حيث يقول : ذكرت ـ حفظك الله ـ انك قرأت كتابي في تصنيف حيل لصوص النهار وفي تفصيل حيل سُراق الليل ، وانك سددت به كل خَلَل ، وحَصّنت به كل صورة ، وتقدمت ـ بما أفادك من لطائف الخدع ، ونبّهك عليه من غرائب الحيل ـ فيما عسى الا يبلغه كيد ، ولا يجوزه مكر ، ••• وقلت : اذكر لي نوادر البخلاء ، واحتجاج الاشحاء ، وما يجوز من ذلك في باب الهزل وما يجوز في باب الجد ، لأجعل الهزل مستراحا والراحة جماما[١٣] • ويستمر الجاحظ في تساؤله الذي جاء على لسان كاتب (الرسالة) وهو يستفسر عن جعل الجود سرفا ، والاثرة جهلا ، وعن أسباب الاحتجاج بظلف العيش على لينه وبمره على حلوه . ولم رغبوا في الكسب مع زهدهم في الانفاق ، ولم عملوا في الغنى عمل الخائف من زوال الغنى ، ولم يفعلوا في الغنى عمل الراجي لدوام الغنى • ثم يقول : وسألت أن أكتب لك علة خباب في نفي الغيرة وعلة الجهجاه

(١٣) الجاحظ . البخلاء /٥٧ .

في تحسين الكذب ، ومذهب صحصح في تفضيل النسيان على كثير من الذكر وتبقى قصة الكتاب أجوبة للتساؤلات المطروحة التي افتتح بها المقدمة وحدد خطوط تحركه وأقام دعائم بحثه ، ووضع اطار فكرته .. وقد برهن الجاحظ على ان الاسئلة التي افتتح بها هذه الرسائل كانت تؤلف تياراً أو اتجاها أو ظاهرة أحيانا وحالة فكرية أثارت نقاشا أو استثارت شكوكا أحيانا أخرى وهي في كل أحوالها صورة متحركة تستهوي ملكة أصحاب الكلام وتثير حماس أهل المنطق ، وتحفز همم أقطاب المذاهب ولعل كتاب خلق القرآن وصناعة الكلام والرد على المشبهة والمسائل والجوابات واستحقاق الامامة ، واستنجاز الوعد ، ومقالة الزيدية[14] تؤكد هذا الاتجاه وتوثق هذه الظاهرة التي أخذت بعدها في مجالس العلم ، وشغلت مسائلها عقول المعنيين بشؤون الفكر وأمور الفلسفة ، والجاحظ علم من أعلام هذا العلم ، وصاحب نحلة من نحله .

ان محاولة الاشارة الى هذه الاختيارات لا يعني وقوف الظاهرة عند هذه الحدود ، ولا يعني انتهاءها في هذه الصيغ ، ولا يعني ان هذا العصر وحده قد عرف بهذا الشكل من الأساليب أو النمط من التأليف أو أعتمد هذه الطريقة في البحث ، أو استخدم هذا الحوار في المناقشة وانما تعني ادراك المفكرين والمثقفين من العرب وغيرهم لحاجات العصر ، واستيعابهم لمتطلباته التي كانت تلزمهم الخوض في هذه الموضوعات ومعالجة المسائل المطروحة وبيان رأيهم بشأنها من خلال المناقشة المنطقية الهادفة ، وطريقة الاقناع الهادئة التي كانوا يتوخونها من مناقشاتهم ، ويرجونها من محاولاتهم ، الى جانب المسؤولية القومية التي كانوا يتحملونها وهم يرسخون قواعد المنهج

(١٤) الجاحظ تنظر هذه الرسائل (رسائله ٢٨٣/٣ و ٥/٤ ، ٤٧ ، ٢٠٧ ، ٢١٩ ، ٣١١ .

العربي في البحث ، ويؤصلون قواعد الحقائق العلمية في نفوس الاجيال لتكون قادرة على تحمل أعباء الرسالة الجديدة التي حملها العرب لكل الأمم بعد أن أودعها الله في هذه الأمة العظيمة ، وتثقيف الأجيال بما يجعلهم مؤمنين بثقافات عصرهم ، فكان رائدا في كثير من هذه الأساليب لما جاء به من أفكار ، وتحدث به من مسائل ، فأقام سوق الجدل بين الأشياء وابتدع من المعاني ما لا يظن أن يحتمل الا المعنى الواحد ، وجمع بين الأمور المتناقضة ، ودلّ من خلال منطقه عن صواب كلّ فكرة بعد أن عرَض لفضائلها واختار لكل فضيلة ما يناسبها معتمدا ذخيرة وفيرة من الشواهد التي كان يتعامل معها بعقل جريء وفكر وقاد ، ومناقشة منطقية ، الى جانب تأثره بما كان يعرض له أصحاب النحل والمنازعات الكلامية . ولعل كتاب الحيوان وما جرى في المقايسة بين الكلب والديك يمثل الصورة التي كان الجاحظ يقدمها في مؤلفاته . وقد تركت طريقته هذه أثرها عند المؤلفين الذين أعقبوه في بعض مؤلفاتهم وربما يؤلف كتاب الزهرة لأبي بكر محمد بن داود الأصفهاني المتوفى سنة (٢٩٧ هـ) نموذجا من نماذج الكتب التي تأثرت بهذه الطريقة أو اعتمدتها ففي مطلع المقدمة يقول المؤلف[١٥] أطال الله في العز الدائم بقاك ، وصان عن غير الأيام نعماك . وجعلني غرضا للنوائب فداك ، وقدمني الى ورود الحمام قبلك .... فاني وانْ بَخلَ علي الزمان بوفائك ، ونافستني الأيام فيما اعتَصمُ به من حبل اخائك .. ثم يقول : لئن حرِمتُ العلمَ بفضلك علَيّ مع ما حرِمْته من رَغبَتكَ فيّ وقيلك اليّ . لقد حرمت حظاً جزيلاً وخيراً كثيراً . ولكن السبب الباعث لي على طاعتك والمُدَلّلَ لي عند سطوتك . والباسط لك العذر فيما تجنيه والمُعَدِلَ لك فيما

(١٥) ابو بكر محمد بن داود . النصف الاول من الزهرة ١/١ .

تَدَّعيه[١٦] ثم يشير الى هذا المخاطب فيقول : وقد وقفت على ما وصفته من تصاريف الأزمان ، وخيانة الاخوان ، واعلمْ أيدك الله ان من عجيب ما تُحْضِرُهُ الأيامُ ، وتُحوِّلُ به الأوهام ظالِمٌ يتَظلَّمُ وغابنٌ يتَنَدَّم ، ومُطاع يَستظهر وغالبٌ يستنصر ما الذي تُنكرُ ــ أدام الله عِزَّكَ وبسط بالخيرات يدك ــ من تَغَيّر الزمان وأنت من مُغيريه ، ومن جَفَاء الاخوان وأنت المُقدَّم فيه .... وقلتَ قَدَّمني الله قبلك قد أعيا عَلَيّ وُجودُ نديم آنسُ به في الخلوات ، وأجدُ عِندَهُ عـزاءً عن النائبـات يُوردُ الأخبار ويكتم علي الأسرار فان كان في ناحيتك من يفى بهذا المقدار ، ويحفظ طرفا من أشعار المتغزلين وأخبار المتيمين وكان عالما بطرق الهوى وأحكامه[١٧] .. وتجمع المصادر التي ترجمت لأبي بكر محمد بن داود انه صنع هذا الكتاب بسبب فتى من أهل أصبهان كان يهواه ويعشقه حتى أصبح أمره عند معاصريه معروفا[١٨] ويسميه محمد بن جامع الصيدلاني ، ويذكر الصفدي أن محمدا كان يهوى فتى حدثا من أهل أصبهان يقال له محمد بن جامع ثم يقول ويقال ابن زخرف[١٩] ثم يسميه وهب بن جامع العطار الصيدلاني[٢٠] ، وأبو بكر محمد بن داود المعروف بالظاهري من أكابر علماء عصره وفقائهم وأذكيائهم لعلوه في رتبة الأدب ، وتفننه في موارد المذاهب ، وقدرته على الافتاء في سن مبكرة وعلاقة الشاعر بحبيبه (محمد بن جامع الصيدلاني) كما تسميه بعض المصادر دفعته الى أن يقدم له من خلال كتابه الزهرة (الجزء الأول) ارفع النماذج الشعرية وأسماها لتكون أصدق دليل على حبه الذي كان يمثل

(١٦) نفس المصدر والصفحة .
(١٧) نفس المصدر / ٢ ــ ٣ .
(١٨) البغدادي . تاريخ بغداد ٢٦٠/٥ .
(١٩) الصفدي الوافي ٥٩/٣ .
(٢٠) نفس المصدر .

الحب في أسمى معانيه ، وأرفع أشكاله وأعلى مراتبه فهو حب صوفي اذا صح هذا المفهوم ، أو حب مجرد ، تحيطه العفة وتملك ناصيته الفضيلة ، ويتحكم في حدوده العقل ، وهو في كثير من الاحيان أقرب الى الحب الروحي منه الى الحب الجسدي ـ كما يبدو من اخبار الشاعر والاشعار التي قالها ـ وكأن الشاعر أراد أن يرسم دخائل نفسه من خلال هذه القصائد ومن خلال هـذا المحب الذي اختلف المؤرخون في تحديد اسمه ومن خلال هذه الصورة التي اتخذها الشاعر ليعبر عن الكوامن الرقيقة واللواعج الملتهبة وكأنه وجد في هذا الاسلوب طريقه يمرر في مساربه عواطفه وفي هذه الصيغة صورة يرسم من خلالها دخائل نفسه ويصور أعماق هذا الحب الذي تصاعدت براعمه في قلبه وانعكست آثاره في ثنايا الأبواب التي خصصها لكتابه ليكشف لهذا الحبيب (غير المنظور) غصص الحب التي يتجرعها ، ومرائر الحرمان الذي يعانيه . وهي محاولة كما أرى من محاولات المؤلف وهو من أئمة المذهب الظاهري ـ التي حاول أن يتحدث عن نفسه في صورة المخاطب ، ويعبر عن الاحساس الذي لم يجد بدأ في اخفائه بعد أن تمثل المراحل التي مر بها واللحظات التي كان يعانيها وهو يرى الحياة من خلال العواطف الصادقة التي كان يبثها ، وقد وجد الشاعر في طريقته التي عرض فيها لهذا المخاطب ظلا يستطيع أن يستظل بـه ليخفف من حدة حرارة أشواقه وحوارا عريضا يمكن أن يبسط فيه من مرارة النفس ما يريحها من الأعياء ، وفسحة نفسية واسعة تمتص من غلواء كرامته ما يجعلها أكثر اقتدارا على الشعور بالراحة والخلود الى الهدوء والالتزام بأسباب العفة ولكن الذي يبدو من خلال دراسة السياق الاسلوبي للكتـاب يجد أن المؤلف كان يقع بين قضيتين متناقضتين يتحكم في الأولى العقل فيبدو مسألة معقولة . وعروضه متوازنة ومناقشته مستقيمة ، استوعبتها مقدمات بعض المقطعات التي عرض لها في بدايات فصوله ، وتسيطر على الثانية العاطفة فتظهر جارفة عارمة تقاطعت في أوعية شعره وتصلبت في قنوات أحكامـه

فأخذت أشكال المقطعات التي تسربت اليها وقد حاول المؤلف ومنذ السطور الأولى أن يعبر عن حسه الدافق وشوقه الحار بالعبارة التي افتتح بها الكتاب .. حيث قال (أطال الله في العز الدائم بقاك ، وصان عن غير الأيام نعماك ، وجعلني غرضا للنوائب فداك وقدمني الى ورود الحمام قبلك وأبقاك[٢١] ، ويظل هذا الشوق يلون سطور المقدمة ويبدو أنه كان قاسيا تجلّت حدته في بعض العبارات حيث يقول (فاني وان بخل علي الزمان بوفائك ونافستني الأيام فيما أعتصم به من حبل اخائك لينطق من المودة لك، والثقة بك، والرعاية والأنس بقربك على حال تفنى الأوصاف دون فنائها ، وتنقضي الآجال قبل انقضائها ولن يعدل بي ما شكوت ووجوده من توافؤ جفائك ، وألمتُ لفقده من صحة وفائك عن المسارعة الى طاعتك ، والوقوف عند محبتك[٢٢] ، وعندما حاول ايضاح السبب الباعث على هذه الطاعة ، والمُدلل على هذه السطور تمثل قوله :

ينسى الهوى وصفه من حَلّ ذروته ··· كالأرض يشغل عنها من ثوى فيها

وكأنه كان يجد في كشف هذه المعاناة ما يخفف عنه أعباء ما ينوء به من لوعة هذا الحب ، وما يبسطه من ذلة بين يدي محبوبه .

ومن القضايا الغريبة في سيرة هذا الشاعر هو ان شعره الذي ضمنه فصول الكتاب تكشف عن حياة تغاير الحياة التي صورها المؤرخون من خلال ترجمته لأنهم لم يعرضوا لهذه العلاقة التي وردت في مقدمة الكتاب أو التي أشارت اليها قصائد الشعر التي قالها ونسبها الى بعض أهل العصر الا من خلال جزئيات غير لامعة وأخبار غير مركزة ان هذه الحقائق التي يكشف عنها الكتاب تؤكد صورة المخاطب (غير الحقيقي) الذي حاول أن يخاطبه أبو بكر

---

(٢١) الزهرة / ١ .

(٢٢) الزهرة / ١ .

محمد بن داود ، وأن التناقض الذي لف حياته الحقيقية وما عبر عنه في تضاعيف الكتاب تؤكد هذه الحقيقة التي تصور أوضاعه المتباينة وتدل على تأرجحه بين الوصل والهجران والعفة في أعلى درجاتها ، والتواضع في أقل أسبابه ، وهي بالتالي تمثل المنهج الذي اختطه والطريقة التي سلكها بعد أن وجد فيها ما يحقق رغبته في التعبير عن نفسه أو عن ظاهرة اجتماعية أو نفسية أو حضارية لم يجد طريقا يعالجها فيه غير هذا الطريق ولم يهتد الى وسيلة تمكنه من الوقوف عليها غير هذه الوسيلة التي اسقط في حوارها كل العواطف ، ومهد في اطار هذا المخاطب الذي ذهب في تحديد اسمه المؤرخون مذاهب شتى — الى الأفكار التي كانت تدور في أذهان الكثير من معاصريه وقد وجد في هذا الستار وقاية تدفع عنه كثيرا مما يمكن أن يلحق به ، وحماية لما قد يقع فيه من مشكلات ، وهذا ما حمله على أن يؤلف الكتاب استجابة لهذه الرغبة وتحقيقا لتلك الغايات التي ظلت تعيش في وجوده وتتمثل له في كل الصور التي يراها .

واسلوب الحوار وطريقة التساؤل كان محاولة موفقة واستمرارا صائبا للتعبير عن كوامن المعرفة وجلاء وجهات النظر التي لا تنحصر في باب من أبواب العلم وانما تتجاوزه الى أبواب أخرى ، ولا يقف عند ظاهرة محدودة وانما يتعداها الى ظواهر مختلفة ، يستدرج من خلالها الجزيئات التي تشكل الكل الواحد . ويتخذ منها أساسا لاستبطان الأحداث ، واستجلاء المسائل التي تدور في الوسط الفكري والاجتماعي والثقافي ، وقد استطاع الجاحظ أن يحيط بكثير من الواقع الاجتماعي هذا وادراك البعد السياسي للأحداث التي كانت تتوقد حدتها ، وتحتدم تياراتها لتصب في المجرى الفكري الذي حملته العقيدة وأحكمته الشريعة وخلقته الثورة الكبيرة التي صاحبت الرسالة العظيمة التي دفعت الجمهور الى واقع جديد بعد أن ترسخت في ذهنه اصولها

وأحكمت تحركه قواعدها وهذبت اندفاعه قوانينها وخصائصها ويلم التيارات الثقافية التي كانت تأخذ حجمها في النقاش وصورتها في التطبيق وخصائصها في التمييز ويقف عند النوازع الانسانية التي بدأت تتحرك في اتجاهات متلفة، وهي ترى مجتمعا ناهضا وحركة فكرية شامخة ، ونمطا حضاريا واعيا يقدم على العلوم بثقة ويحقق التعريب بوعي ويترجم الثقافات باقتدار وقد تحركت في داخل هذا المجتمع كل العناصر التي وجدت في هذه الحركة اشراقة الحياة الجديدة وملامح البناء الحضاري المتطور •

ان هذا الجو العلمي الواسع الذي بدأت كل عناصره تتحرك من أجل السير بالمجتمع نحو الأهداف المرسومة ووفق الأساليب العلمية الناجعة كان ميدانا فسيحا للجاحظ ولغيره ، يستمدون منه عناصر الحديث ، ودائرة كبيرة تمكنه من أن يأخذ منها ما يشاء وقد مكنته قدرته البلاغية وعقليته الفذة واصالته العربية من الاحاطة بثقافات عصره وقد وجد في اسلوب المحاورة بابا من أبواب التعبير عنها ، واسلوب الحوار محاولة انسانية قديمة استخدمها الانسان منذ أقدم عصوره ووجدها مجالا من مجالات الانسياب التعبيري لكثير من دواخله التي ظلت حبيسة الوجدان ، وقد عرفت الآداب القديمة هذا اللون الأدبي الذي دخل جانبا كبيرا من جوانب الفنون الانسانية ، وقد استطاع الجاحظ أن يتناول هذا الاسلوب تناولا عقليا واضحا ، ويستخدمه استخداما منطقيا يدلل على براعته النادرة ، وتكوينه الثقافي ، لأنه كان مجدا في اسلوبه مبدعا في مناهجه مقتدرا في نزعته الكلامية وبراعته التي كانت تجد في كل صورة من صور الحوار لونا من ألوان التعبير ، ودروبا من دروب التناول وهذا ما كان يحمله على أن يضع في كثير منم قدمات رسائله أسبابا للتأليف ، ودواعي للكتابة ليدخل من خلال هذا التساؤل الى الموضوع الذي يريده ، وينفذ الى الجزئيات التي يتطرق اليها ، وقد تركت طريقته أثرها عند

المؤلفين الذين أعقبوه في كل باب من أبواب الموضوعات التي طرقها أو الأساليب التي اتبعها أو المناهج التي حددها لنفسه وهو يتحدث عن موضوعات غريبة ويتناول الأغراض التي كانت بعيدة عن أفكار الكتاب مثل طبائع البخلاء وحيل اللصوص وأحوال المكدين وأصحاب العاهات وغيرهم ممن وضع في أحوالهم الرسائل فكانوا بابا جديدا من أبواب المعرفة ومنهجا متميزا من مناهج البحث ويبدو ان اسلوب الحوار الذي استخدمه الجاحظ كان يعطيه مجالا أكثر للحركة وقدرة أوسع في المناقشة ومدى أشمل في تناول الموضوعات لأنه من خلال هذا الاسلوب كان يدخل عناصر جديدة ويتطرق الى موضوعات متعددة ويثير تساؤلات تبتعد عن دائرة البحث وتتجاوز الحدود التي يدور فيها مجال الحديث عادة وقد حقق الجاحظ كل هذه الأبعاد في طريقته بعد أن ترك لعقله حرية الاختيار ولموضوعاته مجال التنوع ولانتقائه علاقة الاستثارة والابداع وهي طريقة عرفها الشعر العربي منذ مرحلة متقدمة وتحدث الشعراء بها عن موضوعاتهم واستطاعوا أن يضيفوا الى قصائدهم ألواناً جديدة من المعاني فيحركوا أحداث الأغراض التي يتناولها ويتطرقوا الى الموضوعات التي يجدون في استثارتها عن طريق هذه المحاورة مجالاً للحديث ودائرة للمناقشة واثارة للمشاعر والأحاسيس ، وقد وقفت عند موضوع الحوار بشكل مفصل عند حديثي عن ملامح الشعر القصصي في الشعر العربي ويبدو أن العامل النفسي في تحريك الهواجس يتداخل في طريقة الحوار وينطلق عندما يجد الانسان نفسه وجها لوجه أمام الحقيقة الذاتية التي جسد حقيقتها في الصورة المفتعلة والحديث الذي يرغب الانسان الوقوف عنده والأفكار التي يريد التعبير عنها من خلال هذا الافتعال الذي يأتي عن طريق الخطاب المباشر وهذا ما جعل كاف الخطاب في رسائل الجاحظ وخاصة مقدماتها لونا متميزا وحالة فريدة ، وحديثا متصلا يثير في نفسه وهو يشعر بالمخاطب أمامه ، أبعادا مختلفة ونقاشا مستمرا يدفعه الى مواصلة

الحديث ومزاوجة الكلمات وتدفق القضايا التي تعطيه قابلية التوسع في تجزئة الحديث وقدرة الاستمرار في مناقشة الفروع التي تصبح جزء من القضية الكبيرة التي بدأ الحديث بها ، وأعد نفسه لتوضيح فكرتها وجلاء ما يمكن أن يعلوها من رواسب أو يكتنفها من غموض ، أو يعتريها من اهتزاز حتى يتمكن من تحقيق هدفه ، واستكمال الأصول التي حاول أن يكشفها منـذ المقاطع الأولى لكل موضوع وبهذا يكون الجاحظ قد رسم منهجا جديدا في النثر العربي بعد أن عرف هذا المنهج في الشعر وسلكه الشعراء في كثير من موضوعاتهم وكانت أدوات الجاحظ في هذا المجال أكثر فعالية وأوسع مجالا وأوضح تأثيرا في تناول الموضوعات ومعالجة المسائل الى جانب كونها وسيلة ناجحة من وسائل استمالة القارىء وشدة متابعة الموضوع وتشـوقه الى الوقوف على النتائج في أساليب الكتاب الذي تابعوا الجاحظ في مختـلف مجالات المعرفة دليل واضح من أدلة هذا التأثير وصورة جلية من صـور الأساليب التي ظلت تشق طريقها في مناهج الكتب .



(٢٣) الجاحظ . رسائل الجاحظ . الجزء الثالث /٣ .

البحث العلمي في العلوم الطبيعية

الدكتور جلال محمد صالح
استاذ في جامعة بغداد

سنتعرض في هذه الدراسة الى البحث العلمي في العلوم الطبيعية ، وهي علوم الفيزياء والكيمياء وعلوم الحياة بفروعها واختصاصاتها المتنوعة ومن جانبي البحث الاساسي والتطبيقي . فالبحث العلمي في هذه العلوم يتناول بالدراسة طبيعة المواد وطبيعة الكائنات الحية بشتى أنواعها وأصنافها والعلاقات التي تربط بعضها بعضا ، والعمليات المختلفة التي تحدث فيها والعوامل التي تتحكم بتلك العمليات. فالبحث العلمي في العلوم الطبيعية يهدف الى زيادة معرفة الانسان بالعالم الذي يعيش فيه ، بل يتعداه الى استكشاف ومعرفة العوالم الاخرى المحيطة به بهدف تسخيرها من أجل خدمته ورفاته .

والاهتمام بالبحث العلمي في عالمنا اليوم أخذ يزداد سنة بعد اخرى ، وأصبح للبحث العلمي خطة وميزانية خاصة به في كثير من دول العالم وبوجه خاص المتقدمة منها في مضمار العلم والتقنيات . والتطور العلمي والتقنيات الحديثة التي نشهدها اليوم ما هي الا ثمار تقدم البحث العلمي في العالم . وتتنافس الدول في يومنا هذا على استثمار بعض نتائج البحوث العلمية على هيئة براءات اختراع وتقنيات وخبرات بحثية . وهي تعد بالنسبة للكثير من الدول الصناعية مصادر تمويل رئيسة بجانب صادراتها الاخرى . لقد قال العالم الالماني المشهور « هابر » عقب انتهاء الحرب العالمية الاولى بأن خسارة

المانيا المادية في الحرب يمكن تعويضها بالكامل من ثمار ما يقـوم بهـا من البحوث • وقد صدق « هابر » حين أسفرت بحوثه عن ابتـداع الطريقـة الشهيرة المعروفة الآن بـ « طريقة هابر » لتحضير غاز الامونيا ، ذلك الغـاز الذي يعد أساساً لتحضير المئات بل الالوف من المركبات الكيميائية الاخرى ومنها الاسمدة الكيميائية • ولا تزال هذه الطريقة تستعمل على نطاق واسع في الصناعة حتى يومنا هذا • وقد ترتب على هذا البحث تسجيل الالوف من براءات الاختراع التي لاتزال تدر على المانيا الاموال حتى وقتنا الحاضر •

والبحوث العلمية في العلوم الطبيعية تجرى عادة في المختبرات والحقول والمعامل والمصانع والمراكز البحثية وغيرها من المواقع حيث تتوفر امكانات وظروف التجربة والفحص والتحليل والتمحيص والتمعن • والنتـائج التي تسفر عنها الدراسات والاختبارات والتجارب تسجل بأشكال مختلفة لعل من المفيد الاشارة الى أهمها في الفقرات القليلة الآتية : ــ

أ ــ رسائل الدراسات العليا التي تعد عادة في الجامعات والمعاهد العليـا ومراكز البحوث • والغالب ان يتم نشر القسم الاكبر من مضامين هذه الرسائل على هيئة بحوث علمية في الدوريات • كما وتصدر الجامعات كتباً دورية بخلاصات هذه الرسائل • وتقوم الجامعات العلمية كذلك بتسجيل الرسائل العلمية أو بعض معلوماتها على الرقوق الدقيقـة (رقوق المايكروفش أو المايكروفلم) أو خزنها في الحسابات •

ب ــ نشرها في الدوريات العلمية على هيئة بحوث أو مراسلات مختصـرة (Short Communications) أو رسائل موجهة الى محرري الدوريات العلميـة (Letters to the Editor) •

ويتم في العادة توثيق خلاصات هذه البحوث والرسائل المختصرة في دوريات التوثيق العالمية (Abstracts) •

جـ ــ البحوث والبحوث التطويرية التي تسجل نتائجها كبراءات اختراع (Patents) ويجري في العادة توثيق هذه البراءات في مراكز التوثيق المعتمدة وتنشر خلاصاتها في دوريات التوثيق العالمية الخاصة بها .

د ــ البحوث والبحوث التطويرية التي تسجل في تقارير أو نشرات أو مجلات خاصة لا تعرض عادة للتداول العام .

هـ ــ تصدر مراكز التقييس والسيطرة في الكثير من الدول الاوربية وفي الولايات المتحدة الامريكية دوريات خاصة تنشر بحوث التقييس والسيطرة وطرق الفحص والتحاليل والاساليب القياسية . وهذه الدوريات تعد بحد ذاتها دوريات توثيق عالمية لان دوريات توثيق البحوث العالمية قد لا تنشر منها الا النزر اليسير .

و ــ تسجل نتائج البحوث العلمية في أحيان كثيرة في الكتب التي تصدر عن حلقات المناقشة Discussions أو الندوات العلمية (Symposiums) وحتى عن بعض المؤتمرات . وقد تخضع هذه البحوث أو خلاصاتها للتوثيق العالمي جزئيا أو كليا .

مستلزمات البحث العلمي :

للبحث العلمي مستلزمات كثيرة ومتنوعة نشير الى أهمها في الفقرات الآتية : ــ

١ ــ الباحث العلمي :

وهو عماد البحث العلمي . واليه توكل مهام التخطيط لمشروع البحث وتنفيذه . ويتجه العالم في اجراء بحوث العلوم الطبيعية الى

اسلوب الفرقة البحثية (Research Team) والمدرسة البحثية (Research School) وتضم فرقة البحث عادة عددا من الباحثين ويعاونهم عدد من الفنيين . ويتولى باحث أقدم قيادة فرقة البحث وادارتها وتوجيهها وتقديم العون العلمي الضروري لها . وقد تتعاون أكثر من فرقة بحث للنهوض بمهام مشروع بحثي لكي تكون الدراسة متكاملة والمعالجة العلمية للبحث أشمل وأعمق . وتؤلف الفرق البحثية المتآلفة لمعالجة نفس المشكلة العلمية من جوانبها المختلفة المدرسة البحثية التي أشرنا اليها قبل قليل .

وقد أخذ هذا الاسلوب البحثي دوره أيضا في الجامعات ، فأصبحت فرقة البحث في الجامعة مؤلفة من عدد من أعضاء هيئة التدريس وطلبة الدراسات العليا والفنيين تحت قيادة استاذ أقدم وأكثر تضلعا في العلم والبحث العلمي . وهنا تبرز أهمية القائد في فرقة البحث الذي يتمثل بالاستاذ الجامعي أو الباحث الاقدم الذي يتم من خلاله توجيه الفرقة وتنفيذ منهج البحث بالصورة المطلوبة . ان اعداد مثل هذا القائد هو من أدق الامور وأصعبها . ويوكل مثل هذا الدور في الجامعات المتقدمة الى استاذ متخصص ممن تمرس جيدا في مجال البحث العلمي ونشر الكثير من البحوث العلمية وتخرج باشرافه الكثير من طلبة الدراسات العليا . ويكون هذا القائد البحثي في تماس مباشر مع أدبيات المشكلة العلمية ومع الجهات المستفيدة من البحث ، ويخول عادة صلاحيات ادارية ومالية واسعة تصل الى حد منح الزمالات الدراسية والمنح المالية للباحثين وتعيين من يراهم أهلا للعمل في فرقة البحث .

٢ ـ المكتبة العلمية الحديثة :

المكتبة العلمية الحديثة تعد من الدعامات الاساسية للبحث العلمي ويتم بواسطتها اتصال الباحث العلمي بما يجري في العالم من بحوث ومن تطور علمي ، وتجرى من خلالها تغذية الباحث بأحدث المعلومات التي يحتاج اليها • ويمكن تلخيص امكانات ومهام المكتبة العلمية الحديثة على النحو المبين في الفقرات الآتية :

أ ـ توفير كتب العلوم وكتب المراجع والمعاجم والسلاسل المتقدمة (Advenced Series) ومنشورات التقييس العالمية والدوريات العامة والمتخصصة ذات العلاقة بالعلوم التي تتناولها البحوث • ويجب أن تضم المكتبة الطبعات القديمة والحديثة للكتب والمراجع والمعاجم المهمة وتكون الدوريات متكاملة في اعدادها ومجلداتها القديمة والحديثة • ويجب كذلك ان تتوفر في المكتبة دوريات التوثيق العالمية (Abstracts) بأعدادها الكاملة القديمة والحديثة •

ب ـ توفير رسائل الدراسات العليا وخزن المعلومات المختصرة عنها وتصنيفها واصدار نشرات دورية بخلاصات هذه الرسائل •

جـ ـ التنسيق مع المكتبات الاخرى داخل القطر بشأن استيراد وتوفير الدوريات وبعض السلاسل المتقدمة مستهدفة في ذلك التكامل وتفادي التكرار قدر المستطاع • ويفترض أن تكون كل مكتبة على علم تام بموجودات المكتبات الاخرى داخل القطر وتضع بين أيدي الباحثين دليلا مفصلا وموثقا للرجوع اليه عند الحاجة •

د ـ والمكتبة الحديثة لابد أن تكون على ارتباط وثيق بمراكز

المعلومات داخل القطر وخارجه من أجل توفير المعلومات الضرورية للباحثين باستمرار بأيسر وأسرع الوسائل ٠

هـ ـ عقد اتفاقات ثنائية مع بعض مكتبات العالم المهمة لاقتراض الكتب والمعلومات والبحوث (International Library Loan) مستخدمة عند الضرورة أجهزة الايصال الصورية الحديثة للحصول على مستلات بعض البحوث وعلى بعض المعلومات الضرورية ٠

و ـ توفير رقوق (افلام) علمية وأشرطة صوتية وصورية (فديو) وبعض الاشرطة الصوتية التي تتضمن معلومات علمية قيمة وضرورية لاغراض البحث العلمي والعلم ٠ وتتوفر في الاسواق العالمية الان رقوق وأشرطة متنوعة عن استعمالات الاجهزة العلميـة وأجهزة البحوث الثمينة وعن استخدامات هذه الاجهزة لاجراء التجارب والبحوث العلمية ٠ ويستوجب هذا بالطبع توفير أجهزة العرض اللازمة للافادة من الرقوق والاشرطة وغيرها ٠

ز ـ والمكتبات الحديثة ، ولاسيما مكتبات الاقسام المتخصصة ، تعمل كذلك على توفير مستلات البحوث في بعض المجالات العلميـة ذات العلاقة بنشاطات البحث العلمي وتصنيفها وبرمجتها وخزن بعض المعلومات عنها في أشرطة خاصة وجعلها في متناول أيـدي الباحثين ٠

ح ـ توفير أجهزة طبع وقراءة الرقوق الدقيقـة (رقوق المايكروفش والمايكروفلم) وأجهزة الاستنساخ بأنواعها ولاسيما تلك الخاصة باستنساخ الكتب والمجلدات ، وجعل هـذه الاجهزة صالحـة الاستعمال في جميع الاوقات ٠

ط ـ اصدار أدلة بصورة دورية عن موجودات المكتبة من الكتب والمراجع والمعاجم والرسائل والدوريات ومستلات البحوث والرقوق والاشرطة وغيرها وجعلها في خدمة القراء والباحثين. ويفترض من المكتبة كذلك الاعلان عن أنشطتها وأنواع الخدمات التي يمكن تقديمها للقراء والباحثين بصورة دورية . وتعمل المكتبة كذلك على اصدار نشرات بين الحين والاخر عن أحدث المنشورات التي ترد الى المكتبة وكيفية تصنيف هذه المواد لغرض تسهيل الرجوع اليها .

٢ ـ خطة البحث العلمي :

ان برمجة البحث العلمي والتخطيط له ورصد الاموال اللازمة للصرف عليه تعد من الامور الضرورية لنجاح البحث وبلوغ أهدافه ، بل تعد احدى المستلزمات المهمة للبحث العلمي . والاتجاه في العالم سائر الى توجيه البحث العلمي لخدمة خطط التنمية القومية في كل قطر ومعالجة المشكلات العلمية التي تعاني منها مؤسساته الصناعية والزراعية والانتاجية ، وتحقيق أقصى قدر ممكن من التحسين والتطوير ، هذا مع الابقاء على البحوث الفردية والابداع الذاتي واجراء البحوث الاكاديمية بنسب معقولة من خطة البحث العامة . والبحوث التي تتم في الكثير من جامعات العالم يجري التخطيط لها من قبل الاقسام المختصة بالتنسيق والتعاون مع الجهات المستفيدة التي تعد الممول الرئيس لتلك البحوث ، وللزمالات الدراسية التي تمنح من قبلها للباحثين ولطلبة الدراسات العليا .

ان الغالبية العظمى من البحوث العلمية التي تجرى في الجامعات الامريكية والاوربية يجرى الاتفاق والتعاقد عليها مسبقا مع الجهات

المستفيدة التي تتمثل بالمعامل والمصانع والشركات الزراعية وغيرها •
وتكاد تكون ميزانيات الدراسات العليا والبحث العلمي في تلك الجامعات
حصيلة الدعم المادي الذي تقدمه تلك الجهات الى الجامعات سنويا •
ويزداد دور البحوث الموجهة بشكل أوضح في الدول الاشتراكية حيث
يكون العمل العلمي من خلال الفرق والمدارس البحثية السمة الغالبة
للبحث العلمي في معاهد بحوث هذه الدول بل حتى في جامعاتها •
وتنظم لقاءات دورية ومستمرة بين الباحثين من المعاهد والاقسام
العلمية والمسؤولين في الجهات المنتفعة وذلك لاستعراض المشاكل التي
تعاني منها فرق البحوث والوقوف على سير وتقدم البحوث التي تجرى
معالجتها • وقد تنطوي خطة البحث على دراسة المشكلة العلمية في
الاقسام التابعة للجامعات أو في المعاهد أو المراكز البحثية ، أو قد تتم
معالجة المشكلة في الصناعة أو الزراعة نفسها ، وقد يستوجب الامر
عندئذ تفرغ الباحثين لانجاز البحث في المؤسسة الصناعية أو الزراعية
أو غيرها •

ان أية خطة للبحث العلمي يجب أن تبحث بحثا جيدا وتتعرض
لمناقشة مستفيضة من كافة الاطراف المعنية بها وتوفر امكانات تنفيذها
وترصد الاموال اللازمة لها قبل المباشرة بالعمل • والخطط البحثية
لابد أن تتعرض عقب انتهاء مدة الخطة الى دراسات ومناقشات
مستفيضة وذلك لاستعراض النتائج التي تمخضت عنها ولدراسة
الصعوبات والعراقيل التي اعترضتها وبحث الامور الاخرى الضرورية
وذلك تمهيدا لوضع خطة بحث جديدة •

٤ ــ الاجهزة العلمية واللوازم المختبرية :

البحث العلمي في العلوم الطبيعية يستلزم في العادة استخدام

الاجهزة والادوات والمواد وغيرها • ان رصد الاموال اللازمة لتوفير هذه اللوازم ضمن خطة منسقة ومحكمة أمر ضروري • وبالنظر لكثرة الشركات المنتجة اليوم فان حسن اختيار الجهاز العلمي المناسب لأغراض البحث ، ومراعاة جوانب الصيانة والادامة وتوفير قطع الغيار امور يجب وضعها في الحسبان • والاجهزة العلمية الباهضة الثمن يمكن توفرها في جهة علمية معينة لتتعاون الجهات العلمية المختلفة في القطر الواحد على استخدامها • ان استعمال الاجهزة العلمية الثمينة يكون في العادة محدودا من قبل باحثي موقع بحثي واحد ، وان بالامكان تعميم فائدة وخدمات مثل هذه الاجهزة على جهات علمية اخرى •

وبالنظر للتطور الهائل الذي يطرأ في العالم على صناعة الاجهزة العلمية وفي زيادة حدود دقتها وقدرتها على الميز فان الاختيار يجب ان يقع على أدق الاجهزة وأفضلها ميزا وأكثرها مقاومة عند الاستعمال • وتعد حدود الدقة والميز مهمة جدا في قبول نتائج البحوث العلمية لاغراض النشر العلمي وتسجيل براءات الاختراع وغيرها ، بل ان اختيار الجهاز المناسب لاجراء بحث معين يعد شرطا مهما لحصول البحث على المستوى العلمي اللائق وعلى المكانة المناسبة في دوريات النشر العالمية • وانه بظهور الاجهزة العلمية الحديثة والمقاييس الجديدة للدقة والميز بالنسبة لقياسات مختلفة فقد أصبح يشك الان في أمر كثير من النتائج العلمية التي تم الحصول عليها في السابق باستخدام أجهزة أقل دقة وكفاية •

وتتنافس الشركات الصناعية الاجنبية في مضمار تطوير وتحديث وزيادة دقة وكفاية الاجهزة العلمية وفي تسهيل وتنويع المعلومات التي يستحصل منها • وقد ادخلت الحسابات في الاجهزة العلمية الحديثة

للقيام بالعمليات الحسابية وخزن المعلومات التجريبية وتيسير الحصول على النتائج بصورة نهائية أو شبه نهائية •

٥ ـ الفنيون والورش الفنية :

الورشة الفنية الرصينة تعد من أهم مستلزمات البحث في العلوم الطبيعية ، وانه ليس بالامكان اجراء البحوث العلمية الرصينة بدون توفير فنيين على مستوى عال من الكفاية والقدرة الفنية ، وتوفير المعدات واللوازم التي تحتاج اليها الاعمال الفنية الخاصة بالصيانة والاصلاح • والفنيون بمثل هذا المستوى العالي من المهارة الفنية يعدون عملة نادرة حتى في الدول الصناعية نفسها • وانه ليس من السهولة اعداد مثل هؤلاء المهرة أو توفيرهم عن طريق التعاقد • وهناك دول قليلة في العالم تمتلك مثل هؤلاء الفنيين ، وهي تطالب برواتب أو اجور عالية لغرض التعاقد معهم • ان نافخ الزجاج (Glass Blower) العلمي الماهر يمكن أن يتقاضى راتبا أعلى بكثير مما يتقاضاه الباحث العلمي في مركز بحث مع انه قد لا يحمل أية شهادة دراسية لانه يحصل على خبرته الفنية عن طريق التدريب والممارسة الطويلة • وانه ليس بالامكان معالجة هذا الجانب من مشكلة الحصول على الفنيين في الدول النامية التي تعتمد مقاييس الرواتب فيها على الشهادة •

ويعهد الى الفنيين في الورش الفنية عادة بناء واصلاح بعض الاجهزة التي يحتاج اليها البحث العلمي • ويمكن لبعض الورش الفنية العالية الكفاية بناء وعمل الاجهزة العلمية المعقدة التي تضاهي في دقتها الاجهزة التي تنتجها أحسن الشركات الصناعية • وقد يحتاج البحث العلمي الى أجهزة خاصة لا يمكن الحصول عليها من أي مصدر تجاري، فيكون دور الورشة الفنية عندئذ تصميم وعمل تلك الاجهزة بالمواصفات

التي يقررها الباحثون . والورش الفنية المؤهلة تراقب أجهزة البحث العلمي باستمرار وتحافظ على حسن أعمالها ، وتقوم بالاصلاح الآني لما قد يطرأ عليها من خلل أو عيب .

٦ ـ الوحدات الخدمية المختلفة :

انه بجانب مختبرات البحوث والاجهزة والادوات والمواد فهناك خدمات متنوعة اخرى يحتاج اليها الباحث العلمي في العلوم الطبيعية لغرض اتمام بحثه على الوجه الاسلم ، ونشير الى أهم تلك الخدمات والوحدات الخدمية الضرورية في الفقرات الآتية :

أ ـ مختبر خدمات عامة : ويقدم مثل هذا المختبر خدمات متفرقة الى جميع الباحثين في موقع علمي معين . ويضم مثل هذا المختبر عددا من الاجهزة لاستعمالها في اجراء قياسات متنوعة . ويعهد المختبر الى فني او اكثر للقيام بتشغيل الاجهزة وتقديم الخدمات المطلوبة للباحثين . ويعهد الى استاذ او باحث اقدم او فريق علمي مراقبة اعمال وخدمات المختبر وجعل قياساته موثوقة ومعتمدة على المقياس العالمي .

ب ـ وحدة تقديم خدمات الخط والرسم والتصوير الفوتوغرافي وعمل السلايدات وغيرها من الامور الفنية اللازمة لاغراض البحث العلمي . ويقوم الفنيون في مثل هذه الوحدات بسد احتياجات الباحثين هذه الخدمات المختلفة .

جـ ـ وحدة توليد وتهيئة بعض المواد العامة ، كانتاج سائل النتروجين وثنائي اوكسيد الكربون الصلب او سائل الهواء او سائل الاوكسجين وتوفير اسطوانات بعض الغازات الضرورية . ان مثل

هذه الوحدة ضرورية بجانب المخازن الخاصة بالاجهزة والادوات والمواد •

د ـ بيت الحيوانات ، وهو يضم الحيوانات التي تحتاج اليها البحوث الحياتية والبايولوجية وتجري العناية بهذه الحيوانات وتهيئتها لاغراض التجارب والفحوصات وغيرها •

هـ ـ الحديقة النباتية التي تستخدم لاغراض التجارب الحقلية النباتية ومراقبة نمو النباتات تحت ظروف خاصة واجراء التجارب والفحوصات الميدانية عليها •

و ـ الغرف الباردة او المبردة (Cold Rooms) لاغراض حفظ المواد التي تتأثر بدرجات الحرارة الاعتيادية تمهيدا لاستخدام هذه المواد في البحوث العلمية • وتستخدم هذه الغرف لاغراض بحثية اخرى •

ز ـ وحدة حسابات تقوم بتقديم الخدمات الحسابية المعقدة للباحثين من خلال تهيئة البرامج الحسابية الضرورة واستخدام الحسابة وحل بعض المشاكل الرياضية التي تعترض سير البحوث •

ح ـ يحتاج البحث العلمي في احيان كثيرة الى خدمات النقل وتوفير وسائل النقل الضرورية لتنقل الباحثين او نقل الاجهزة والمواد وغيرها •

بحوث العلوم الطبيعية في الجامعات ومراكز البحوث العراقية

البحث العلمي في الجامعات ومراكز البحوث العراقية اخذ ينمو ويتحسن بشكل محسوس ولاسيما في السنين العشر الاخيرة بفضل توسع الامكانات العلمية للفروع والاقسام والمراكز وازدياد اعداد وانواع الاجهزة اللازمة

لاغراض البحث العلمي . وقد ساعد نمو الدراسات العليا في الجامعات على دفع عجلة البحث العلمي الى الامام . فهناك اليوم باحثـون عراقيون ، رغم قلتهم ، معرفون ليس على المستوى القطري او العربي حسب بل على المقياس العالمي ايضا ، وتجد للبعض منهم العديد من المنشورات في الدوريات العالمية الشهيرة في كل عام بالاضافة الى اغناء الدوريات المحلية والعربية ببحوثهم .

والبحوث الجارية في الجامعات العراقية في اختصاصات العلوم الطبيعية على انواع . ان نسبة صغيرة من البحوث تتصف بالعمق والشمول وتتناول الجانبين الاكاديمي والتطبيقي معا ، وتمتاز ايضا بصفة عالمية رصينة ، هذا في حين ان نسبة اكبر من البحوث الجارية في الفروع والاقسام ليست الا امتدادات رسائل واطروحات اعضاء هيئة التدريس ، وهي في الغالب بحوث اكاديمية . وبالاضافة الى هذين النمطين من البحوث . فهناك بحوث متفرقـة تتصف في الغالب بالسطحية وعدم الشمول ، وتجد الباحث يتنقل من موضوع بحثي الى ثان وثالث وهكذا دون ان ينال اي من هذه المواضيع البحثية الرعاية الكافية. وقد يصيب المشروع البحثي من هذا النمط الانقطاع لزمن غير قليل او قـد يصيبه الاهمال التام في احيان كثيرة . وهناك نسبة غير قليلة من اعضاء هيئة التدريس في الجامعات الذين اقتصرت اعمالهم على التدريس فقط ولم يخططوا للقيام بأي بحث رغم انقضاء سنين طويلة على خدمات البعض منهم .

والبحث العلمي في العلوم الطبيعية في الجامعات رغم جوانبه الايجابية ظل محافظا على طابعه الفردي وعلى كونه رغبة وهواية اكثر من كونه واجبا وخطة . وليس في قانون وزارة التعليم العالي والبحث العلمي ما يلزم عضو هيئة التدريس على البحث العلمي كالزامه له بالقيام بالتدريسات . ولذا ظل البحث العلمي عملا فرديا ورغبة وهواية يقوم به عضو هيئة التدريس عندما يطمح في الترقية الى مرتبة علمية اعلى او للحصـول على مكافأة تعضيـد .

وللاستاذ الجامعي الباحث الحرية التامة في اختيار خطوط بحوثه وتوجيهها وفقا لرغباته • ولم تلتفت الجامعات الى موضوع التخطيط للبحث العلمي رغم وجود الحاجة الماسة الى التخطيط •

واقدمت وزارة التعليم العالي والبحث العلمي في مستهل السنة الدراسية الحالية على خطوة جريئة ومحمودة تضمنت الزام الجامعات العراقية على التخطيط للبحث العلمي • فاستجابت الفروع والاقسام عندئذ وقامت بوضع خططها البحثية ، ثم جمعت تلك الخطط لتكون خطط الجامعات والقطاعات • ونظرا للسرعة التي تمت بها هذه العملية فان هذه الخطط لم تتعرض لمناقشة كافية من قبل المعنيين بها • كما وان وضع الفروع والاقسام لخططها البحثية جاء بمعزل عن اية ضوابط وتوجيهات محددة ، ولذا جاءت الخطط انعكاسا لما يدور في اذهان التدريسيين وحدهم بمعزل عن خطط التنمية واحتياجات الجهات الصناعية والزراعية وغيرها •

ولما كانت هذه الخطة هي باكورة العمل المبرمج للبحث العلمي في الجامعات فلا بأس ان رافقتها مثالب او نقائص ، فهي بغض النظر عن هذه الثغرات بادرة طيبة وخطوة متقدمة يرجى منها الخير • والعبرة ان يتم الالتزام بالخطة ويتابع تنفيذها ومعالجة المشاكل التي ترافق التنفيذ ، وان تكون الخطة التالية لما بعد عام ١٩٩٠ اكثر موضوعية واكثر تحقيقا للطموحات والاهداف •

اننا نفتقر اشد الافتقار الى الفرق والمدارس البحثية ليس في جامعاتنا فحسب بل حتى في المراكز البحثية • والخطط البحثية المستقبلية لابد ان تقوم على كاهل الفرق البحثية وان يتغلب فيها الطابع الجماعي في العمل البحثي على الطابع الفردي • وارجو الا يفهم من هذا اننا نرمي الى الغاء دور البحوث الفردية • فالاسلوب الفردي في بعض البحوث الاكاديمية على وجه خاص امر مرغوب فيه ومطلوب ايضا لانه خدمة للعلم ذاته وكشف لبعض غموضه

واسراره ومساهمة من الباحثين للعراقيين في العلم العالمي الواسع • ولابد لأية خطة بحثية ان تأخذ هذا النمط من البحوث بالحسبان ، وان تؤلف هذه البحوث الفردية نسبة معقولة من الخطة العامة للبحث •

ان الصناعة والزراعة والكثير من المراكز الانتاجية تعاني من مشاكل علمية حقيقية ، وتساهم الشركات والخبرات الاجنبية في معالجة البعض منها ، وان بمقدور الباحثين في الجامعات ومراكز البحوث دراسة هذه المشاكل والمساهمة في معالجتها ووضع الحلول المناسبة لها • وتحتاج هذه المشاكل العلمية الى تضافر جهود الباحثين وانضمامهم الى مجموعات وفرق بحثية لمواجهتها والتغلب عليها • ولا تقتصر فائدة فرق ومدارس البحوث على هذا الجانب فقط بل تمتد الى تطوير الباحث العلمي نفسه وزيادة آفاقه وخبراته وتعريفه بالمشكلات العلمية الميدانية • وفي تكوين الفرق البحثية توفير كبير في الاجهزة والمعدات والجهود فهي تعد بحد ذاتها مدارس لتكوين وتربية الباحثين ليكونوا قادة البحث العلمي في المستقبل •

ولابد للجامعات داخل القطر ان تولي اهتمامها بأمر استحداث فرق ومدارس البحوث كجزء من خطتها في تنفيذ وتشجيع وتعضيد البحث العلمي• ولابد لنا ان نؤكد هنا على اهمية حضور الباحثين للندوات والمؤتمرات العلمية المحلية والعالمية وفي التمتع باجازات التفرغ العلمي داخل القطر وخارجه باعتبارها من مستلزمات تكوين الباحثين وتطويرهم وزيادة خبراتهم وفي تعريفهم بالاجهزة والمعدات والتقنيات الحديثة واساليب البحث العلمي الجديدة • كما ونؤكد على دعوة الاساتذة والخبراء من الجامعات ومراكز البحوث الرصينة في العالم لزيارة الجامعات ومراكز البحوث داخل القطر لمدة قصيرة او طويلة لما فيها من فائدة في تبادل الاراء والخبرات العلمية •

والمكتبات العلمية في العراق رغم موجوداتها الكثيرة والمتنوعة متخلفة

في مضمار العمل المكتبي الحديث . فالكتب والمراجع والدوريات تصل الى معظم مكتباتنا ، بل ان بعض الدوريات العلمية تتكرر في أكثر من مكتبة بشكل غير معقول بحيث ينطوى على الكثير من التبذير ، ومن جهة اخرى هناك نقص واضح في بعض الدوريات وفي بعض المراجع والسلاسل المتقدمة التي تتصل ببعض الاختصاصات المهمة والحديثة . وتعاني بعض الدوريات ودوريات التوثيق العالمية من وجود بعض الفجوات والانقطاعات في بعض اعدادها وخاصة القديمة منها . وان دلت هذه الظواهر على شيء فانما تدل على انعدام المتابعة اليومية في العمل المكتبي وعلى انعدام التنسيق بين المكتبات المختلفة داخل القطر بهدف الوصول الى التكامل وتفادي التكرار وسد النقائص المحسوسة. ولا يزال اسلوب العمل المكتبي التقليدي هو الذي يغلب على نظم واعمال مكتباتنا . انه في الوقت الذي اصبح بمقدور الباحث العلمي في الكثير من مكتبات العالم ان ينجز مسحا في موضوع معين لادبيات المائة سنة المنصرمة خلال بضع دقائق فاننا نجد ان مثل هذا العمل لايزال يستغرق في مكتباتنا العلمية اياما واسابيع واشهراً وقد يتعثر كليا بسبب فقدان بعض المراجع والدوريات من مكتباتنا . وقد اقدم مجلس البحث العلمي على خطوة موفقة حين انشأ مركزا لتوثيق وتبادل المعلومات يمكنه استلام المعلومات في زمن قصير من مراكز المعلومات العلمية هذا في حين ان جامعاتنا العراقية لاتزال تفتقر الى مثل هذا المركز .

ولغرض التغلب على صعوبات الخزن في مكتباتنا فانه يمكن اقتناء الكثير من الدوريات العالمية على هيئة رقوق (المايكروفش والمايكروفلم) . وتباع اليوم مكتبات متكاملة من هذه الرقوق تتضمن كافة الادبيات المتعلقة بأي موضوع متخصص في حجم بضع مجلدات بحيث يمكن تنظيمها في دولاب صغير . ولغرض تطوير الفروع والاقسام العلمية والمراكز البحثية وتقليل

الزخم على المكتبات المركزية فانه يمكن توفير مثل هذه المكتبة في هذه المواقع كي يستطيع الباحث الوصول الى ادبيات موضوعه في مكتبة فرعه او قسمه دون عناء ودون الحاجة الى التنقل من مكتبة الى اخرى .

ان موضوع الورش الفنية وصيانة واصلاح الاجهزة العلمية والنقص الحاد في الفنيين المهرة هو من أهم وأعقد مشاكل البحث العلمي في العلوم الطبيعية داخل القطر وخاصة في الجامعات العراقية . فيكاد الجهاز العاطل يرمى ويجرى التفكير في اقتناء جهاز جديد لعدم وجود الفني المؤهل القادر على معالجة العطل . وهناك ورش صغيرة في بعض الفروع والاقسام العلمية الا انها لا ترقى الى مستوى اصلاح أو بناء الاجهزة العلمية . وتعد مقاييس الرواتب غير مغرية بالنسبة للفنيين . ولم تول الجامعات ومراكز البحوث في القطر اهتمامها اللازم بمشكلة توفير الفنيين ولم تعمل بجدية لاستحداث الورش الفنية الرصينة .

ويمكن للجامعات ومراكز البحث العلمي الزام الشركات الصناعية المجهزة بانشاء الورش الفنية المتخصصة أو انشاء مكاتب صيانة خاصة بأجهزتها لتقديم الخدمات الفنية الآنية التي يحتاج اليها الباحثون . كما ولابد من الاستفادة من الاتفاقيات الثقافية والفنية التي تعقدها وزارة التعليم العالي والبحث العلمي مع بعض الدول للحصول على فرص التدريب للفنيين العراقيين وفي الحصول على الفنيين الاجانب برواتب معقولة . ولعل من الامور الاخرى النافعة في هذا المجال اتفاق الجهات العلمية المختلفة داخل القطر على الاستفادة من عقود الصيانة التي تعقدها احدى هذه الجهات مع الشركات المجهزة بحيث يتسنى لنفس الخبير الفني الذي يصل القطر لتقديم الخدمات الفنية الى موقع علمي معين المرور بالاجهزة المتشابهة في المواقع العلمية الاخرى في القطر .

وقد يستمر عطل بعض الاجهزة العلمية بسبب عدم توفر قطع الغيار اللازمة لها • وتتوقف الكثير من الشركات الصناعية عن تجهيز قطع الغيار بالنسبة للاجهزة التي تمر مدة تزيد على خمس سنوات على بيعها • ان هذه الامور يجب أن تحثنا على الزام الشركات في الاستمرار على صيانة اجهزتها الثمينة والاستمرار على تزويدنا بقطع الغيار الضرورية • وبالنسبة للاجهزة المعقدة والثمينة فانه يلزم تدريب الفنيين من أبناء القطر على التشغيل وأعمال الصيانة في معامل الشركة وكذلك عند نصبها في الموقع داخل القطر •

وهناك نقص حاد كذلك في الوحدات الخدمية الاخرى التي أشرنا اليها في موضوع سابق • وقد تكون بعض أنماط الخدمات متوفرة في موقع معين والبعض الاخر في موقع علمي آخر الا ان انعدام التعاون والتنسيق بين هذه الوحدات المتفرقة خاصة عند وجودها في مواقع متباعدة عن بعضها البعض يجعل الفائدة المستخلصة منها قليلة •

نشر البحوث العلمية :

يتم نشر بحوث العلوم الطبيعية عادة في الدوريات العلمية ذات العلاقة بهذه العلوم • وتكون هذه الدوريات اما عامة ، وهي التي تأخذ على عاتقها نشر البحوث من شتى اختصاصات كل علم ، أو دوريات متخصصة ، وهي تتعهد بنشر البحوث في اختصاص دقيق لعلم من العلوم الطبيعية ، أو قد تكون دوريات متخصصة بينية ، وهذه تهتم بالمواضيع التي يشترك بها علمان أو أكثر ، أي المواضيع الحدودية • وهناك دوريات من النوع الاخير التي تتناول علما أو أكثر من العلوم الطبيعية في المجال التطبيقي أو عند استخدامها في العلوم الاخرى كالطب أو الهندسة أو الزراعة أو غيرها •

وتصدر الدوريات العالمية في هذه الاختصاصات بمعدل عدد واحد أو عددين في كل شهر • ويتضمن كل عدد بحوثا متكاملة (Full Papers)

ومراسلات قصيرة (Short Communications) أو رسائل موجهة الى هيئة التحرير (Letters to the Editors) بالاضافة الى اخبار المؤتمرات والندوات والمناقشات العلمية ، واضافة الى نقد ومراجعات الكتب الجديدة • وتصدر كل دورية في نهاية كل عام فهرسا بالمؤلفين وبعناوين البحوث وبصيغ المركبات التي وردت في اعداد المجلة التي صدرت خلال السنة •

والدوريات العلمية العالمية لاتزال هي المعول عليها في نشر البحوث العلمية الاصيلة او التي تتسم بالجدة والابتكار والاضافة • وهذه الدوريات تصدرها عادة الجمعيات العلمية الامريكية أو الاوربية وتمتاز هذه الدوريات بانتظام مواعيد صدورها وسعة انتشارها اذ انها تدخل الى جميع مكتبات العالم تقريبا • وتكون البحوث المنشورة في هذه الدوريات موثقة لدى دوريات التوثيق العالمية (Abstracts) • وتلتزم هذه الدوريات بالمقررات والتسميات والرموز والصيغ والمختصرات والوحدات المتفق عليها من قبل المنظمات العلمية العالمية • وتشرف على توزيع هذه الدوريات وطبعها شركات الطبع والتوزيع والنشر العالمية وتتقيد هذه الدوريات عادة بتعليمات نشر محددة وصارمة وتمتاز بامتلاكها لهيئات تحرير من ذوي العلم والمعرفة الذين يتم اختيارهم بكل دقة وامانة ولا يقتصر اختيارهم على العلماء والمختصين من البلد الذي تصدر منه الدورية بل يتم اختيارهم في أكثر الاحيان من المختصين من عدة دول • وتؤلف بدلات الاشتراكات واجور النشر وأثمان المستلات واجور الاعلانات وغيرها من الامور مصادر التمويل الرئيسة لهذه الدوريات •

وتلجأ بعض الدوريات العالمية الى وضع خلاصة لكل بحث بلغتين أو ثلاث لغات ، فتجد في العدد الواحد من الدورية بحوثا باللغة الانكليزية

وبحوثا باللغة الالمانية وبحوثا باللغة الفرنسية • ولرئيس التحرير في الكثير من هذه الدوريات عدد من المشاركين (Associate Editors) يتم اختيارهم من المواقع العلمية المختلفة في القطر ومن بعض الاقطار الاخرى• وبذا يتيسر للباحثين ارسال بحوثهم الى أي من مشاركي رئيس التحرير الذي يخول عادة بالصلاحيات اللازمة للقيام باجراءات التقويم بنفسه بالاعتماد على قوائم الخبراء والمقومين في الاختصاصات المختلفة التي تقر مسبقا من قبل هيئة التحرير • ولكل دورية هيئة تحرير قوامها عشرة أعضاء أو أكثر يتم اختيارهم بكل دقة وعناية ويراعى في ذلك تنوع اختصاصات أعضاء الهيئة واختيارهم من المواقع العلمية المختلفة في القطر والاستعانة ببعض المختصين من الاقطار الاخرى •

وبالنظر لكثرة طلبات النشر من شتى أنحاء العالم في الدوريات العالمية المشهورة ، فان هذه الدوريات لجأت الى العديد من الاجراءات للحد من ضغط النشر فيها ولضمان انتقاء البحوث الجيدة فقط من بين البحوث الكثيرة التي تصل الى الدورية لاغراض النشر ، ونذكر من هذه الاجراءات :

١ ــ الالتزام بنشر البحوث الاصيلة والمبتكرة واهمال ما سواها • ويعهد الى خبراء مختصين للحكم على الاصالة والابتكار وعلى سمو المحتوى العلمي للبحث وعلى توافق حجم البحث مع محتواه من العلم الحديث • وتهمل البحوث التي لا تؤدي الى احداث تقدم ملموس في العلم • والبحوث التي تضم نتائجا علمية كالتي يمكن الحصول عليها باتباع الطرق والوسائل الرتيبة أو باستعمال الاساليب والطرق القياسية المعروفة تعد غير صالحة للنشر في مثل هذه الدوريات •

٢ ــ تركيز البحث الى أقل عدد من الصفحات دون المساس بهيكله الرئيس• وقد اعتادت الدوريات العالمية على جعل الحد الاعلى لصفحات البحث

الواحد بحوالي (١٠) الى (١٢) صفحة • ويعهد الى الخبراء والمختصين لبيان ما يمكن حذفه من البحث أو ما يمكن خزنه في الرقوق الدقيقة (المايكروفش أو المايكروفلم) والاشارة الى الاجزاء الحيوية من البحث التي يجب الابقاء عليها عند النشر •

٣ ـ فرض اجور نشر عالية ، وقد تصل اجرة النشر في بعض الدوريات العالمية الى أكثر من (١٠٠) دولار للصفحة الواحدة • وتدفع اجور لاجزاء البحث التي تتطلب الخزن في الرقوق الدقيقة (رقوق المايكرو أو الحسابة) •

٤ ـ بيع مستلات البحث لقاء اجور • والدوريات العالمية لا تزود أصحاب البحوث بأي عدد من مستلات بحوثهم مجانا ، فيضطر المؤلف الى اقتناء العدد الذي يحتاج اليه من مستلات بحثه بثمن • ويصل سعر (٥٠) مستلة غير مجلدة (بدون غلاف كارتوني) في بعض الدوريات الى (٢٥٠ ـ ٣٠٠) دولار عدا اجور البريد التي تترتب على ارسال المستلات في رزمة بريدية •

٥ ـ تقويم كل بحث من قبل ثلاثة خبراء أو خبيرين في الاقل • ويجب أن تكون آراء الخبراء جميعا بجانب اصالة البحث وجدارته بالنشر كي تقر هيئة التحرير قبوله للنشر • ويتم تزويد كل مقوم بنسخة من البحث الذي يراد تقويمه مع نوعين من استمارات التقويم تتضمن اسئلة محددة ودقيقة يتم من خلالها الحكم على مستوى البحث ومكانته على مقياس الاصالة والابتكار والجدة •

ويسجل على كل بحث تاريخ استلامه ويضاف عليه تاريخ ثان اذا تعرض البحث الى تعديلات للاشارة الى تاريخ استلامه بعد اكتمال التعديلات

المقتضية فيه . ويأخذ البحث تسلسله في عملية التحرير والنشر بحسب تاريخ قبوله النهائي . ويلاحظ من متابعة نشر البحوث في الدوريات العالمية ان الزمن بين تاريخ استلام البحث للنشر وتاريخ نشـره يصل الى (١٠) الى (١٢) شـهر .

وتدل الاحصائيات العالمية على ان عدد البحوث التي تنشر في دوريات العلوم الطبيعية المختلفة والتي يتم توثيقها في دوريات التوثيق المختصة يصل الى حوالي مليون بحث سنويا كما هو مبين في الجدول الآتي : ـ

العـــلم	عدد البحوث المنشورة في السنة الواحدة
الكيميـــاء	حوالي نصف مليون
علوم الحياة	(٣٥٠) ألف
الفيزيـــاء	(١٧٥) ألف

ويكاد يكون هذا العدد الاجمالي من البحوث ثابتا خلال الاعـوام ١٩٨٠ ـ ١٩٨٥ . ولا تتناول هذه الاحصائية تلك البحوث التي تشترك مع العلوم الاخرى كالطب والهندسة والزراعة وغيرها . ولو أضفنا الى هـذا العدد البحوث العلمية غير الموثقة والبحوث التطويرية التي تسجل على هيئة تقارير أو براءات الاختراع والبحوث التي تتصف بطابع الكتمان والسرية لوجدنا ضخامة بحوث العلوم الطبيعية التي تنجز في العالم سنويا . ويقـدر بعض الخبراء عدد البحوث التي تجرى في اختصاصات العـلوم الطبيعيـة المختلفة بأكثر من (٥٠٠٠) بحث في اليوم الواحد .

النشر في المجلات العلمية العراقية :

تصدر جامعة بغداد (كلية العلوم) مجلة علمية تحمل عنوان « المجـلة العراقية للعلوم » وهي تمثل كافة الجامعات العراقية في ميدان نشر بحوث

الكيمياء والفيزياء والرياضيات وعلوم الارض • وتصدر هذه المجلة بمجلدين (أربعة أعداد) في كل عام ، ويتضمن كل مجلد منهما من (١٠) الى (١٥) بحثا موزعة على الاختصاصات المذكورة آنفا • وعلى افتراض ان حصص العلوم المختلفة في النشر بالمجلة متساوية ، فان حصة كل من العلوم التي تتناولها المجلة بالعناية والنشر تتراوح من (٤) الى (٦) بحوث في العام الواحد • والواقع ان تساوي حصص النشر غير حاصل وان لبعض الاختصاصات حصصاً أكبر من غيرها لاسباب تتعلق بامكانات الاقسام وتباين اعداد البحوث التي تصدر منها في كل عام وغيرها من الامور •

والجمعيات العلمية العراقية تصدر هي الاخرى مجلات علمية ، فتكاد تصدر كل جمعية علمية مجلة خاصة بها وبحدود عددين في كل عام ، ويتضمن كل عدد منهما حوالي (٨) بحوث • وبهذا ترتفع طاقة النشر في المجلات التي تصدر داخل القطر بالنسبة الى كل اختصاص الى (٢٠ ــ ٢٢) بحثا سنويا • وهناك مجلات متخصصة اخرى في العلوم المشار اليها آنفا أو في العلوم التطبيقية المختلفة كما هو الحال مع المجلات التي تصدر في الجامعة التكنولوجية وفي مجلس البحث العلمي وفي الكليات العلمية الاخرى (من غير كليات العلوم) • ولو أدخلنا في حساباتنا طاقات هذه المجلات في مجال نشر بحوث العلوم الطبيعية لارتفع عدد البحوث التي تنشر في كل علم الى حوالي (٥٠) بحثاً في العام الواحد • وهذا العدد من البحوث التي يسكن نشرها في المجلات العلمية المتخصصة التي تصدر داخل القطر يمثل جزءا يسيرا من البحوث التي تنجز والتي تتطلب النشر في الدوريات العلمية •

ويجدر بنا ان نشير هنا الى أهم الصعوبات التي تعاني منها المجلات العلمية التي تصدر داخل القطر ، وهي :

١ ــ الصعوبات الفنية والطباعة من جراء قلة الفنيين المهرة في المطابع العراقية

ممن يحسنون طبع البحوث العلمية التي تكثر فيها عـادة الرمـوز والمعادلات والصيغ والاشكال البيانية وغيرها من الامور التي تتطلب مهارات خاصة في الطباعة والاخراج . والصعوبات الفنية والطباعيـة لا تؤدي الى وقوع الاخطاء الطباعية الكثيرة وسوء الاخراج فحسب بل الى تأخر صدور المجلات عن مواعيدها المقررة .

٢ ـ الصعوبات المالية الناجمة عن عدم وجود موارد مالية ثابتة لتغطية نفقات الطباعة والاخراج والتوزيع وصرف المكافـآت ومصـاريف النشـر المتنوعة . ان ميزانية كل مجلة هي منحة تقدمها الدولة لها . ويفترض من كل مجلة ان تعمل ، بالاضافة الى هذه المنحة أو بدونها ، الى ايجاد مصادر تمويل خاصة بها على غرار ما تقوم بها دوريات العالم المختلفة .

٣ ـ عدم انتظام مواعيد صدور المجلات للسببين المذكورين آنفا ولغيرهما من الاسباب . فقد يتأخر صدور العدد الواحد من المجلات أحيانا سنة كاملة أو أكثر . ان عدم انتظام صدور المجلة يفقدها سوق التبـادل والاشتراكات المعروفة بالنسبة للدوريات العلمية يضاف الى هذا ان مراكز التوثيق العالمية (Abstracts) يقل اهتمامها عادة بالدوريات التي لا تتقيد بمواعيد منتظمة في الصدور أو التي لا تصل الى مكتبات العالم بانتظام .

٤ ـ صعوبات متفرقة تتعلق باختيار هيئات التحرير وتنفيذ تعليمات النشر ، وقلة المختصين المؤهلين للقيام بمهمة التقويم في بعض الاختصاصات ، وقلة المكافآت التي تمنح للمقومين وغيرها من الامور .

وبالنظر لصغر طاقة النشر العلمي في المجلات التي تصدر داخل القطر ، ولعدم انتظام مواعيد صدور هذه المجلات ولحاجة الباحث العراقي الى النشر

لاغراض الترقيات العلمية والتعضيد وغيرها فانه يلجأ الى الدوريات الاجنبية لنشر بعض البحوث ولاسيما اذا كانت البحوث بمستويات عالمية مرموقة • ولا شك ان نشر بعض البحوث العلمية الرصينة في الدوريات العالمية أمر مرغوب فيه بل مطلوب أيضا لما ينطوي عليه من دعاية علمية كبيرة للقطر العراقي ، واظهار لقدرات الباحثين العراقيين في ميدان العلم والمعرفة •

وهناك صعوبات مختلفة ترافق اعداد البحث وطبعه وقبوله للنشر نتطرق الى البعض منها بايجاز :

١ ـ يقوم الباحث العراقي بطبع بحثه في أغلب الاحيان بنفسه أو بواسطة بعض المكاتب القليلة الخبرة بطبع البحوث العلمية على الآلة الكاتبة • ويقوم الباحث أيضا باعداد الاشكال البيانية والرسوم أما بنفسه أو بواسطة بعض المكاتب الاهلية ؛ والغالب ان يتكلف الباحث هذه المصروفات بسبب عدم وجود تعليمات صريحة بالصرف على مستلزمات اعداد البحوث لاغراض النشر العلمي •

٢ ـ تتطلب عملية نشر بحث ما في مجلة عالمية اجراء عدة مراسلات مع هيئة تحرير المجلة وارسال رزم بريدية مختلفة بالبريد الجوي المسجل الى خارج القطر • وقد تزيد تكاليف البحث الواحد في الوقت الحاضر على الثلاثين ديناراً• وقد ينشر الباحث عددا من البحوث في المجلات الاجنبية خلال السنة الواحدة • والباحث العلمي يتحمل أيضا هذه التكاليف بالاضافة الى تحمله للاجور البريدية التي تترتب على توزيع مستلات بحوثه على طالبي هذه المستلات من خارج القطر •

٣ ـ يصعب على الباحث دفع أجور النشر أو شراء مستلات بحوثه التي تنشر في المجلات الاجنبية وذلك بسبب عدم سماح التعليمات المالية النافذة بذلك• وقد تكون هناك مصاريف اضافية اخرى عندما تقضي

الضرورة خزن بعض معلومات البحوث في الرقوق الدقيقة (رقوق المايكروفلم ...) أو في الحسابات العلمية والباحث العلمي يتحمل أيضا هذه المصروفات وان كان يتعذر عليه تسديدها للاسباب التي أوردناها آنفا ولعدم وجود تعليمات بالصرف على اجور النشر واجور المستلات وغيرها من الاجور المتصلة بعملية النشر العلمي .

ولغرض معالجة الصعوبات المرتبطة بعملية النشر العلمي نقترح مايأتي :

١ ــ استحداث مراكز خاصة في الجهات التي ينتمي اليها الباحثون لتقديم خدمات للطباعة على الآلة الكاتبة وخدمات الرسم والاستنساخ والتصوير للباحثين ، كأن يكون هناك مركز في كل جامعة أو كلية أو مركز بحثي . وعند تعذر استحداث مثل هذه المراكز في بعض الجهات العلمية فان هذه الجهات تتحمل المصروفات المالية التي تترتب على حصول الباحثين على مثل هذه الخدمات .

٢ ــ اختيار هيئات تحرير المجلات العلمية من ذوي الخبرة والاختصاص ومن المواقع العلمية المختلفة داخل القطر والاستعانة كذلك ببعض المختصين من الاقطار العربية الاخرى . وتناط بهذه الهيئات المسؤوليات الآتية :

أ ــ وضع تعليمات نشر جديدة تتماشى مع تعليمات النشر المعمول بها على المستوى العالمي ، والعمل على الالتزام بها .

ب ــ تنظيم هيكل المجلة على غرار هياكل المجلات العلمية الرصينة بحيث يتضمن كل عدد بحوثا متكاملة ومراسلات علمية قصيرة والرسائل الموجهة الى هيئة التحرير بجانب افراد باب لنقد الكتب العلمية . والعمل كذلك على اصدار فهرس بالمواضيع وآخر بالمؤلفين وثالث بالصيغ في نهاية كل عام .

حـ ـ زيادة اعداد المجلة بحيث تستطيع تجاوز صعوبات تأخير النشر وتعمل على تخفيف ضغط البحوث التي تستلزم النشر . والعمل كذلك على تنظيم مواعيد صدور المجلة .

د ـ توثيق المجلات العلمية وايصال أعدادها أو خلاصاتها الى دوريات التوثيق العالمية حال صدورها وباستخدام أسرع الوسائل المتيسرة .

هـ ـ ايجاد مصادر تمويل جديدة للمجلات عن طريق الاشتراكات مع مكتبات العالم المختلفة وبنشر الاعلانات وفرض اجور مناسبة على أصحاب البحوث لقاء تزويدهم باعداد كافية من المستلات وغيرها من الاساليب المتبعة في هذا المضمار .

٣ ـ تخصيص مطابع خاصة كمطابع بعض الجامعات لطبع المجلات العلمية التي تصدر داخل القطر . وتهيئة كافة مستلزمات الطباعة الحديثة من حروف عامة وخاصة ورموز وأشكال ، وزيادة القدرة الفنية والطباعية لهذه المطابع لضمان جودة الطباعة وحسن الاخراج وسرعة الانجاز . ويحسن كذلك العمل على زيادة خبرة العاملين في هذه المطابع من خلال التدريب داخل القطر وخارجه .

٤ ـ تحمل الجهات العلمية من جامعات ومراكز بحوث وغيرها المسؤوليات المالية المبينة أدناه :

أ ـ دفع اجور النشر التي تترتب على نشر بعض البحوث الرصينة في المجلات العالمية .

ب ـ شراء ما لا يقل عن (١٠٠) مستلة بحث لاغراض الاستفادة والتوزيع وذلك بالنسبة لكل بحث يتم نشره في الدوريات العالمية .

حـ ـ تحمل التكاليف البريدية المتعلقة بنشر البحوث العلمية وتوزيع مستلاتها وعلى مقياس البريد الجوي المسجل •

تعريب البحوث العلمية :

تكتب بحوث العلوم الطبيعية عادة باللغة الانكليزية ويندر كتابة البحوث في هذه العلوم باللغة العربية • والمجلات التي تصدر داخل القطر تنشر أيضا بحوث العلوم الطبيعية باللغة الانكليزية مع وضع خلاصة لكل بحث باللغة العربية ، مع العلم ان مثل هذه الخلاصة القصيرة مفقودة أيضا في بعض المجلات العلمية المحلية • ويعني هذا ان التعريب لم يتوغل بعد الى مجال النشر العلمي في هذه العلوم مع ان التعريب قد دخل منذ سنتين الى ميدان الكتب الدراسية والرسائل والاطروحات في نفس هذه الاختصاصات • والاعذار في عدم النشر باللغة العربية لاتختلف كثيرا عن تلك التي كانت تطرح في السابق عند المطالبة بتعريب الكتب والرسائل والاطروحات • وقد تكون قلة المصطلحات وبصورة خاصة في بعض الاختصاصات الدقيقة من أهم تلك الاعذار • ويدعو هذا الى الاسراع بوضع المصطلحات المجمعية المنجزة في متناول أيدي الباحثين والعمل على جعل هذه المصطلحات ملزمة في كافة مؤسسات الدول وعلى وجه خاص في الجامعات ومراكز البحوث وغيرها من المواقع العلمية •

ونظرا لان اللغة الانكليزية هي لغة العلم في العالم فان الضرورة تقضي بوضع خلاصة وافية باللغة الانكليزية مع كل بحث وذلك عند المباشرة بتعريب البحوث العلمية • وتكفل مثل هذه الخلاصة الانكليزية تعريف الباحثين خارج القطر ومراكز التوثيق العالمية بالبحوث التي تنشر في مجلاتنا المحلية • ويمكن ان تكون الخلاصة الاجنبية للبحث المكتوب باللغة العربية بلغتين من اللغات الاجنبية الحية كما هو الحال مع بعض الدوريات

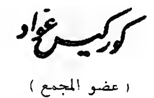
التي تصدر في بعض الدول الاوربية .

ان الجمعية الملكية في بريطانيا ، وهي بمثابة المجمع العلمي البريطاني . تصدر دورية مشهورة تدعى Proceeding of the Royal Society بسلسلتين ، بمعدل عدد واحد من كل سلسلة في الشهر ،وتنشراعداد احدى السلسلتين بحوثا في مجال العلوم الصرفة والتطبيقية في حين تتحمل السلسلة الاخرى أعباء نشر البحوث الانسانية . وهذا هو طموحي بالنسبة لمجلة المجمع العلمي العراقي . فان تعذر تحقيقه اليوم فان أملنا ان يتم فتح المجال لتعريب البحوث العلمية الرصينة في مجال العلوم المختلفة على صفحات مجلة المجمع العلمي العراقي بعد أن تكون المجلة قد وضعت لنفسها منهجا جديدا اسوة بدوريات العالم الشهيرة في يومنا هذا .

ومن الله النصر والتوفيق .



أدب المذكرات في العراق


كوركيس عواد

(عضو المجمع)

تمهيـــــد :

تدوينُ « المذكرات » لونٌ من التأليف ، يجمع بين ضروب شتّى من أبواب المعرفة . ويدخل في ذلك : الأدب ، التاريخ . البلدان . المشاهدات ، التراجم ، السِيَر ، السياسة ، وغير ذلك من الموضوعات التي تناولها كاتِبُو هذه المذكرات ، معتمدين على المشاهدة والمعايَنَة .

وقد يكون لبعضهم أثرٌ بَيّنٌ في مجرى تلك الأمور التي دوّنوها ، واطّلاع واسع على خفاياها ودخائلها .

وتتفاوت المذكرات في ما ترمي اليه من أغراض . وقد يُتاحُ لأصحابها الكشف عن اسرار دفينة وغوامض لم يتأتَّ للكثيرين الوقوف عليها . هذا الى أنّ جانبـاً ممّا كتبوه في وصف الأماكن والبقــاع ، لم يتعرّض لــه البلدانيون ، وأن بعض ما أوردوه من أخبارٍ تاريخية ، لم يُنَوِّه به المؤرخون في ما لهم من تصانيف .

وفي وسْعِنا القول ، انّ اللغة العربية قد حَظِيَت في عصرها الحديث بجمهرةٍ كبيرة من تلك التصانيف التي يُطلَق عليها اسم « المذكرات » .

وبين هذه المذكرات ، ما قد نُشر بالطبع ، ووقف عليه قرّاء العربيــة ، وأفادوا منها الفوائد الجمة . وبينها ما لا يزال مخطوطاً ، ينتظر مَن يُعنَى بنشره واخراجه للنور .

ولقد عُنِينا في هذا البحث بالتنويه بما كُتب من مذكرات ٍ ألّفها أبناءُ العراق ، أو غيرهم ممّن أَمضَى شطراً من حياته في هذا القُطر ، فأشرنا في كلٍ منها ، الى عنوان تلك المذكرات ، واسم مؤلفها ، وسنة وفاته انْ كان قد توفي ، ومحل وسنة طبعها ان كانت قد طُبعت ، وعدد صفحاتها ، الى غير ذلك من الأمور التي ينبغي ذكرها حسبما يقتضيه البحث .

ورتبنا ذلك جميعاً ، وفقَ السياقة الهجائية لعناوينها .

ولسنا ندّعي أننا أحطنا علماً بكلّ ما صُنّف في هذا الباب ، فقد يكون فاتَنَا التنويه بشيء منها . ومن ثمّة ، فانه لَيُسْعدنا أن نتلقّى من الأدباء والباحثين ، ما يؤدي الى استكمال جوانب هذا الموضوع .

اتخذنا في تضاعيف هذا البحث ، الرموزَ الآتية ، التماساً للاختصار ، وهي :

ت	توفي ، المتوفّى
ج	جـزء
د	دكتور
د ت	دون تاريخ
ط	طبعة (ط ١ : طبعة أولى ، ط ٢ : طبعة ثانية ، الخ)
ط ر	طُبع بالرونيو
ظ	أُنظرْ
ع	عدد
م	سنة ميلادية
مط	مطبعة
المط	المطبعة
هـ	سنة هجرية

وقد رقمنا كل واحدةٍ من هذه المذكرات ، برقمٍ تسلسلي عام ، مبتدئين بالرقم (١) ومنتهين بالرقم (١٢٧) •

وختمنا البحث ، بفهرسٍ هجائي ينطوي على أسماء الأشخاص الواردة في تضاعيف مواده ، معتمِدِين فيه على الأرقام التسلسلية التي تتصدّر تلك المــواد •

★ ★ ★

١ ــ آراء في القضية العربية وذكريات عنها :

تأليف : علي محمود الشيخ علي ، ت ١٣٨٧ هـ = ١٩٦٧ م •
(جـ ١ : المقدمة • مط السعدي ــ بغداد ١٩٥٠ ؛ ٣٤٤ ص) •

٢ ــ آل فَتْلَة كما عرفتهم •

تأليف : أ• س• ح• [توقيع مستعار ، قيل لنا انه تأليف : جعفر الخليلي، ت ١٤٠٥ هـ = ١٩٨٥ م] •
(مط الراعي ــ النجف ١٩٣٦ ؛ ١١٩ ص) •

٣ ــ احداث عاصرتها •

تأليف : عبدالرزاق الحسني •
(كتاب مخطوط • أخبرني به مؤلفه) •

٤ ــ ٤٠ يوماً في لنــدن •

تأليف : عبدالرزاق الهلالي ، ت ١٤٠٦ هـ = ١٩٨٥ م•
(مط الرشيد ــ بغداد ١٩٤٦ ؛ ١٣٦ ص) •

٥ ــ اقدم أصدقائي العرب •

ألفه بالانكليزيــة : د• جون ڤانيس ، وقد أمضى سنوات طويــلة في

العراق •

نقله الى العربية : جليل عمسو ، المولود في الموصل سنة ١٨٩٥ م•

(مط بغداد ــ بغداد ١٩٤٩ ؛ ٤ + ٣٤٦ ص) • عنوان الأصل :

Van Ess (John), Meet the Arab. (London, 1947).

٦ ــ الأكراد : ملاحظات وانطباعات •

ألفه بالروسية : المستشرق ف• ف• مينورسكي •

نقله الى العربية ، وعلّق عليه ، وقدّم له : د• معروف خزنه‌دار •

(مط النجوم ــ بغداد ١٩٦٨ ؛ ١٠٠ ص) •

٧ ــ اميركا كما رأيتها •

تأليف : أمين المميّز •

(مط السكك الحديدية ــ بغداد ١٩٥١ ؛ ص + ٣٢٢ ص) •

٨ ــ أنا ضحية الأقدار : مذكرات احدب •

تأليف : ثابت الآلوسي •

(بغداد ١٩٦٥) •

٩ ــ الانكليز كما عرفتهم •

تأليف : أمين المميّز •

(جـ ١ : مط السكك الحديدية ــ بغداد ١٩٤٤ ؛ ٣١٢ ص) •

١٠ــ أوراق أيامي : مذكرات (١٩٠٠ ــ ١٩٥٨) •

تأليف : طالب مشتاق . ت ١٣٩٧ هـ = ١٩٧٧ م •

(جـ ١ : دار الطليعة للطباعة والنشر ــ بيروت ١٩٦٨ ؛ ٦٢٢ ص) •

(جـ ٢ : نشر بعنوان : « مذكرات سفير عراقي في تركيا » •

(دار الكاتب العربي ــ بيروت ١٩٦٩ ؛ ٦٤٨ ص) •

١١ــ أوراق ناجي شوكت (رسائل ووثائق) .

تأليف : ناجي شوكت ، ت ١٤٠٠ هـ = ١٩٨٠ م .
تحقيق : محمد أنيس ، ومحمد حسين الزُبَيدي .
(مط الجامعة ــ بغداد ١٩٧٧ ؛ ٣١٢ ص) .

١٢ــ الأيام السود ، أو صفحة من تاريخ العرب الحديث .

وهي مذكرات ألّفها رفيق التميمي .
نشرها : ابراهيم حمدي .
(مط دار الأيتام ــ بغداد ١٩٣٢ ؛ ٢٦ ص) .

١٣ــ الايام العمياء والناس الحمقى : قصة الموصل الحدباء والحرب الكونية الأولى الشــعواء .

تأليف : بهنام وديع أوغسطين .
(مط التمدن ــ بغداد ، دت ، ٢١٢ ص) .

١٤ــ أيام فِلْبِي في العراق .

ألّفه بالانكليزية : هـ . سنت جون فِلْبي H. St John Philby
ت ١٩٦٠ م .
نقله الى العربية : جعفر خياط ، ت ١٣٩٣ هـ = ١٩٧٣ م .
(مط الكشّاف ــ بيروت ١٩٥٠ ؛ ٦٥ ص) .

١٥ــ أيام من حياتي .

تأليف : خيرالله طلفاح .
(مط العبايجي ــ بغداد ١٩٧٤ ؛ ٢٠٧ ص) .

١٦ــ أيام النكبة : ٢٩ تشرين الاول ١٩٣٦ ــ ١٧ آب ١٩٣٧ .

مذكرات دوّنها « عراقي » [اسمٌ مستعار اتّخذه طالب مشــتاق ، ت ١٣٩٧ هـ = ١٩٧٧ م] عن تلك الفترة التي قامت فيها وزارة السيد

حكمت سليمان .
(مط الكشاف ـ بيروت ١٩٣٧ ؛ ٣٢٣ ص) .

١٧ـ بغداديات : تصوير للحياة الاجتماعية والعادات البغدادية خلال مائة عام.
تأليف العقيد : عزيز جاسم الحجيّة .
(١ ـ ٥ : بغداد ١٩٦٧ ـ ١٩٨٥ ؛ ٢١١ ، ٢٠٧ ، ٢٠٠ ، ٣٢٠ ، ٣٧٦ص).

١٨ـ بغير قلوب : ذكريات جامعية .
تأليف : هلال ناجي .
(مط الرابطة بغداد ١٩٥١ ؛ ٨٤ ص) .

١٩ـ بيني وبين الدولة خلال عشر سنوات .
تأليف : عبدالرزاق الفضلي .
(مط السعدي ـ بغداد ١٩٥٠ ؛ ٨٠ ص) .

٢٠ـ ثلاث سنوات جوار الميتم الاسلامي ببغداد .
تأليف : الشيخ جلال الحنفي .
(مط فيصل ـ بغداد ١٩٥٥ ؛ ٩٦ ص) .

٢١ـ ثلاثة ايام في حمام العليل .
تأليف : اسماعيل فرج ، الموصلي ، ت ١٣٦٧ هـ = ١٩٤٨ م .
(مخطوط) .

٢٢ـ ثلاثون سنة في الوظيفة .
تأليف : عبدالجبار عباس الجسّام .
(١ ـ ٢ : مط المعارف ـ بغداد ١٩٥١ ـ ١٩٥٤ ؛ ٢٤٨ ، ٨٣ ص) .
مذكرات في أهم الأحداث السياسية في العراق الحديث .

٢٣ـ ثلاثون يوماً في تركية .

تأليف : غالب علي الداودي .
(مط أسعد ـ بغداد ١٩٥٥ ؛ ١٧٦ ص) .

٢٤ـ ثمانون وألف ليلة في السجون .

تأليف : حمّادي الناهي .
(جـ ١ ـ ٢ في مجلدٍ واحد . ط ٢ : مط السعدي ـ بغداد ١٩٥٠ ؛ ٢٦٥ ص) .

٢٥ـ ثمانية وخمسون يوماً في مصر .

تأليف : ابراهيم الواعظ ، ت ١٣٧٨ هـ = ١٩٥٨ م .
(كتاب لم يطبع . منه نسخة خطية في مكتبته ، رقمها ٢٠) .

٢٦ـ جرائم مرّت أمامي .

تأليف : مصطفى علي ، ت ١٤٠١ هـ = ١٩٨٠ م .
(شركة التجارة والطباعة ـ بغداد ١٩٥٨ ؛ ١١٦ ص) .
قصص واقعية من ضحايا المجتمع ، عن مفكرة المؤلف القضائية .

٢٧ـ الحاج ركان : عرب الأهوار .

تأليف : « فَلاَنَين » . وهو توقيع مستعار ، اتخذه اثنان من الانكليز ، هما على ما قيل لي : المستر والمسز هجكوك .
نقله الى العربية : د. جميل سعيد ، د. ابراهيم شريف .
(مط العاني ـ بغداد ١٩٦٦ ؛ ٢١٩ ص) .

٢٨ـ حتى لا ننسى : أضواء على مجزرة الموصل .

تأليف : هلال ناجي .
(ط ١ : مط دار العالم العربي ـ القاهرة ١٩٦٢ ؛ ٢١٧ ص .

ط ٢ : مط المعارف ــ بغداد ١٩٦٣ ؛ ٢٢٣ ص) .

٢٩ــ حوادث العراق في سنة ١٩٤١ كما ترويها وزارة الحرب البريطانية ، والمستر ونستن تشرشل في مذكراته .
نقلها الى العربية : جعفر خياط ، ت ١٣٩٣ هـ = ١٩٧٣ م
(مط الكشاف ــ بيروت ١٩٥٤ ؛ ٧٨ ص) .

٣٠ــ الحياة في لندن : مشاهدات وملاحظات وصُوَر من المجتمع البريطاني .
تأليف : يوسف سلمان كبّة .
(مط بغداد ــ بغداد ١٩٥٠ ؛ ٣٣٥ ص) .

٣١ــ حياتي الشخصية والوظائفية .
تأليف : د. سليمان غزالة ، ت ١٣٤٨ هـ = ١٩٢٩ م .
(دار الطباعة الحديثة ــ بغداد ١٩٢٩ ؛ ١١٤ ص) .

٣٢ــ خواطر .
تأليف : الخوري داود رَمّو ، الكلداني .
وهي مذكرات لم تُطبع . منها نسخة بخط مؤلفها ، لدى وديع رمّو ، ابن أخيه . وعنها نسخة منقولة ، لدى كل من : الأب الدكتور بطرس حداد في بغداد ، المطران يوسف گوگي ، اسحق عيسكو ببغداد ، بطرس نعامة .

٣٣ــ خواطر حاج : مذكرات رحلة الى الحجاز .
تأليف : عبدالغني الملاّح .
تقديم : عبدالله صِديق الملاّح .
(مط الاتّحاد الجديدة ــ الموصل ١٩٥٣ ؛ ٦٨ ص) .

٣٤ــ خواطر وملاحظات حول التعليم في العراق .
تأليف : د. عبدالرزاق محيي‌الدين ، ت ١٤٠٣ هـ = ١٩٨٣ م ، د. نوري جعفر .

(مط الزهراء ــ بغداد ١٩٥١ ؛ ١٢٦ ص) .

٣٥ــ خواطر ويوميات في النقد والأدب والاجتماع .

تأليف : محمد سعيد الجليلي ، ت ١٣٨٣ هـ = ١٩٦٣ م .
(بغداد ١٩٢٥) .

٣٦ــ ذكريــات .

تأليف : محمد صِدّيق شَنْشَل .
(سلسلة حلقات ، نشرها في مجلة « التضامن » . ظهرت الحلقة الثامنة منها ، في العدد ٣٦ الصادر في لنــدن يوم ١٧ كانون الأول ١٩٨٣ ؛ ص ٦٦ ــ ٧١) .

٣٧ــ ذكريات جاسم مخلص المحامي .

تأليف : جاسم مخلص .
(بيروت ١٩٦٩ ؛ ٥٨٧ ص) . وراجع مادة : « مذكرات الطبقجــلي وذكريات جاسم مخلص المحامي » .

٣٨ــ ذكريات طالب في برلين .

تأليف : د. يوسف عَبّود .
(مط بغداد ــ بغداد ١٩٤٩ ؛ ١٣٤ ص) .

٣٩ــ ذكريات علي جودت ١٩٠٠ ــ ١٩٥٨ .

تأليف : علي جودت الأيوبي ، ت ١٣٨٨ هـ = ١٩٦٩ م .
(مط الوفاء ــ بيروت ١٩٦٧) .

٤٠ــ ذكريات وعِبَر .

تأليف : د. محمد فاضل الجَمَالي .
(بيروت ١٩٦٥) .

٤١ـ ذكريات ومشاهدات .

تأليف : كوركيس عوّاد .
(مخطوط ، مُعَدّ للنشر) .

٤٢ـ ذكرياتي في سُوق الشُيُوخ .

تأليف : مصطفى الفائزي آل طُعمة .
(مخطوط) .

٤٣ـ رحلة في العراق ، أو خاطرات الحَسَني .

تأليف : عبدالرزاق الحسني .
(ط ٢ : المط العصرية ــ بغداد ١٩٢٥ ؛ ١٥٦ ص) .

٤٤ـ سبعة أشهر في سجون بغداد .

تأليف : يونس بحري ، ت ١٣٩٩ هـ = ١٩٧٩ م .
(بيروت ١٩٦٠ ؛ ١٥٩ ص) .

٤٥ـ ستة اشهر في اميركا .

تأليف : يوسف هرمز جَمّو . ت ١٣٨٥ هـ = ١٩٦٥ م .
(ط ١ : بغداد ١٩٤٨ . ط ٢ : مط الأمة ــ بغداد ١٩٤٩ ؛ ١٤٤ ص) .

٤٦ـ سَنَتَان في كُردستان ١٩١٨ ــ ١٩٢٠ .

تأليف : دبليو . آر . هَيْ .
نقله الى العربية : فؤاد جميل ، ت ١٣٩١ هـ = ١٩٧١ م .
نشره : جهاد جميل . أخو المترجم .
(١ ــ ٢ : مط دار الجاحظ ــ بغداد ١٩٦٤ ؛ ٢٧٤ و ٢٢٦ ص) .
أصل الكتاب بالانكليزية . وعنوانه :
Hay (W.R.), Two Years in Kurdistan. (London, 1921).

٤٧ـ سَنَتَان في المغرب .

تأليف : جابر الفؤادي .
(مط دار الجمهورية ـ بغداد ١٩٦٨ ؛ ١٧٢ ص) .
مطبوعات وزارة الثقافة والاعلام العراقية .

٤٨ـ السوَانح في الأحداث الوطنية .

تأليف : عبدالمنعم الغلامي ، ت ١٣٨٧ هـ = ١٩٦٧ م .
(مط أُمّ الربيعَين ـ الموصل ١٩٣٢ ؛ ١٧٦ ص) .

٤٩ـ سيرة وذكريات .

تأليف : جمال الدين الآلوسي .
كتابٌ ، نوّه به مؤلفه ، في آخر نبذتِهِ الموسومة « مَن أنا » المنشورة في الصفحة الأخيرة من جريدة « الثورة » ، الصادرة ببغداد يوم ٣٠ نيسان ١٩٨٥ .

٥٠ـ سيرة وذكريات ثمانين عاماً (١٨٩٤ ـ ١٩٧٤) .

تأليف : ناجي شوكت ، ت ١٤٠٠ هـ = ١٩٨٠ م .
(ط ١ : بغداد ١٩٧٤ ـ ١٩٧٥ ؛ ٦٨٠ ص ، ط ٢ : بيروت ١٩٧٥ ؛ ٧٢٨ ص . ط ٣ : موسّعة ومزيدة : مط دار الكتب ـ بيروت ١٩٧٧ ؛ ٧٥٧ ص) .

٥١ـ شذرات من مذكرات العلامة الفقيد الشيخ محمد رضا الشبيبي ، ت ١٣٨٥ هـ = ١٩٦٥ م .

تقديم : أسعد الشبيبي .
وكان أسعد الشبيبي ، نجل المؤلف ، قد نشرها تباعاً في مجلة « البلاغ » التي أصدرها العلّامة الشيخ محمد حسن آل ياسين .

وقد ظهرت بأجمعها في أعداد السنتين الرابعة والخامسة من المجلة ، اللتين صدرتا في بغداد ، عام ١٩٧٣ — ١٩٧٥ .

٥٢- صُوَر من العراق .

تأليف : عبدالرزاق الظاهر .

(مط السعادة ــ القاهرة ١٩٤٧ ؛ ١٧٦ ص) .

٥٣- عامان في الفرات الأوسط .

تأليف : عبدالجبار فارس .

(مط الراعي ــ النجف ١٣٥٣ هـ = ١٩٣٤ م ؛ ١٤٤ ص) .

٥٤- العراق : أمسُهُ وغدُهُ .

تأليف : خليل كَنّه .

(دار الريحاني للطباعة والنشر ــ بيروت ١٩٦٦ ؛ ٥٣٢ ص) .

٥٥- العراق الحديث : آراء ومطالعات في شؤونه المصيرية .

تأليف : د. محمد فاضل الجمالي .

(بيروت ، دت ؛ ٢٣٧ ص) .

٥٦- العراق في مذكرات الدبلوماسيين الأجانب .

تأليف : نجدة فتحي صَفْوَة .

(بيروت ١٩٦٩ ؛ ٢٧٩ ص) .

٥٧- عندما كنتُ قاضياً .

تأليف : جعفر الخليلي ، ت ١٤٠٥ هـ = ١٩٨٥ م .

(مط الغري ــ النجف : ١٣٦٠ هـ = ١٩٤١ م ؛ ١٨٢ ص . تقديم : محمد الحسين آل كاشف الغطاء ، وعلي الشرقي) .

٥٨- فُرسان العروبة في العراق .

وهي مذكرات العقيد الركن صلاح الدين الصبّاغ ، ت ١٣٦٤

= ١٩٤٥ م •
(دمشق ١٩٥٦ ؛ ٣٠٥ ص) •

٥٩ـ في بلاد الرافدَين : صوَر وخواطر •

تأليف : ليدي دْرَاور •
ترجمة : فؤاد جميل ، ت ١٣٩١ هـ = ١٩٧١ م •
(مط شفيق ــ بغداد ١٩٦١ ؛ و + ٣٦٨ ص) •
أصل الكتاب بالانكليزية ، وعنوانه :
By Tigris and Euphrates. (London, 1923)
وكانت المؤلفة تُعرف يومذاك باسم : E. S. Stevens ، وبعد أن تزوّجت من المستر دراور ، صارت تعرف باسم : E. S. Drower

٦٠ـ في غمرة النضال : مذكرات •

تأليف : سليمان فيضي ، ت ١٣٧٠ هـ = ١٩٥١ م •
(مط شركة التجارة والطباعة ــ بغداد ١٩٥٢ ؛ ٣٢٠ ص) •

٦١ـ قصبة في مَهَبّ الريح •

تأليف : گاڤِن ماكسويل •
نقله الى العربية : صادق عبدالصاحب التميمي •
(منشورات دار مكتبة الحياة ــ بيروت ، دت ؛ ٢٢٤ ص) •
أصل الكتاب بالانكليزية ، وعنوانه فيها :
Maxwell (Gavin), A Reed Shaken by the Wind.
وصف فيه المؤلِف ، رحلاته وانطباعاته عن منطقة الأهوار في جنوبي العراق •

٦٢ـ قلب العراق : كتاب سياحة وسياسة وادب وتاريخ •

تأليف : أمين الريحاني ، ت ١٣٥٩ هـ = ١٩٤٠ م •

(۱ : مط صادر ــ بيروت ۱۹۳٥ ؛ ۳۱۱ ص ٠
ط ۲ : بيروت ۱۹٤۹ ٠
ط ۳ : نشرها أخوه : ألبرت ريحاني ٠ دار ريحاني للطباعة والنشر ــ بيروت ۱۹٥۷ ؛ ۲۸۷ ص) ٠
يتضمن هذا الكتاب ، مذكرات أمين الريحاني عن رحلاته الى العراق ٠

٦۳ــ كشف القناع عن بعض الوقائع العراقية ٠

وهي مذكرات العقيد عبدالعزيز ياملكي ٠
(جـ ۱ : مط دار المعرفة ــ بغداد ۱۹٥۷ ؛ ٥۷ ص) ٠

٦٤ــ كنتُ معهم في السجن ٠

تأليف : جعفر الخليلي ، ت ١٤٠٥ هـ = ۱۹۸٥ م ٠
(مط المعارف ــ بغداد ۱۹٥٥ ؛ ۲٤٤ ص) ٠
تصوير لأحوال المساجين وأسباب جرائمهم ٠

٦٥ــ لمحات من ذكريات وزير عراقي سابق ٠

تأليف : جميل الأورفهلي ٠
(منشورات دار مكتبة الحياة ــ بيروت ۱۹۷۱ ؛ ۲۲۰ ص) ٠

٦٦ــ ليلى المريضة في العراق ٠

تأليف : د٠ زكي مبارك ، ت ۱۳۷۱ هـ = ۱۹٥۲ م ٠
(۳ أجزاء صدرت في القاهرة سنة ۱۹۳۹ ٠ الأول : مط الرسالة ، ۲٦٤ ص ٠ الثاني والثالث : مط أمين عبدالرحمن ، ۳۲۸ و ۳۳٦ ص) ٠
وصف فيه رحلته الى العراق ٠ وذكرياته وانطباعاته الشخصية فيه ٠

٦۷ــ المبادىء والرجال ٠

وهي مذكرات السيد مُحْسِن أبو طبيخ ، ت ۱۳۸۰ هـ = ۱۹٦۱ م ٠
(مط ابن زيدون ــ دمشق ۱۹۳۸ ؛ ۲۰۹ ص) ٠

٦٨ـ المبادىء والرجال .

تأليف : د. نوري جعفر .

(مط الزهراء ــ بغداد ١٩٥٨ ؛ ١٠٤ ص) .

٦٩ـ محاربتي في العراق ، أو خواطر طونزند .

تأليف : ڤي . سِي . طونزند .

نقله الى العربية : عبدالمسيح وزير ، ت ١٣٦٣ هـ = ١٩٤٣ م .

(مط دار السلام ــ بغداد ١٩٢٣ ؛ ٥٩٢ ص) .

أصل الكتاب بالانكليزية ، وعنوانه فيها :

Townshend (C. V.), My Campaign in Mesopotamia. (London, 1920).

٧٠ـ محاكمة كامل الجادرجي ، رئيس الحزب الوطني الديموقراطي .

(مط الأهالي ــ بغداد ١٩٤٦ ؛ ٥٠ ص) .

توفي كامل الجادرجي ، سنة ١٣٨٧ هـ = ١٩٦٨ م .

٧١ـ محاكمة كامل الجادرجي في صيف ١٩٤٩ .

(مط دجلة ــ بغداد ١٩٤٩ ؛ ١٤٦ ص) .

٧٢ـ محاكمتنا الوجاهية .

تأليف : علي محمود الشيخ علي ، ت ١٣٨٧ هـ = ١٩٦٧ م .

(المط العصرية ــ صيدا ١٩٦٦ ؛ ٢٢٢ ص) .

٧٣ـ محكوميتي .

تأليف : سلمان الصفواني .

(مط العرفان ــ صيدا ١٩٥٢ ؛ ٢١٢ ص) .

رسائل كتبها من السجن المركزي ببغداد ، سنة ١٩٣٦ .

٧٤ـ مذكرات .

ألفها بالكردية : رفيق حلمي ، ت ١٣٨٠ هـ = ١٩٦٠ م .

نقلها الى العربية : جميل بَنْدِي الروزبياني .
(جـ ١ : مط المعارف ــ بغداد ١٩٥٧ ؛ ١٠٧ ص) .

٧٥ــ مذكرات .

تأليف : عبدالجبار الراوي .
(قيد الطبع) .

٧٦ــ مذكرات .

تأليف : عبدالرسول الخالصي . ت ١٤٠٥ هـ = ١٩٨٥ م .
يُعنَى الأستاذ طارق الخالصي . بتحقيقها وسينشرها في وقتٍ قريب . نوّهت بذلك مجلة « الورود » البيروتية ، في عددها الصادر في أيلول ــ تشرين الأول ١٩٨٥ ؛ ص ٣١ .

٧٧ــ مذكرات .

تأليف : عبدالسلام محمد عارف ، رئيس الجمهورية العراقية سابقاً ، ت ١٣٨٥ هـ = ١٩٦٦ م .
قال خيرالدين الزرِكْلي (الأعلام ٤ [ط ٤ : دار العلم للملايين ــ بيروت ١٩٧٩] ص ٩) : انها نُشرت بعد وفاته . قلنا انها طُبعت في بغداد سنة ١٩٦٧ .

٧٧أ ــ مذكرات احمد سوسة .

ألفها د. أحمد سوسة ، ت ١٤٠٢ هـ = ١٩٨٢ م .
(مخطوط . أعدته للنشر ابنته الدكتورة عالية أحمد سوسة) .

٧٨ــ مذكرات أحمد الصافي [النجفي] السياسية ابان الاحتلال البريطاني والثورة العراقية .

تأليف الشاعر : أحمد الصافي . ت ١٣٩٧ هـ = ١٩٧٧ م .

نشرها الأستاذ سلمان هادي الطُعمة ، ضمن كتابه : « أحمد الصافي : شاعر العصر» • (مط العاني ــ بغداد ١٩٨٥ ؛ ص ١٠٨ ــ ١١٥) •

٧٩ــ مذكرات أسبوع : في بغداد ، البصرة ، القورنة •

تأليف : مرزه حمزة شير علي •

(مط الغري الحديثة ــ النجف ١٣٧٠ هـ = ١٩٥١ ؛ ٤٨ ص) •

٨٠ــ مذكرات سجين عن سجن بغداد المركزي •

تأليف : غالب عبدالرزاق •
(مط المعارف ــ بغداد ١٩٤٧ ؛ ٦٤ ص) •

٨٠ أ ــ مذكرات سفير عراقي في تركية •

تأليف : طالب مشتاق ، ت ١٣٩٧ هـ = ١٩٧٧ م •
وهو الجزء الثاني من كتابه : « أوراق أيامي : مذكرات » •
(راجع هذه المادة) •

٨١ــ مذكرات السلطان عبدالحميد الثاني •

نقلها الى العربية : محمد علي عبدالله •
(مط دار السلام ــ بغداد ١٣٤٥ هـ = ١٩٢٦ م ؛ ٦٤ ص) •

٨٢ــ مذكرات الشبيبي •

راجع مادة : « شذرات من مذكرات ••• الشبيبي » •

٨٣ــ مذكرات صحافي خلال نصف قرن •

تأليف : سلمان الصفواني •
راجع في شأنها ، ما نُشر بتوقيع « صُحُفي » [= عبدالقادر البراك] في مجلة « ألف باء » (١٧ [بغداد ٤ حزيران ١٩٨٤] ع ٨٢١ ؛ ص ٦٦) •

٨٤ـ مذكرات ضابط بغدادي .

تأليف : محمد رؤوف السيد طه الشيخلي .
نوّه بها : د. علي الوردي ، في كتابه « لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث » (٤ [بغداد ١٩٧٤] ص ١١٥ ــ ١١٨) .

٨٥ـ مذكرات الطبقجلي وذكريات جاسم مخلص المحامي .

تأليف : العميد الركن ناظم الطبقجلي ، ت ١٣٧٩ هـ = ١٩٥٩ م .
نشرها المحامي جاسم مخلص .
(بيروت ١٩٦٩ ؛ ٥٨٧) . وراجع مادة : « ذكريات جاسم مخلص المحامي » .

٨٦ـ مذكرات طه الهاشمي ١٩١٩ ـ ١٩٤٣ .

تأليف : طه الهاشمي ، ت ١٣٨٠ هـ = ١٩٦١ م
نشرها : د. سُهَيل طه الهاشمي ، مع تحقيق ومقدمة في تاريخ العراق الحديث ، بقلم : خلدون ساطع الحصري .
(جـ ١ : ١٩١٩ ــ ١٩٤٣ : دار الطليعة ــ بيروت ١٩٦٧ ؛ ٥٠٤ ص) .

٨٧ـ مذكرات عَبُّود الشالجي .

تأليف المحامي : عبود الشالجي .
(مخطوطة . وقفتُ على نسخةٍ منها مكتوبة بالآلة الطابعة) .

٨٨ـ مذكرات علي محمود الشيخ علي .

راجع مادة : « آراء في القضية العربية وذكريات عنها » .

٨٩ـ مذكرات فتاة عراقية .

تأليف : سميرة أبو غزالــة .

٩٠ـ مذكرات فيصل عن القضية العربية واحتلال سورية .

رسالتان من ايطاليا ، الى لويد جورج ؛ الرسائل المتبادلة بين الملك حسين والسير مكماهون .

أصدرها : سامي الشمعة .

(مط دار اليقظة العربية ــ دمشق ، دت ؛ ٤٨ ص) .

٩١ـ مذكرات القادري في بيان الثورة الروسية العظمى وايضاح غوامضها .

تأليف : الجنرال صِدِّيق رسول القادري ، المولود في كركوك سنة ١٨٩٥ .

(مط الفلاح ــ بغداد ١٩٢٥ ؛ ٢٦٤ ص) .

٩٢ـ مذكرات كامل الجادرجي ، وتاريخ الحزب الوطني الديمقراطي .

تأليف : كامل الجادرجي ، ت ١٣٨٧ هـ = ١٩٦٨ م .

تقديم : نصير الجادرجي .

(دار الطليعة للطباعة والنشر ــ بيروت ١٩٧٠ ؛ ٦٨٨ ص) .

٩٣ـ مذكرات مدحت باشا .

ألّفها باللغة التركية : مدحت باشا ، الذي كان والياً على بغداد سنة ١٢٨٦ ــ ١٢٨٨ هـ ، وقد توفي سنة ١٣٠١ هـ = ١٨٨٣ م .

نقلها الى العربية : يوسف كمال حتاته .

(مط هندية ــ القاهرة ١٣٢٥ هـ = ١٩٠٧ م ؛ ٢٤٠ ص) .

٩٤ـ مذكرات مسلول .

تأليف المحامي : عبدالودود العيسى .

(بيروت ١٩٥٣) .

٩٥ـ مذكرات « مُعتَقَل » .

تأليف : عبدالله حسن .

(مط الأمة ـ بغداد ١٩٤٨ ؛ ١٤٤ ص) •

٩٦ـ مذكرات موظف [في العراق] •

تأليف : عباس الحسابي •
(جـ ١ : مط الأهالي ـ بغداد ١٩٤٠ ؛ د + ٩٢ ص • تقديم محمد صالح بحر العلوم • جـ ٢ : مط الرشيد ـ بغداد ١٩٤٦ ؛ ٨٠ ص) •

٩٧ـ مذكرات موظف صغير •

تأليف : عباس علي الحاج أحمد الكاظمي •
(بغــداد) •

٩٨ـ مذكراتي ، أو أحداث في مجرى حياتي •

تأليف : عبدالرزاق الهلالي ، ت ١٤٠٦ هـ = ١٩٨٥ م) •
(مخطوط) •

٩٩ـ مذكراتي عن الثورة العربية الكبرى •

تأليف : د• أحمد قدري . ت ١٣٧٨ هـ = ١٩٥٨ م •
(مط ابن زيدون ـ دمشق ١٩٥٦ ؛ ٢٨٨ ص) •
قال خيرالدين الزِرِكْلي في شأن هذه المذكرات (الأعلام ١ [ط ٤] ص ١٥٤) انها : « مِن أَصحّ ما كُتب في موضوعها » •

١٠٠ـ مذكراتي عن الثورة العربية الكبرى والثورة العراقية •

تأليف : تحسين العسكري . ت ١٣٦٦ هـ = ١٩٤٨ م •
(جـ ١ : مط العهد ـــ بغداد ١٩٣٦ ؛ ١٩٥ ص •
جـ ٢ : مط الغري ـ النجف ١٩٣٨ ؛ ٢٢٨ ص) •

١٠١ـ مذكراتي عن الفترة الأخيرة من الحكم الصالح، او صالح جبر في الميزان.

تأليف : عبدالستار الهماوندي •

(مط الشعب ــ بغداد ١٩٥١ ؛ ٤٨ ص) •

١٠٢ـ مذكراتي في سوق السَراي •

تأليف : قاسم محمد الرجب ، ت ١٣٩٤ هـ = ١٩٧٤ م •
نشرها تباعاً في مجلة « المكتبة » التي كان يُصدرها في بغـداد ، وقد كانت هذه المجلة لسان حال « مكتبة المثنّى » ببغداد ، احدى المكتبات الكبرى لبيع الكتب ونشر أمهاتها •

١٠٣ـ مذكراتي في صميم الأحداث ١٩١٨ ـ ١٩٥٨ •

تأليف : محمد مهدي كبّة •
(جـ ١ : دار الطليعة ــ بيروت ١٩٦٥ ؛ ٤٤٦ ص) •
(جـ ٢ : جاء في مجلة « ألف باء » [ع ٨٢٠ : بغداد ، حزيران ١٩٨٤ ، ص ٦٦] • انّ أحد أساتذة التاريخ الحديث في جامعة بغداد ، يعكف على مراجعة واعداد الجزء الثاني منها • وهو يتناول الاحـداث التي أعقبت ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨) •

١٠٤ـ مذكراتي في العراق •

تأليف : ساطع الحصري ، ت ١٣٨٨ هـ = ١٩٦٨ م •
(١ ــ ٢ : دار الطليعة للطباعة والنشـر ــ بيروت ١٩٦٦ ــ ١٩٦٨ ؛ ٦٢٧ و ٦٢٩ ص) • تناول في الجزء الأول : مذكراتـه عن السـنوات ١٩٢١ ــ ١٩٢٧ ، وفي الثاني : ١٩٢٧ ــ ١٩٤١ •

١٠٥ـ مذكراتي : نصف قرن من تاريخ العراق والقضية العربية •

تأليف : توفيق السويدي ، ت ١٣٨٨ هـ = ١٩٦٨ م •
(دار الكاتب العربي ــ بيروت ١٩٦٩ ؛ ٦٤٧ ص) •
قال خيرالدين الزرِكلي (الأعلام ٢ [ط ٤] ص ٩٣) في شأن هـذه

المذكرات : « تُعَدّ من ثِقات المراجع ، مع ما قيل مِن تصرّف ناشريه ببعض فصوله » .

١٠٦ـ مراحل الحياة .

تأليف : رؤوف طه الشيخلي .

(١ ــ ٢ : مط البصرة ــ البصرة ١٩٧٢ ؛ ٤٤٢ ص) .

١٠٦ أ ـ مشاهدات في افغانستان .

تأليف : مشكور الأسدي .

(مط الشعب ــ بغداد ١٩٧٣ ؛ ١١٦ ص) .

١٠٦ ب ـ مشاهدات في ايران سنة ١٩٦٧ .

تأليف : د. عبدالله الفياض .

(مط الايمان ــ بغداد ١٩٦٧ ؛ ١٢٧ ص) .

١٠٧ـ مشاهداتي تحت سماء الشرق .

تأليف : د. عبدالوهاب العسكري .

(١ ــ ٣ : بغداد ١٩٥١) .

١٠٨ـ مشاهداتي عن اسكوتلانديارد والشرطة في أنحاء انكلترة .

تأليف : عبدالجبار فهمي ، ت ١٣٧٨ هـ = ١٩٥٩ م .

(الموصل ١٩٥٠) .

١٠٨ أ ـ مشاهداتي في تركيا .

تأليف : د. عبدالله الفياض .

(بغداد ١٩٥٦) .

١٠٩ـ مشاهداتي في الثورة العراقية سنة ١٩٢٠ .

تأليف : محمد علي كمال الدين ، ت ١٣٨٥ هـ = ١٩٦٦ م .

تقديم وتحقيق : علي الخاقاني ، ت ١٣٩٩ هـ = ١٩٧٩ م •
(بغداد ١٩٦٩) •

١١٠ــ مع الأستاذ أحمد لطفي السيد في المجمع اللغوي •

بقلم الشيخ : محمد رضا الشبيبي ، ت ١٣٨٥ هـ = ١٩٦٥ م •
(القاهرة ١٩٦٤) • توفي أحمد لطفي السيد ، سنة ١٣٨٢ هـ = ١٩٦٣ م •

١١١ــ المملكة العربية السعودية كما عرفتها •

تأليف : أمين المميّز •
(مط دار الكتب ــ بيروت ١٩٦٣ ؛ ن + ٦٣٧ ص) •

١١٢ــ من أوراق كامل الجادرجي •

تأليف : كامل الجادرجي ، ت ١٣٨٧ هـ = ١٩٦٨ م ، وقد نُشر بعد وفاته •
(بيروت ١٩٧١ ؛ ١٩٥ ص) •

١١٣ــ من الثورة العربية الكبرى الى العراق الحديث : ذكريات •

تأليف اللواء الركن : ابراهيم أحمد الراوي •
(بيروت ١٩٦٩) •

١١٤ــ من ذكرياتي •

تأليف : عبدالعزيز القصّاب ، ت ١٣٨٥ هـ = ١٩٦٥ م •
(مط فَضُول ــ بيروت ١٩٦٢ ؛ ٣٣٩ ص) •

١١٥ــ من ذكرياتي •

تأليف : هاشم الرفاعي •
(مط الرشيد ــ بغداد ١٩٣٩ ؛ ١٣٧ ص) •

١١٦ـ من رحلة الحياة .

تأليف : د. يوسف عزالدين .
(بغداد ١٩٦٩) .

١١٧ـ من مذكرات قومي متآمر .

تأليف : د. شاكر مصطفى سليم ، ت ١٤٠٤ هـ = ١٩٨٤ م .
(جـ ١ : مط العاني ـ بغداد ١٩٥٩ ؛ ١٣٢ ص .
جـ ٢ : بغداد ١٩٦٠ وقد نُشر بعنوان : « الاعصار الأحمر » .
جـ ٣ : بغداد ١٩٦٣ ، ٢٣٢ ص ، وقد نُشر بعنوان : « نِضَال وحِبَال ») .

١١٨ـ من وحي سجن ابي غُرَيْب : مذكرات وتعليقات .

تأليف : علي محمود الشيخ علي ، ت ١٣٨٧ هـ = ١٩٦٧ م .
(جـ ١ : مط التمدن ـ بغداد ١٩٦٦ ؛ ١٩٠ ص) .

١١٩ـ نَقَدات كنّاس الشوارع .

تأليف : ميخائيل يوسف تيسي ، ت ١٣٨٢ هـ = ١٩٦٢ م .
وهي ذكريات وانتقادات فكاهية في شؤونٍ عراقية ، صدرتْ في خمسة أجزاء ، كالآتي :

الأول : المط الرحمانية ـ القاهرة ١٩٢٢ ؛ ١١٢ ص .
الثاني : مط دار السلام ـ بغداد ١٩٢٢ ؛ ٧٢ ص .
الثالث : مط العراق ـ بغداد ١٩٢٣ ؛ ٧٦ ص .
الرابع : مط دار السلام ـ بغداد ١٩٢٣ ؛ ١٠٠ ص .
الخامس : مط النجاح ـ بغداد ١٩٢٦ ؛ ٥٥ ص .

١٢٠ـ نَقَدات مَلّا نصر الدين .

تأليف : خَلَف شوقي أمين الداودي ، ت ١٣٥٧ هـ = ١٩٣٩ م .

وهي ذكريات وانتقادات فكاهية في شؤون عراقية .
(مط الفرات ــ بغداد ١٣٤١ هـ ؛ ٨٠ ص) .

١٢١ـ نيابتي في ١٩٢٨ ـ ١٩٣٠ .

تأليف : معروف جياووك ، ت ١٣٧٧ هـ = ١٩٥٨ م .
وهي مذكرات المؤلف حين كان عضواً في « مجلس النوّاب » العراقي .
(مط الزمان ــ بغداد ١٩٣٧ ؛ ٢٤٠ ص) .

١٢٢ـ هكذا عرفتُهم : خواطر عن أناسٍ أفذاذ عاشوا بعض الوقت لغيرهم أكثر مما عاشوا لأنفسهم .

تأليف : جعفر الخليلي ، ت ١٤٠٥ هـ = ١٩٨٥ م .
جـ ١ : مط الزهراء ــ بغداد ١٩٦٣ ؛ ٤٠٠ ص .
جـ ٢ : مط دار الكتب ــ بيروت ١٩٦٣ ؛ ٢٧٢ ص .
جـ ٣ : مط دار الكتب ــ بيروت ، دت ؛ ٣٤٠ ص .
جـ ٤ : مط دار الكتب ــ بيروت ١٩٧٢ ؛ ٢٣١ ص) .
تصوير لحياة طائفة حسنة من مشاهير العراقيين الذين عرفهم المؤلف واتّصل بهم .

١٢٣ـ وحي بغداد .

تأليف : د. زكي مبارك ، ت ١٣٧١ هـ = ١٩٥٢ م .
(مط الاستقامة ــ القاهرة ١٩٣٨ ؛ ٤٢١ ص) .
صُوَر وانطباعات أدبية واجتماعية عن رحلته الى العراق .

١٢٤ـ الوقائع الحقيقية في الثورة العراقية .

تأليف : علي آل بازركان ، ت ١٣٧٨ هـ = ١٩٥٨ م .
(مط اللواء ــ بغداد ١٩٥٤ ؛ ٢٤٢ + ط ص) .
ذكريات عن أحداث ثورة العراق سنة ١٩٢٠ .

١٢٥ـ يوميـات .

تأليف : جعفر الخليلي ، ت ١٤٠٥ هـ = ١٩٨٥ م .

(١ ــ ٢ : مط الراعي ــ النجف ١٩٣٥ ؛ ١٦٦ و ١٣٤ ص) .

صُوَر مختلفة عن الحياة العامة في العراق .

١٢٦ـ يوميات عن الحرب العالمية الأولى .

دوّنها : يوسف عمانوئيل الثـاني ، بطريرك الـكلدان الأسـبق ، ت ١٣٦٦ هـ = ١٩٤٧ م .

لم تُطبع . منها نسخة بخط مؤلفها ، في خزانة البطريركية الكلدانيـة ببغداد . وعنها نسخة في خزانة الأب الدكتور بطرس حدّاد في بغداد .

١٢٧ـ يوميات مراهق .

تأليف : صفاء الحيدري .

(مط الجامعة ــ بغداد ١٩٤١ ؛ ٤٧ ص) .

مذكرات للمؤلف .



الأعلام الواردة اسماؤهم
في تضاعيف البحث
والأرقام التي ذكروا فيها

* * *



محمد بن عبد الملك الزيات

الوزير ، الكاتب ، الشاعر

الدكتور جميل سعيد

(عضو المجمع)

– ١ –

عصر ابن الزيات :

قُتل ابن الزيات مسجوناً بتنّور فيه مسامير من حديد ، في سجن الخليفة المتوكّل عام ٢٣٢ هـ ، ولم تشر المصادر القديمة الى سنّه يوم مات ، ولا الى سنة ميلاده . وذهب بعض الباحثين المحدثين الى انّ سنّه يوم ولى الوزارة ، ربما كانت حوالي الأربعين[١] . وذهب بعضهم[٢] ، تخميناً أيضاً ، الى انه ولد سنة ١٧٣ هـ . وعندنا ان هذا تخمين مناسب لعمره الذي عاشه . وعندنا ان حياة ابن الزيّات ، قد فُصلت بفاصل غيَّر شطرها الأول عن شطرها الثاني ؛ ذلك هو تولّيه الوزارة . ولا بأس ان نفيض في هذا ، وفي هذا ، بما يجلو الصورتين . ثمَّ نختمها بما ختمت به في سجنه وفي موته وهو في الوزارة . ويكون في هذا خاتمة لحياته الشخصيّة والسياسية .

ونرى اتماماً لجلاء حياته، ان نفرد بالحديث حياته الثقافية، وصلته بالأدباء،

---

(١) محمد كرد علي ؛ امراء البيان ، ص : ٢٨٣ .
(٢) محمود الهجرس ؛ محمد بن عبدالملك الزيات ، ص : ٣٥ .

كتّاب وشعراء • ونختم هذا بحديث عن شعره ، وديوانه الذي سبق ان قمنا بنشره منذ أعوام بعيدة •

وليس من اربنا ، ونحن نكتب عن ابن الزيات ، ان نفيض في الحديث عن هذه الفترة ، التي عاش فيها ابن الزيات . وهي من أخصب فترات الأمة العربية ، ولكنّنا سنلمّ موجزين بجوانب منها ، نراها معينة على استجلاء صورة لحياته • هذه الفترة بدايتها السنوات الأولى لخلافة الرشيد [٣] . ونهايتها الأشهر الاولى لخلافة المتوكل ؛ وهي الفترة الذهبية في خلافة بني العبّاس . بل في الخلافة العربية الاسلامية •

يقول ابن طباطبا ، عن دولة الرشيد[٤] : « انها من أحسن الدول ، وأكثرها وقاراً ، ورونقاً ، وخيراً ، وأوسعها رقعة مملكة • جُبيَ للرشيد معظم الدنيا ، ولم يجتمع على باب خليفة من العلماء ، والشعراء ، والفقهاء ، والقرّاء ، والقضاة والكتّاب ، والندماء ، والمغنّين ، ما اجتمع على باب الرشيد • وكان يصل كلّ واحد منهم أجزل صلة ، ويرفعه الى أعلى درجة » ويقول عن الرشيد : « وكان فاضلاً ، شاعراً ، راوية للأخبار والآثار والأشعار ••• مهيباً عند الخاصة والعامة . وكان يحجّ سنة ويغزو سنة ، مدة خلافته ، الاّ سنين قليلة • وكان يتشبّه بالمنصور بأفعاله وحزمه ، ولا يختلف عنه الا في سخائه وسماحته ببذل المال » ويقول الخطيب البغدادي[٥] : « اجتمع للرشيد ما لم يجتمع لأحد في جدّ وهزل ، وزراؤه البرامكة ، وقاضيه أبو يوسف . وشاعره مروان بن أبي حفصة ••• وحاجبه الفضل بن الربيع ، ومغنيه ابراهيم الموصلي . وضاربه زلزل ، وزامره برسوما ••• » • ووصف

(٣) ولي الرشيد الخلافة ، سنة ١٧٠ هـ .
(٤) الفخري في الآداب السلطانية ؛ ص : ١٧٧ .
(٥) تأريخ بغداد ؛ ١١/١٤ .

الخطيب كلّ واحد من هؤلاء بأنه علَم فرْد في صناعته ووظيفته •

أما بغداد فكانت جنّة الدنيا في عصره ، ومقصد طلّاب العلم والفضل والثراء ، كما كانت مقصد طلّاب اللذة والمتعة ، فيها القصور الشاهقة[٦] وفيها الثراء الواسع • والتجارة تصل اليها من أقاصي الدنيا • وخزائن الرشيد تفيض بالمال ، يُجبى من الضرائب ، ومن غلّة الأرض العامرة بالزرع • والرشيد ــ كما قالوا[٧] ــ يقول للسحابة المارة : « اذهبي حيث شئت يأتني خراجك » وأيامه ، كما يقول السيوطي[٨] ، « كلّها أيام خيرٍ كأنها أعراس في حسنها » •

وتوفى الرشيد سنة ١٩٣ هـ وخلفه ابنه الأمين ، فورث هذا كلّه عن أبيه ، وورث معه بعض الانتفاضات والفتن على الدولة • ولكنها انتفاضات لم تكدّر صفو العيش في بغداد ، بيئة ابن الزيّات وموطنه •

كان الأمين يحب الشعر[٩] ويقوله ، وكان ميالاً الى اللهو واللعب . يقول الطبري : « ••• ولما ملك محمد الأمين ، وجّه الى جميع البلدان في طلب الملهين ، وضمّهم اليه ، وأجرى لهم الأرزاق ، ونافس في ابتياع فُرْه الدواب ، وأخذ الوحوش والسباع والطير وغير ذلك ••• وقسّم ما في بيوت الأموال ، وما بحضرته من الجواهر في خصيانه وجلسائه ومحدّثيه ••• وأمر ببناء مجالس لمنتزهاته ، ومواضع لخلوته ولهوه ولعبه ••• وأمر بعمل حرّاقات في دجلة على خلقة الأسد ، والفيل ، والعقاب ، والحيّة والفرس ، وأنفق في عملها مالاً عظيماً » وقد بهرت هذه الحراقات الشعراء ، فوجدوا

(٦) تأريخ الخلفاء ــ للسيوطي ، ص : ١٩٠ .
(٧) القلقشندي ، صبح الأعشى ، ٢/٢٧٠ .
(٨) تأريخ الخلفاء ، ص : ١٩٠ .
(٩) تأريخ الرسل والملوك ، ٢١/٢١٥ .

في وصفها باباً يمتدحون به الأمين ، وينالون به الجوائز ، وكان الشاعر ابو نواس ممن أسهب[١٠] في هذا .

على ان عصر الرشيد ، على رخائه ، لم يخل من فتن ، وقد ورث الأمين بعض هذه الفتن عن أبيه ، كما ورث الرخاء عنه . كان الرشيد حازماً لا ينام على ما يعرّض حكمه لخطر ؛ وحسبنا منه في هذا انه مـات في طوس في مسيرته لاخماد ثورة رافع بن الليث في جهات سمرقند . وازدادت هذه الفتن لتشاغل الأمين باللهو . فظل رافع بن الليث هذا في ثورتـه ، وثـار علي بن عبدالله بن خالد بن يزيد بن معاوية ، المعروف بالسفيانيّ في بلاد الشـام ، وعجز قواد الأمين عن اخماد ثورته ... ثم كانت الفتنة الكبرى بين الأمين والمأمون . ونرى ان نأخذ فيها ببعض الافاضة ، لما لها من أثر في حياة ابن الزيـات .

كان الرشيد . قد أوصى بالخلافة لولديه ؛ الأمين ثم المأمون ، وتوفي وهو في طريقه لحرب الثائر رافع بن الليث ، في طوس ، فبقي الجيش ومن معه من القواد في تلك الجهات .

وكان يدبّر أمر المأمون مستشاره ، ثم وزيره فيما بعد ، الفضـل بن سهل . ومَن هو الفضل بن سهل ؟ انه مجوسـيّ اتصل بالفضل بن جعفر البرمكي . وصار قهرماناً له ؛ أي رئيساً للخدم ، يقول الجهشياري[١١] عنه : « ... وكان يحافظ على يسير الخدمة ، فنقل الفضل بن سهل ليحيى بن خالد البرمكي . كتاباً من الفارسيّة الى العربية . فأعجب بفهمه وبجودة عبارته ، فقال له : اني أراك ذكياً . وستبلغ مبلغاً رفيعاً ، فأسلم ، حتى أجد السبيل الى

---

(١٠) ديوان ابي نواس .
(١١) الوزراء والكتاب ؛ ص ٢٣٠ — ٢٣١ .

ادخالك في أمورنا ، والاحسان اليك ، فقال : نعم ، أصلح الله الوزير . أسلم على يديك • فقال له يحيى : لا ، ولكن أضعك موضعاً تنال به حظاً من دنيانا ودعا بسلاّم مولاه ، فقال : خذْ بيد هذا الفتى الى جعفر ــ البرمكي ــ ، وقلْ له : يدخلْه الى المأمون ، حتى يسلم على يديه ، فوصله ، وأحسن اليه ، وأجرى عليه رزقاً مع حَشَمه ، ولم يزل ملازماً للفضل بن جعفر ، حتى اصيب البرامكة ، فلزم المأمون » •

وترى من نصّ الجهشياريّ هذا ، أن يحيى بن خالد البرمكي ، حين توسَّم بالفضل ما توسَّم ، أراده على الاسلام ، لا حبّاً بالاسلام وتفضيلاً له على المجوسية ، وانما أراده أن يسلم ليدخله في امورهم ، ولينال حظاً من دنياهم • وترى من قول الفضل بن سهل انه استجاب ليحيى للسبب عينه ، ولم يكن له ارب" في الاسلام أيضاً • وواضح ان البرامكة نظروا بثاقب رأيهم الى الأمور ، ورأوا ما عسى يكون عليه مقام المأمون ، فأرادوا أن يضمنوا أمر هارون الرشيد ، بالنسبة للفضل بن سهل هذا • ومن هنا صار البرامكة يثنون على الفضل بن سهل ، ويتواصون في تقريظه بحضرة الرشيد• يقول الجهشياري : « ان جعفر بن يحيى لما عزم على استخدام الفضل بن سهل للمأمون ، قرّظه يحيى بن خالد بحضرة الرشيد ، فقال الرشيد : أوصلْه اليّ ••• » •

ونكبِ البرامكة ! ولنا أن تتصوّر ما دخل على الفضل بن سهل في نكبتهم ، وما أضمره في نفسه ، وهو يذكر موقفهم من اسلامه •

من بعيد ، أراد أبو مسلم الخراسانيّ أن يأخذ الدولة من بني العبّاس ، وسلك طريقاً ، كاد يوصله اليها ، لولا حزم الخليفة أبي جعفر المنصور • لقد ادّعى أبو مسلم انه من ولد سليط •••• بن العبّاس ، وأراد ــ والجيوش والقوّة في يده ــ أن يدخل هادئاً هذا المدخل ويستولي على الدولة • ثم

كان ما كان من أمر البرامكة ، ومن موقف الرشيد منهم . أ ترى الفضل بن سهل لم يجعل هذا وهذا على ذُكرٍ منه ! ؟ يقول ابن طباطبا[١٢] عن الفضل بن سهل : « كان عالماً بآداب الملوك ، بصيراً بالحيل ، جيّد الحدس ، شديد العقوبة » .

يقول ابن الأثير[١٣] في أحداث سنة ١٩٣ هـ : « ابتدأ الاختلاف بين الأمين والمأمون ، ابني الرشيد ... وطلب الأمين من القواد اللحاق بما معهم الى الأمين » وهمّوا باللحاق « فخلا به ذو الرياستين ــ الفضل بن سهل ــ وقال : ان فعلتَ ما أشار به هؤلاء ــ أي القواد الذين رأوا العودة الى الأمين ــ جعلوك هديّة الى أخيك ... وقال الفضل للمأمون : اصبرْ ، وأنا أضمن لك الخلافة . فقال المأمون : قد فعلتُ ، وجعلتُ الأمر اليك ، فقمْ به » .

كان الرشيد قد اسند الى ابنه المأمون ، ولايَة خراسان ، وما يتصل بها الى هَمَذان ، وكانت أم المأمون أمّ ولد فارسيّة ، ومستشاره الفضل بن سهل فارسيّ . وكانت أمّ الأمين عربيّة ، هي أم جعفر بنت أبي جعفر المنصور ، وكان وزيره الفضل بن الربيع عربياً ، فكانت هذه الفتنة تمثيلاً لصراع بين أنصار المأمون ، الفرس ، وأنصار الأمين ، العرب .

وتوجّه القواد الذين كانوا مع المأمون : طاهر بن الحسين ، وهرثمة بن اعين ، وزهير بن المسيّب ... وحاصروا بغداد ، وتقاسموا نواحيها في حصارهم[١٤] ، فحفروا الخنادق ، ونصبوا المجانيق ، ورموا جند الأمين

(١٢) الفخري ، ص : ٢٠١ .
(١٣) الكامل ٦/٢٢٤ .
(١٤) انظر تفاصيل هذا في الطبري ، ١٠/١٧٤ وما بعدها .

بالعرّادات ، وأخذوا العشر من أموال التجّار ، وجبوا الضرائب على السفن و ... وضاق الأمين وعسكره بالحصار ، ونفدت أمواله ، حتى اضطرّ لبيع كلّ ما في الخزائن والأمتعة . وضرب ما في قصوره من آنية الذهب والفضة دنانير ودراهم لينفق منها على الجند . واستولى طاهر بن الحسين على بعض أرباض بغداد ، ومدينة المنصور الشرقيّة ، وأسـواق الكرخ ، وعلى قصر الخـلد ...

وعاث اللصوص ، وقطّاع الطرق في الأرض فساداً ، وتطاولوا على الأموال والنساء والرجال . يقول الطبري[١٥] عن طاهر بن الحسين انه : « هدم دور من خالفه ، ما بين دجلة ودار الرقيق ، وباب الشام ، وباب الكوفة الى الصراة ، وارحاء أبي جعفر ، وربض حميد ، ونهر كرخايا والكناسة ، وجعل يثبايت أصحاب محمد الأمين ، ويدالجهم ، ويحوي كلّ يوم ناحية بعد ناحية ، ويخندق عليها المراصد من المقاتلة .... وكان أصحاب طاهر يهدمون الدور وينصرفون ... » .

ورأى طاهر بن الحسين ، أهل هذه الجهات ، لا يحفلون بما حلّ بهم من القتل ، واحتكر الدقيق ، فغلت الأسعار ، واشتدّ البلاء .

وضعف امر الأمين ، وانحاز بعض قواده ، مع بعض تجار الكرخ ، الى طاهر بن الحسين ، وطلب الجند أرزاقهم ، فأمر الأمين ببيع ما بقي من التحف في خزائنه . وضاق به الأمن فطلب الى هرثمة ان يتوسط بالصلح .

وسار في الليل بحرّاقـة الى هرثمة ، ورمى اصحاب طاهر الحراقـة بالسهام ، فألقى بنفسه في الماء ، وسبح الى الشاطىء ، فأخذه بعض رجـال

(١٥) تأريخ الرسل والملوك ؛ ١٠/١٨٤ .

طاهر ، وقتلوه . وبعث طاهر بن الحسين رأسه الى المأمون[16] . يقول الجهشياري[17] : « ذكر علي بن ابي سعيد ــ ابن خالة الفضل بن سهل ــ أنه رأى رأس محمد ، وقد ادخله ذو الرياستين ــ الفضل بن سهل ــ على ترس بيده الى المأمون » .

وبويع المأمون بالخلافة ، وهو في الريّ ، وبقي في خراسان ، وازداد نفوذ الفضل بن سهل ، يقول الجهشياري : « ولما استقامت الأمور للمأمون ، ردّ التدبير الى ذي الرياستين ، وامضاها على رأيه ، وكتب الى طاهر و هرثمة بتسليم ما في ايديهما من العمل الى عليّ بن ابي سعيد ، ابن خالة الفضل بن سهل ، وسلّم نفسه للفضل بن سهل ، ومضى الأخوان يتصرفان به وبمملكته . السنة ، سنة ١٩٨ ، استعمل المأمون الحسن بن سهل ، اخا الفضل ، على كلّ ما كان افتتحه طاهر من كور الجبال ، والعراق ، وفارس ، والأهواز ، والحجاز ، واليمن ، بعد ان قتل الأمين ، وكتب الى طاهر بتسليم ذلك اليه ، فقدّم الحسن بين يديه عليّ بن ابي سعيد »[19] .

وهكذا نرى ان الخليفة المأمون ، سلّم الخلافة ، أو المملكة ، للحسن بن سهل ، وسلم نفسه للفضل بن سهل ، ومضى الأخوان يتصرفان به وبمملكته . يقول ابن الأثير[20] ، في الحديث عن الفضل بن سهل ، انه : « غلب على المأمون ، وانزله قصراً حجبه فيه عن اهل بيته وقواده ، وصار يستبدّ بالأمر دونه » .

وتحدّث الناس بالعراق ، في حال المأمون الخليفة ، وحال بلدان الخلافة ،

---

(١٦) الطبري : تاريخ الرسل والملوك ، ١٠/١٩٢ ــ ٢٠٨ .
(١٧) الوزراء والكتاب ، ص ٣٠٤ .
(١٨) الوزراء والكتاب ، ص ٣٠٥ .
(١٩) الكامل : ٦/٢٩٧ . (٢٠) الكامل : ٦/٣٠٢ .

وقد ملكها الفضل واخوه ، فغضب بنو هاشم ، ووجوه الناس ، واجترأوا على الحسن بن سهل ، وهاجت الفتن في الأمصار ، فكان اول من ظهر ابن طباطبا بالكوفة [٢١] .

وظل الفضل سائراً في طريقه ، والمأمون معه في خراسان ، وتلقب « بذي الرياستين » ؛ القلم والسيف ، وكأنه اراد ان ينقل الدولة نقلة واحدة الى خراسان ؛ خليفتها وعاصمتها ، ويعيد امر الفرس الذي حاوله ابو مسلم ، وحاوله البرامكة من قبل ، وزيّن للمأمون اخراج الخلافة الى آل عليّ ، وكان يطمع ان يزداد أمر الفرس بخروجها من بني العباس اليهم . ووافقه المأمون على هذا ؛ فجعل ولاية العهد لعلي بن موسى بن جعفر ، وزيّن له ترك لباس السواد ؛ شعار العباسيين ، ولبس الخضرة ؛ لباس المجوس ، فوافقه المأمون ، وأرسلت الكتب الى عمّال الأقاليم بترك السواد ، ولبس الخضرة ، وجعل الأعلام والقلانس خضراً [٢٢] .

وحاول ان يعيد ابهة الأكاسرة ، ويحيي ما عفّى عليه الاسلام من غطرستهم وجبروتهم . يقول الجهشياري [٢٣] : « ان الفضل بن سهل بن زادنفروخ ، كان يجلس على كرسيّ مجنّح ، ويُحمل فيه اذا اراد الدخول على المأمون ، فلا يزال يُحمل حتى تقع عينا المأمون عليه ، فاذا وقعت وُضع الكرسيّ ، ونزل عنه فمشى ، وحُمل الكرسيّ حتى يوضع بين يدي المأمون، ثم يسلم ذو الرياستين ، فيعود ويقعد عليه ... وانما ذهب ذو الرياستين في ذلك الى مذهب الأكاسرة » .

وتحدّث الناس بهذا ، وبما بقي أو يبقى للمأمون . وبلغ المأمون ان

(٢١) نفس المصدر ، ونفس الصفحة .
(٢٢) الجهشياری ؛ الوزراء والكتاب ؛ ص ٣١٢ .
(٢٣) الوزراء والكتاب ؛ ص : ٣١٦ .

نعيم بن حازم ممن تحدثوا ، فطلب المأمون الى الفضل احضاره ، فكان مما قال للفضل بن سهل بحضرة المأمون[٢٤] : « انك انما تريد ان تزيل الملك عن بني العبّاس ، الى ولد عليّ ، ثم تحتال عليهم ، فتصيّر الملك كسرويّاً . ولولا أنك اردت ذلك ، لما عدلت عن لباس عليّ وولده ، وهي البياض ، الى الخضرة ، وهي لباس كسرى والمجوس ، ثم اقبل على المأمون ، فقال : الله ! الله ! يا امير المؤمنين ، لا يخدعنّك عن دينك وملكك » .

وبلغ هذا بنى العباس فثارت ثائرتهم ببغداد ، فخلعوا المأمون ، وبايعوا عمّه ابراهيم بن المهدي ، ولقّبوه : « المبـارك » ... وتصدى الحسن بن سهل لهذه الفتنة فأعجزه امرها ؛ حارب ابراهيم ، ثم ضعف عنه ، فانحدر الى « فم الصلح » فأقام بها [٢٥] ؛ « واستولى ابراهيم على الكوفة ، والسـواد جميعه ، وعسكرَ بالمدائن [٢٦] » والحسن بن سهل مقيم في حدود واسط ، خليفة عن المأمون[٢٧] . ولم يزل ابراهيم مقيماً ببغداد على أمره ، « يدعى له بأمير المؤمنين ؛ ويخطب له على منابر العراق ، وهو الخليفة عندهم » هـذا كلّه ، والمأمون في خراسان لا يدري بشيء من هذا .

يقول ابن الأثير ، في احداث سنة ٢٠٢هـ [٢٨] : « في هذه السنة سار المأمون من مرو الى العـراق ... وكان سبب مسيره : ان عليّ بن موسـى الرضى أخبر المأمون بما الناس فيه من الفتنة والقتال ، مذ قُتل الأمين ، وبما كان الفضل بن سهل يستر عنه من أخبار . وان أهل بيته والناس قد نقموا عليه أشياء ، وانهم يقولون مسحور مجنون ، وانهم قد بايعوا ابراهيم بن المهدي

(٢٤) المصدر السابق نفسه ؛ ص ٣١٣ .
(٢٥) تاريخ بغداد ؛ ٧/٣٩١ .
(٢٦) ابن الأثير ؛ ٦/٣٤٦ .
(٢٧) ابن خلكان ؛ وفيات الأعيان . ١/٣٨٥ .
(٢٨) الكامل . ٦/٣٤٦ .

بالخلافة ... وأعلمه ان الفضل قد كذبه ، وان الحــرب قائمة بين الحسن بن سهل وابراهيم ، والناس ينقمون عليه مكانــه ، ومكان اخيه الفضل ... » واخبر المأمون وجوه من رجاله : ان هرثمة انما جاء لينصحه ، فقتله الفضل..

وتحقق المأمون من ذلك كلّه، فأمر بالرحيل. فلما وصل الى «سَرَخْس» وثب رجال بالفضل بن سهل ، فقتلوه في الحمّام ؛ قتله أربعة نفر .. وهربوا .. فجعل المأمون لمن جاء بهم عشرة آلاف دينار . وجاء بهم العبّاس بن الهيثم الدينوري ، فقالوا للمأمون : أنت أمرتنا بقتله ، فأمر بهم فضُربت رقابهم . وبعث برؤسهم الى الحسن بن سهل ، وأعلمه ما دخل عليه من المصيبة بقتل الفضل ، وانه قد صيّره مكانه[٢٩] » .

ويقول ابن الأثير[٣٠] : « وفي هذه السنة ــ ٢٠٣ هـ ــ مــات عــلي بن موسى الرضا » ويعقّب على هذا بقوله : « وقيل ان المأمون سمّه في عنب ، وكان عليّ يحب العنب ، وهذا عندي بعيد » .

ووالى المأمون مسيرته الى بغداد . اما ابراهيم فانه لما فرغ من البيعة ، وعد الجند رزق ستة أشهر ، ودافعهم بها ، فأعطى لكل رجلٍ مائتي درهم ، وكتب لبعضهم الى السواد حنطة وشعيراً ، فخرجوا وانتهبوا الجميع ؛ أخذوا نصيب السلطان ونصيب أهل السواد[٣١] . ولجأ الى ابراهيم أعراب من أعراب السواد ، وغيرهم من أوباش الناس وأوغادهم ، وقد احتبس عليهم العطاء ، فجعل ابراهيم يسوّفهم ، وهم لا يرون لوعده حقيقة ، الى ان خرج اليهم رسوله يوماً ، وقد اجتمعوا وضجّوا ، فصرّح اليهم بأنه لا مال عنده .

---

(٢٩) الكامل ، لابن الاثير ٣٥٠/٦ .
(٣٠) الكتاب السابق نفسه ؛ ٣٥١/٦ .
(٣١) الكتاب السابق نفسه ؛ ١٨٥/٥ .

وفي الأغاني[٣٢] : ان ابراهيم اقترض مالاً من مياسير التجّار . فأخذ من عبدالملك الزيّات ــ وهو تاجر من تجّار الكرخ ــ عشرة آلاف دينار .

ودخل المأمون بغداد ، واختفى عمّه ابراهيم بن المهديّ بدخوله ، واستقرّ المأمون ببغداد ، وعادت اليها حياتها الحافلة بالعلم ، والأدب ، والثراء ، واللهو ، والترف ، والمرح .

الزيات التاجر :

قال السمعاني ، في الأنساب[٣٣] ، في حديثه عن الزيّات : « هذه النسبة الى بيع الزيت ... وكذلك الى جلبه ونقله من بلد الى بلد » . ثم عدّد المشهورين بجلبه ونقله ، وقال : « ومنهم أبو جعفر محمد بن عبدالملك ابن ابان بن أبي حمزة البغدادي ، المعروف بابن الزيّات » . وقال المرزباني[٣٤] عنه : « أصله من أهل قرية دسكرة جَبُّل من النهروان الأسفل » وقالوا[٣٥] : « ان جدّه ابان كان يجلب الزيت الى بغداد » ويبدو ان العائلة شهرت ، وعرفت بهذا الاسم .

أمّا أبوه عبدالملك ، فكان تاجراً من تجّار الكرخ المياسير ، وحين ثار أهل بغداد على المأمون ، وهو بخراسان ، وبايعوا عمّه ابراهيم بن المهدي ، واعجز ابراهيم المال ، واضطر ان يقترض أموالاً من التجار ، لينفق منها على الجند . كان عبدالملك الزيات هذا من الذين اقرضوه ، وقد اقرضه عشرة آلاف دينار . واخذها ابراهيم ، وقال له : انا اردّها اذا جاءني مال . وغلب

---

(٣٢) الاغاني ؛ ١٢/٤٦٣ .
(٣٣) ٦/٣٥٥ ، ط : المعارف العثمانية في الهند .
(٣٤) معجم الشعراء . ص : ٤٢٥ ط : القدسي ــ القاهرة .
(٣٥) كرد علي ؛ امراء البيان ١/٢٨٠ .

ابراهيم على امره ، واختفى بقدوم المأمون الى بغداد ...

ويبدو ان عبدالملك الزيّات ، جاوز تجارة الزيت التي كانت لأبيه ابان ، وان مبلغ عشرة آلاف دينار ــ وهو مبلغ ليس بالقليل في حياة تاجر زيت ــ لم يكن نكبة ماليّة في حياة عبدالملك الزيّات التجارية أو المالية ؛ ذلك لأن حياته التجارية أو المالية ، قد تحسنت في أيام الفتن والحروب التي توالت على بغداد ، في آخر أيام الأمين ؛ من حصار بغداد واضطراب الحالة الاجتماعية ، التي سبّبتها الحرب ؛ من حصار للنواحي ، وهدم للدور ، وتعطيل للطرق والمواصلات ، وامعان في التخريب والسرقة ، وما الى هذا ... وما ان أفاقت بغداد بعض الشيء بمقتل الأمين ، وانتهاء الحرب ، حتى جاءت ثورة ابن طباطبا في الكوفة ، والكوفة ليست ببعيدة عن بغداد ، ثم كانت فتنة ابراهيم بن المهدي ؛ هذه التي اقترض بها أموالاً من التجار ، ومنهم عبدالملك الزيّات .

ومعلوم ان التجار ــ ما لم يحدث لبعضهم ان ينهب جملة ــ من الفئات التي تثرى في عهد الفتن والحروب . انهم يحتفظون بما بأيديهم من بضائعهم عادةً ، ويجعلون أسعارها أضعافاً مضاعفة . ويكونون ــ في الغالب أيضاً ــ من هذا الصنف من الناس ، الذي لا يعبأ الاّ بتجارته وربحه . والطبري يشير الى ان التجار ، حين ضُيّق عليهم وحيل بينهم وبين متاجرهم ، ورأوا ميلان كفّة الحرب مع جيوش المأمون ، كانوا أول الناس انحيازاً الى جيش المأمون ، وأوّل الناس خذلاناً للأمين وجيشه ببغداد ، يقول الطبري[٣٦] : « وهجر الأمينَ بعض قواده ، وانضموا مع التجار الى طاهر . وطلب الجند أرزاقهم فأمر الأمين ببيع ما بقي من التحف في خزائنه » ترى مَن يكون قادراً على شراء هذه التحف ، وبأبخس الأثمان غير التجّار ! ؟ ثم مَن يبيع

(٣٦) تأريخ الرسل والملوك .

هذه التحف ، وبأغلى الأثمان ، اذا هدأت الدنيا غير التجار أيضاً ! ؟ • نقول : ويبدو لنا ان الزيات أبا محمد ، من هذا الصنف الذي أثرى • وأحب حرفته •

وأراد ابنه محمد ، أن يهجر حرفة التجارة ، ويتحول الى الشعر يتكسب به ، فنصحه أبوه الزيات بألا يفعل ، وانه ان فعل سيندم • يقول أبو الفرج[٣٧] عن محمد بن عبدالملك : « وكان أبوه تاجراً ، فكان يحثه على التجارة وملازمتها ، فيأبى الا الكتابة وطلبها » ويروى عن عمر بن محمد ابن عبدالملك ، قوله : « كان جدي موسراً من تجار الكرخ ، وكان يريد أبي أن يتعلق بالتجارة ويتشاغل بها ، فيمتنع من ذلك ، ويلزم الأدب وطلبه ••• فقال له ذات يوم : والله ! ما أرى ما أنت ملازمه ينفعك ، وليضرنك ؛ لأنك تدع عاجل المنفعة وما أنت فيه مكفي ، ولك ولأبيك فيه مال وجاه ، وتطلب الآجل الذي لا تدري كيف تكون فيه ••• » ولا نراه يريد هذا لابنه ، لولا احساسه براحته في حرفته •

ويبدو ان الرجل التاجر ، قد ازدادت ثروته اتساعاً ، بعد ان هدأت الأمور ببغداد • فاتصل بدار الخلافة ، وصار يتولى للمأمون في بلاط الخلافة عمل المشمس والفساطيط والجمازات •

وقبض[٣٨] على ابراهيم بن المهدي متخفياً في زي امرأة • وكان المأمون قد جد في طلبه سنين ولم يجده ، ونصب في دار الخلافة بحالته التي قبض عليه فيها ، ورآه وجوه القواد ، ووجوه بني هاشم • وظن الناس انه مقتول لا محالة ؛ لوثوبه على الخلافة ، ولاختفائه •• غير ان المأمون عفا عنه وأبقاه ، وذلك ان المأمون سأل بوران ؛ بنت الحسن بن سهل في

---

(٣٧) الاغاني ؛ ٢٢/٤٦٣ .
(٣٨) انظر ص ٢١١ من هذا البحث .

عرسها عمّا تريد ، فكان مما أرادت : أن يعفو المأمون عن ابراهيم بن المهدي ، فأجيب طلبها فيــه •

على ان الناس ظلّوا ينظرون الى عفو المأمون عنه ، نظرة الشك ، وجاء التاجر الزيّات أبو محمد يستنجز ابراهيم ردّ العشرة آلاف دينار ، التي كان اقترضها منه ، ووعد بردّها ، فقال ابراهيم : انما أخذتها للمســلمين ، وأردتُ قضاءَها من فيئهم ، والأمر الآن الى غيري • قال عبدالله بن محمد ابن عبدالملك : « فعمل أبي محمد بن عبدالملك قصيدة يخاطب فيها المأمون ، ومضى الى ابراهيم بن المهدي ، فأقرأه اياها ، ثم قال : والله ! لئن لم تعطني المال الذي اقترضته من أبي لأوصلنّ هذه القصيدة الى المأمون ، فخــاف ــ ابراهيم ــ أن يقرأها المأمون ، فيتدبّر ما قاله فيوقع به » • خاف ابراهيم ، ولم يكن في استطاعته أن يردّ المال للزيّات ، فقال : « خذ مني بعض المال ، ونجّمْ عليَّ بعضه » قال عبدالله : « ففعل أبي ذلك ، بعد ان أحلفه ابراهيم بأوكد الأيمان ألاّ يظهر القصيدة في حياة المأمون ، فوفّى أبي بذلك ووفى ابراهيم بأداء المال كلّه »[٣٩] •

وظلّ عبدالملك الزيات التاجر ، في حالته الحسنة في تجارته ، وفي اتصاله بدار الخلافة • ولم نجد في أخبار ابنه محمد بن عبدالملك ، ما يشير الى انه بقي حيّاً الى أيام ابنه في الوزارة • وعندنا انه لو توفّى ، وابنــه وزير ، لرثاه الشعراء ، تقرّباً للوزير والتماساً لصلته • كما اننا لا نجد في ديوان ابن الزيات ، الذي جمعه جامعوه بعد موته ، ما يشير الى ان ابنــه محمداً قد رثاه • وكلّ الذي نجده ان ابنه محمد بن عبدالملك هو الذي كان يقوم مقامه في عمله • يقول الطبري[٤٠] : « ••• وكان محمد بن عبدالملك

---

(٣٩) الأغاني ؛ ١٢/٤٦٦ .
(٤٠) تأريخ الرسل والملوك ؛ ص : ١١٨٣ .

الزيات ، يتولّى ما كان أبوه يتولاه للمأمون ، من عمل المشمس والفساطيط وآلة الجمّازات » .

وظلّ الذين يتعرضون لمحمد بن عبدالملك الوزير في الهجاء ، يشيرون الى حرفة جدّه تاجر الزيت ، يعيّرونه بها . يقول عليّ بن جبلة الشاعر في هجائه[41] :

يا تاجر الزيت عرّجْ غير مرموق لتشغلنّ عن الأرطال والسوق
مَن رام شتمك لم ينزع الى كذبٍ في منتماك ، وناداه بتحقيق

وينسب لأحمد بن أبي دؤاد ، وكان منافساً لابن الزيّات الوزير ، القول فيه[42] :

احسن من تسعين بيتاً سدىً جمعك ايّاهنّ في بيت
ما أحوج الملك الى قطرةٍ تغسل عنّا وضر الزيت

يقولون هذا ، ولا نراهم يشيرون الى أبيه والى تجارته ، والى صلته ببلاط الخليفة المأمون . ولا الى الفساطيط والجمّازات .

محمد بن عبدالملك الزيات

هو أبو جعفر محمد بن عبدالملك بن ابان بن أبي حمزة البغدادي » هكذا رواه السمعاني في الأنساب ، وزاد المرزباني في الحديث عنه بأن قال : « أصله من أهل قرية دسكرةَ جبُّل من النهروان الأسفل ، وروى له بيتين من الشعر يشيران الى أنه أعجمي . هما[43] :

(٤١) ديوان ابن الزيات ، حاشية ص : ٥ .
(٤٢) الديوان ، حاشية ص : ١٢ .
(٤٣) معجم الشعراء ، ص : ٤٢٥ ط ــ القدسي ــ القاهرة .

نحن بنو الغرّ المحجّلينا الأعجمـــين المتوّجينـــا
لنا الفروســية ما بقينـــا بها خلقنـــا وبهـــا ســمينا

ونحن لم نجد غير المرزباني يشير الى أعجميته ، ولا الى بيتيه هذين ، ولا نجد البيتين في ديوان ابن الزيات ، الذي جمعه له جامعوه . ونجد صاحب الأنساب يكتفي بنسبة جدّه الى بغداد ، وتسميته بالبغدادي . وقد ذهب صاحب امراء البيان الى انه عربي ، وكأنه أراد أن يؤكد هذا ، فقال : « هو عربي بأصوله ، ولد ونشأ ببغداد »[٤٤] .

وسيرة ابن الزيات لا ترينا انه أعجميّ ، أو انه ينتسب الى الفرس . لقد اتصل ، أول ما اتصل ، بالحسن بن سهل وبأخيه الفضل بن سهل ، وهما مَن هما بدولة المأمون ، ومدحهما ، وعظّم شأن الفرس في مديحه ؛ لأنهما فارسيين وكان بوسع ابن الزيات ، وهو يمدح ويطلب الجائزة منهما ، ان يشير الى انه ينتمي معهما الى الفرس ، ولكنه لم يفعل . ولو شاء لقال هذا ، وافتخر به على نحو ما افتخر بشّار بن برد مثلاً ، وقال : انه ينتمي « لقريش العجم » مع انه مولى ، وابوه طيّان ، واخوه قصّاب . يضاف الى هذا ، ان دولة بني العبّاس ، الى العهد الذي مدح فيه ابن الزيات ابني سهل ، كانت فارسيّة الصبغة ، حتى قال الجاحظ ، صديق ابن الزيات وصاحبه : « دولة[٤٥] بني العباس أعجمية خراسانيّة » وقال ابو الفرج ، وهو يتحدث عن بشـــار بن برد : « ...[٤٦] فلما جاءت دولة أهل خراسان عظم شأنه » نسمّاها « دولة أهل خراسان » .

على ان ابن الزيات ان كان لم يفخر بنسبٍ فارســيّ ، فانه لم يفخر

---

(٤٤) امراء البيان ؛ ١/٢٨٠ .
(٤٥) البيان والتبيين ؛ .
(٤٦) الاغـــاني ؛ ٢١٣/٣ .

بالنسب العربيّ أيضاً . ويبدو لمن يتتبع سيرته ، انه كان عصامياً ، لا يريد أن يفتخر بأسرة ، ولا بقبيلة ، ولا بجنس . لقد نافسه ابن أبي دؤاد القاضي ، وكان غالياً في التعصّب لقبيلة اياد العربية ، وكان الذين يتعصّبون عليه يرمونه بالدعوة اليها . وقد لجّ الشعراء في هجائه بهذا ، وهجوا قبيلة اياد بسببه ، يقول البحتري[٤٧] :

يا أحمد بن أبي دؤاد　　والحادثات بكل واد
ماذا رأيتَ اذ ادّعيْـ　　ت الى اياد في اياد ! ؟

وهجاه دعبل[٤٨] بهذا ، وقال فيه ، وفي اياد :

سألتُ أبي ، وكان أبي عليماً　　بأخبار الحواضر والبوادي
فقلت له : أَهيثمُ من عديٍّ　　فقال كأحمد بن أبي دؤاد
فان يك هيثم منهم صحيحاً　　فأحمد ــ غير شك ــ في اياد
متى كانت اياد تروس قوماً　　فقد غضب الاله على العباد

ويلاحي احمد بن أبي دؤاد محمد بن عبدالملك بحضرة الخليفة الواثق ويقول له[٤٩] : « اضوى ، ــ أي اسكت ــ بالنبطيّة ــ فيردّ عليه ابن الزيات بقوله : لماذا ؟ والله ما أنا بنبطيّ ، ولا بدَعيّ » فتراه ينفي النبطية عن نفسه ، وينفي الدعوة ، التي يعرّض فيها بابن أبي دؤاد ، ولكنه لا يقول عن نفسه : انه عربيّ ، ولا فارسيّ .

ونعجب أن نرى الشعراء يمدحونه ، وهم يمدحون الرجل عادة بعروبته فيشيرون الى القبيلة ، ويدّعون لها ما يشاؤون ، ويمدحون الرجل بالفارسيّة

---

(٤٧) ديوان البحتري : ٢٩٥/٢ ط ــ بيروت .
(٤٧) ديوان دعبل الخزاعي .
(٤٩) العقد الفريد : ٥/٤ .

ويشيدون بعظمة الفرس ؛ رجالهم وملوكهم الأوائل ، ولكنّهم يفرّون من هذا وهذا ، في مديحهم لابن الزيات . يمدحه أبو تمام ، فيقول[٥٠] :

أبا جعفر ان الجهـالة أمّهـا	ولودٌ ، وأمُّ الجهل جَدّاءُ حائل
أرى الحشو والدهماء أضحوا كأنهم	شعوبٌ تلاقت دوننا وقبائل
فكن هضبةً نأوي اليها وحرّةً	يعرّد فيها الأعوجيّ المناقل

فينسبه الى العلم ، ومع انه يفيض في مديحه فاننا لا نراه يشير بقليل ولا كثير الى اسرته أو قبيلته . ويمدحه بقصيدة اخرى . يقول فيها[٥١] :

اذا أحسن الأقوام أن يتطاولوا	بلا نعمة أحسنت أن تتطوّلا
تعظّمت عن ذاك التعظّم منهم	وأوصاك نبل القدر أن تتنبّلا

ويتوهم القارىء ان أبا تمام سيأخذ في الحديث عن نسب ابن الزيات ؛ ويمتدح أباه واسرته وعشيرته ، ولكن أبا تمّام يسارع فيقول :

تبيت بعيداً أن توجّه حيلة	على نشب السلطان أو تتأوّلا

ويأخذ في هذا ... ويمدحه ببعض قصائده فيكتفي بالاشارة الى اسمه ، ولا يجاوزه ، حتى ليتوهّم الشراح[٥٢] في نسبة المديح ، ويرى بعضهم ان القصيدة في مديح محمد بن حسّان الضبّي ، أو في مديح محمد ابن يوسف ، ويمدح أبو تمّام محمد بن حسّان الضبي ، فيفيض في ذكر ضبّة[٥٣] عشيرته .

والبحتريّ يمدح الحسن بن وهب ، صديق ابن الزيات ، وكاتبه ، فيقول[٥٤] فيه :

(٥٠) ديوان أبي تمام ٣٢٦/٢ .
(٥١) الديوان ٣٠٨/٢ .
(٥٢) الديوان ٢٤٢/٢ .
(٥٣) الديوان ٣٨٢/٢ .
(٥٤) ديوان البحتري ٣٤١/٢ .

وبأيّما آبائه لا يكتسي فخراً يفوت الزهر في ألوانه
أَبوَهْبه وسعيده أو قيسه وحُصينه أو عَمره وقنانه

فيعدّد آباء الحسن بن وهب ، ويفعل قريباً من هذا ، في قصائد اخرى في مديحه(٥٥) . ويمدح البحتري ابن الزيات في قصيدته الدالية(٥٦) ، فيقول :

يا ابن عبدالمليك ملّكك الحمْـدَ وقوفٌ بين الندى والجود

ويخيَّل للقارىء انه سيأخذ في مديح عبدالمليك هذا ، وفي تعداد مكارمه ، والارتقاء الى آبائه وعشيرته ، ولكنّ البحتريّ يطوي الحديث في هذا طياً ، فيقول :

ما فقدنا الاعدام حتى مددنا أملاً نحو سيبك الموجود
سؤدد يُصطفى ، ونيل يُرجّى وثناءٌ يحيى ، ومال يودى

ثم يأخذ بالحديث عن فنّه في الكتابة .

وقد نجد العذر للشعراء أن يتفادوا الحديث عن ذكر أبيه وجدّه ؛ لأنهم سيرتطمون بلقب « الزيّات » وهو اللقب الذي يهجوه به خصومه . ولكن أَترى هذا يمنعهم من ذكر عشيرة أو قبيلة له يثنون عليها ! ؟ .

وفي شعر ابن الزيات ، والذي وصلنا منه غير قليل ، لا نراه يفخر بنسبته لأسرة أو قبيلة أو جنس . وعندنا ان ابن الزيات ، وقد وزر لثلاثة خلفاء متعاقبين ، وبقي في الوزارة أكثر من اثنتي عشرة سنة ، لم يعجزه ، لو شاء ، أن يخترع لنفسه نسباً في الفرس أو في العرب ، وان يوحي الى الشعراء

(٥٥) ديوان البحتري ٢/٣٣٨ .
(٥٦) ديوان البحتري ٢/٣٨٨ .

يمدحونه به ، ولكنه كان عصامياً ، لم يشأ أن يفخر الا بشخصيّته ، وقدرته الاداريّة ، وقدرته الكتابية • وأبو تمّام يمدحه بهذا ، فيقول في حديثه عن الخلافة :

اذ اسم حاسدك الأَدنى لها لقب شعارها اسمك ، ان عُدّت محاسنها
ديوان ملك ، وشيعيّ ومحتسب وزير حق ، ووالي شرطة ، ورحا

فيعدّد صفاته الشخصية هذه ، ولا يشير الى أبيه أو اسرته ، أو عشيرته ، أو جنسه •

والمصادر القديمة التي تحدثت عن ابن الزيات ، لم تشر الى اسرته بأكثر من الحديث عن أبيه ، وانه كان تاجراً من مياسير تجّار الكرخ ، ويريد ابن خلّكان التأكيد في كثرة ماله ، فيقول(٥٧) : « وكان أبوه زيّاتاً ، الا انه كان كثير المال » • والمؤرخون لا يشيرون الى اسرته ، على اننا نرى في ديوان ابن الزيات(٥٨) : « وقال في صالح بن عبدالملك » أخيه ، وكان هؤلاء اصدقاء صالح :

تفرّغت لأصحابي وتنسى بعض أصحابك
حميد وفتى الطعـ ـن واسحاق منجابك
واخرى لا اسميّها ترانى لست أقوى بك
عنيناها شمائلك الـ ـلّتي ألوت بأسبابك
لقد صرت من العمـ ـي تناجي خلف أبوابك

والذي يبدو من الأبيات هذه ، انها أقرب الى الملام أو التبكيت ، منها الى الاجلال أو الاكبار • وعلى هذا فنحن نرجّح ان أخاه صالحاً هذا ، كان

(٥٧) ابن خلكان ؛ وفيات الأعيان : ١٠٢/٤ .
(٥٨) الديوان ؛ ص : ٩٤ .

أصغر منه في السن ، وكان أقلّ منه في الكفاءة بالقيام بأعباء تجارة أبيه • ويبدو لنا أيضاً ، ان عبدالملك الزيّات كان اعتماده على ابنه محمد في تجارته ، أكثر من اعتماده على ابنه صالح • ومن هنا رأيناه يحرص ان يصرف ابنه محمداً عن السير في طريق الأدب ، ومخاطبة الكتّاب ، وملازمة الدواوين ، ويقول له[٥٩] : « والله ! ما أرى ما أنت فيه ينفعك ، وليضرنّك ؛ لأنك تدع عاجل المنفعة ، وما أنت فيه مكفيّ ، ولك ولأبيك فيه مال وجاه ، وتطلب الآجل الذي لا تدري كيف تكون فيه » •

وسيرة محمد تحدّثنا انه لم يأخذ بنصيحة أبيه ؛ وانه ظلّ في طريقه الذي أراده لنفسه • والمصادر القديمة لم تحدثنا بشيء عن دراسته وعن شيوخه ، وعن حلقات الدرس ، أو مجالس الأدب التي كان يحضرها ولكنها كلّها تشير الى انه[٦٠] « كان أديباً فاضلاً ، شاعراً مليح الشعر ، حسن الترسل والبلاغة » • وفي الفخري في الآداب السلطانية[٦١] : « ونشأ محمد فتأدّب ، وقرأ وفهم ، وكان ذكيّاً في كل شيء ، حتى صار نادرة وقته ؛ عقلاً وفهماً وذكاءً ، وكتابةً ، وشعراً ، وأدباً ، وخبراً بآداب الرياسة وقواعد الملوك » •

ونرى صاحب الفخري يكتفي بالقول : « ونشأ محمد فتأدب » ولايشير الى المؤدبين له ، ولعله لم يشر الى هذا اكتفاءً بأنه تأدّب بالطريقة التي يتأدب بها عامة الناس في عصره •

ومعلوم ان الثقافة كان يتلقّاها المسلمون في المسجد ، والمسجد محلّ الصلاة والعبادة ، والدراسة أيضاً • وفيه أنشد الرسول الكريم كعبُ بن

---

(٥٩) الأغاني : ٤٦٣/١٢ •
(٦٠) الأنساب ؛ لعبد الكريم السمعاني ؛ ٣٥٧/٦ ط : الهند •
(٦١) الفخري ؛ ص ٢٣٣ ط : صادر — بيروت •

زهير قصيدته التي عُرفت بالبردة ، وفيه كان حسّان بن ثابت وغيره ينشدون قصائدهم . وبه كان يخطب الحسن البصري وغيره في آخر العهد الأمويّ ، خطبهم في موعظة الناس . ومع المسجد كان للمعلمين أماكن للتعليم يسمونها : « الكُتّابَ »[٦٢] . وكان بعض المعلّمين يعلّم حسبةً ، لا يريد أجراً ، ومنهم أبو حنيفة ، وبعضهم يتقاضى أجراً ، ومما هجي به الحجّاج بن يوسف ، وكان هو وأبوه معلّمين في الطائف ، أنه كان يتقاضى اجرة تعليمه أرغفة من الخبز ؛ يأتيه كلّ طفل برغيف من أهله . ورووا عن الامام الشافعي انه كان يتيماً لم تجد امّه ما تعطيه أجراً للمعلّم ، فرضي المعلّم منه ، أن يخلفه اذا قام عن الكتّاب .

ويقول اسحق الموصلي ، وهو ممن عاصر ابن الزيّات ، عن أبيه ابراهيم الموصلي ، انه اسلم الى الكتّاب ، فكان لا يتعلّم شيئاً ، ولا يزال يُضرب ويحبس ، ولا ينجع ذلك فيه ، فهرب الى الموصل وتعلّم الغناء . ويقول أبو الفرج عن علي بن جبلة[٦٣] ــ وهو الشاعر الذي هجا ابن الزيات ، وردّ عليه ابن الزيات بشعره[٦٤] ــ : « ذهبت احدى عينيه في الجدريّ ، ثم نشأ واسلم الى الكتّاب ، فحذق بعض ما يحذقه الصبيان ، فحمل على دابة ونثر عليه اللوز ، فوقعتْ على عينه الصحيحة لوزة فذهبت ... » . ونحن لا نجد في أخبار ابن الزيات اشارة الى انه التحق بكتّاب أو نال عقاباً أو ثواباً .

هذه حالة عامة الناس الذين يريدون التعلم لأبنائهم . أما الطبقة العالية من الخلفاء ، والوزراء ، والأمراء ، وذوي الجاه والثراء ، فكانت تتخذ لأبنائها المؤدبين أو المعلمين . فالمنصور الخليفة اتخذ لابنه المهدي شَرْقيّ بن

(٦٢) انظر الحديث الخاص بالكتّاب ، والتعليم ، في ضحى الاسلام ؛ ٥٤/٢ وما بعدها .

(٦٣) الأغاني ؛ ٢٨٧/١٩ .

(٦٤) ديوان ابن الزيات ، ص ؛ ٢٩ .

القطامي ليعلّمه الأدب ، واتخذ له المفضل الضبي فجمع له الأشعار التي سُميت بالمفضليات . واتخذ الرشيد الكسائي لتأديب ابنه الأمين ، وأبا محمد يحيى بن المغيرة اليزيدي لتأديب المأمون . وكان ابن السكّيت ـ وهو ممن كان يحضر مجلس ابن الزيات في وزارته ـ يؤدّب ولد ابن طاهر ، وهكذا ... وليس لدينا ما يشير الى ان ابن الزيّات قد اتُخذ له مؤدب" خاص ، على نحو ما تفعل هذه الطبقة ذات الجاه والثراء . وبعيد عندنا أن يكون أبوه ـ وهو الحريص على حرفة التجارة ـ ممن كان يحرص على ثقافة أبنائه باتخاذ المؤدبين ، ولذا لا نرى ذكراً لمؤدب خاص له في حياته .

ومعلوم ان عصر ابن الزيات ، هو العصر الذهبي لبني العباس ؛ فيه نمت الثقافة واتسعت ، ونما فيه التخصص في العلوم ، فصارت في المسجد حلقات للشعر ، وحلقات للغة ، وحلقات للنحو ، واخرى لعلم الكلام وهكذا ... وأصبح من الصعب على المرء أن يلمّ بهذه العلوم ، ويتعمّق في كلّ منها . ويبدو ان ابن الزيات كان ممن درس في هذه الحلقات ، وتعمّق في اللغة والنحو . يقول الخطيب البغدادي . « وكان ابن الزيات أديباً فاضلاً ، عالماً بالنحو واللغة » ويريد الخطيب البغدادي ان يؤكد علمه بالنحو ، فيقول : « ذكر ميمون بن هارون الكاتب : ان ابا عثمان المازني ، لما قدم بغداد في ايام المعتصم ، كان أصحابه وجلساؤه يخوضون بين يديه في علم النحو ، فاذا اختلفوا فيما يقع فيه شك ، يقول لهم المازني : ابعثوا الى هذا الفتى الكاتب ـ يعنى محمد بن عبدالملك ، واسألوه ، واعرفوا جوابه ، فيفعلون ، فيصدر الجواب من قبله بالصواب الذي يرتضيه المازني ، ويتفهم عليه » . وابن خلكان [٦٦] يورد نص الخطيب البغدادي ويرتضيه .

---

(٦٥) تاريخ بغداد . ط : مطبعة السعادة بالقاهرة ، ٢/٣٤٢ .
(٦٦) وفيات الأعيان ، الترجمة : ٦٩٦ ص /٩٤ .

نقول : وبرع محمد في اللغة والنحو ، وكانت فيه الطبيعة التي تمكنه من النظم ، وقول الشعر ، وسار في طريق الشعراء أهل المديح ، وقال لأبيه ، وهو يريده على التجارة : « والله ! لتعلمنّ أينا ينتفع بما هو فيه ، أنا أم أنت » ثم شخص الى الحسن بن سهل « بفم الصلح » فامتدحه بقصيدته التي أولها[٦٧] :

كأنها حين تناءى خطوها اخنس موشيّ الشوى يرعى القلل

فأعطاه عشرة آلاف درهم ، فعاد الى أبيه ، فقال له أبوه : « لا ألومك بعد هذا على ما أنت فيه » .

ونظرة في القصيدة ، ترينا ان محمد بن عبد الملك لم يكن فيها بالفتى المبتدىء يتعلّم النظم ويتدرّب عليه . انها طويلة ؛ في ديوانه منها خمسة وثلاثون بيتاً ، وفي بعض كتب الأدب زيادات على ما في[٦٨] الديوان . هذا من حيث الطول ، ومن حيث الألفاظ نراه يتفاصح فيها ، فيختار لها الألفاظ الغريبة ، التي يحوج بعضها المثقفين ــ في عصرنا ــ الى النظر في المعجم لمعرفة معانيها .

وفي النهج ، يتّبع فيها النهج الجاهليّ ، من الحديث عن الأخنس موشىَ الشوى يرعى القلل ، ويقول :

باتت له من شر طيّ ليلة جادت عليه سَبَلاً بعد سبلْ

ويكون هذا من مطلع القصيدة ، وهو ما اعتاد الشعراء أن يعمدوا اليه ، ليروعوا مستمعيهم ، ويجتذبوا انتباههم ، ويدلوا به على مقدرتهم في النظم ، وفي غريب اللغة . والذي نريد ان نقوله : ان محمد بن عبدالملك لم

(٦٧) ديوان ابن الزيات ، ص : ٥٦ .
(٦٨) ابن طيفور ، تأريخ بغداد .

ينظم هذه القصيدة ، الا بعد أن درس واستكمل عدة الشعر كلّها ، من شتى نواحيهـا .

ويسير في مديحه سيرة الجاهليين ، يشبّه ناقته بالثور الوحشـيّ ، ويطيل الحديث عنه شأن الشعراء الجاهليين ، يلجؤه الليل والريح البـاردة الى احقاف الرمل ، حتى اذا طلع الصبح هاجت به كلاب الصيد ، يشـليها صاحبها الصيّاد ، وتكون المطاردة ، ثم تتلوها المعركة ، ويعمد الثور بقرنيه الى خاصراتها ، يبعجها ويفريها ، ويتركها طريحة كبّت على انوفها ، وينقض انقضاض النجم مولياً عنها . ولا ينسى ابن الزيات ، وهو يتحدث عن الثور الوحشيّ وصراعه للكلاب ، وغلبته لها هذه الغلبة ، ان يقول فيه :

كأنه ابن فارسـيّ ينتحى　　للقرن طعنـاً بمهـزٍ معتـدل

فيجعل قوله هذا ، امتداحاً للفرس ، لأن الحسن بن سهل فارسـيّ ، وبعد حديثه هذا عن مطيّته ، يقول :

الى الوزير الحسن اسـتنجدتها　　الى منـاخ ومـزارٍ ومحـل
أي منـاخ ومـزار ومحـل　　لخـائف أو مستريش ذي أمـل

ويأخذ في مديحه ، فهو دعامة الملك ، وهو :

سيف أمـير المؤمنـين المنتضى　　وحصـن ذي الرياسـتين المنتقـل

ثم يأخذ في الاشارة الى الحرب التي كانت بين الأمين والمأمون[٦٩] ، ويبيّن ، انه :

من عصـبة أنقـذنا اللـه بهـا　　وثبّت الاسـلام من بعـد الـزلل

(٦٩) انظر ص ١٧٩ وما بعدها من هذا البحث .

فيقول : « انقذنا » يبين انه من حزب المأمون ، أو حزب الفرس ؛ آل سهل ، وبأخذ في المديح :

انتم يـد الملك التي صال بهـا
خليفـة الله على حـين وهـل
وهضبة الدين ، وانصار الهـدى
وعصمة الحق ، وفرسان الفُلل

ومع ان ابن الزيـات عربي(٧٠) ، لا يرى بأساً في ان يمتدح الحسن بن سهل بقولـه :

آبـاؤك الغـرّ الأولى جدّهـم
كسرى انو شروان يروون الأسـل
مـن كلّ ذي تـاج اذا همّ مضى
قـدماً ، لمـا همّ ، وان قال فعـل

ثم يختم القصيدة ، بقوله :

فأين لا اين واين مثلكم   وانتم الأملاك والناس خول

هكذا اتصل ابن الزيات برجال الدولة • وقد احسن الاختيار لمديحه ، حين اختار منهم الحسن بن سهل •

كان الحسن بن سهل « بفم الصلح » حـين امتدحه ابن الزيات بهـذه القصيدة • يقول ابن الأثير في احداث سنة ١٩٨ : « في هذه السنة استعمل المأمون الحسن بن سهل ، اخا الفضل ، على كلّ ما كان افتتحه طاهر من كور الجبال ، والعراق ، وفارس ، والأهواز ، والحجاز ، واليمن ، بعد ان قتـل الأمين ، وكتب الى طاهر بتسليم ذلك اليه » وترى من نص ابن الأثـير هذا ،

(٧٠) الكامل ؛ ٥/٢٩٨ .

ان الحسن بن سهل كان في سلطانه جلّ بلاد العرب ، وجلّ بلاد العجم ، وشي حظوة لا نكاد نعرفها لوالٍ قبله . ولعى هذا قلنا ان ابن الزيات قد أحسن الاختيار في مديحه ، لأن الرجل يقدر على الهبة والعطاء ، اكثر مما يقدر الخليفة المأمون نفسه .

ويبدو ان ابن الزيات ، وقد نال العشرة الاف درهم ، استمرأها فوجّه همّه الى المديح ، ولعلّه وجده افضل له من العمل بتجارة ابيه ، وان كانت تجارة ابيه رابحة ، وفيها مال وجاه لهما ، كما قال ابوه .

واتصل ابن الزيات بأبى دلف العجلي ، وهو القائد العربي الشاعر الأديب ، الممدّح من الشعراء ، الواهب الأعطيات الكبيرة . ومع اننا لا نجد في ديوان ابن الزيات ، وفي اخباره ، ما يدلنا انه امتدحه ، الا اننا نرجّح انه امتدحه ، اذ نراه يرجوه في ان يتوسّل بايصال رقعة الى الحسن بن سهل . وفي تأريخ بغداد (٧١) : « سأل محمد بن عبدالملك الزيات ، ابا دلف القاسم ابن عيسى العجلي ، عرض رقعة على الحسن بن سهل ، فعرضها عليه ، فقال له الحسن : نحن في شغل عن هذا ، فقال له ابو دلف : مثلك ، اطال الله بقاءك ، لا يشتغل عن محمد بن عبدالملك . فقال لخازنه : احملْ مع ابي دلف اليه عشرين الف درهم . قال : فلما وصلت الى محمد ، كتب اليه بهذين البيتين :

اعطيتني يا وليّ الحق مبتدياً
عطيّةً كافأت مدحي ولم ترني
ما شمت برقك حتى نلت ريّقه
كأنما كنت بالجدوى تبادرني

(٧١) تاريخ بغداد ؛ ٣١٩/٧ .

فعرضها أبو دلف على الحسن بن سهل ، فقال : ياغلام احمل الى محمد خمسة آلاف دينار » •

وسار ابن الزيات في طريق المديح هـذا ، ورأى ان يرتفع بمديحه الى الفضل بن سهل • ومعلوم ان الفضل ، هو الذي اخذ على يد المأمون ، وأنه كان اول اسباب الفتنة بينه وبين اخيه الأمين • يقول ابن الأثير (٧٢) : « ابتدأ الاختلاف بين الأمين والمأمون ابني الرشيد ، •• وطلب الأمين من القواد اللحاق بما معهم الى الامين ، فخلابه ــ بالمأمون ــ ذو الرياستين ، وقال : ان فعلت ما اشار به هؤلاء ــ اي القواد الذين رأوا العودة الى الأمين ــ جعلوك هديّة الى اخيك ••• وقال الفضل للمأمون : اصبر ، وانا اضمن لك الخلافة ، فقال المأمون : قد فعلتُ ، وجعلت الأمـر اليك ، فقمْ به » وهكذا ترى المأمون سلّم امره الى الفضل • ويقول ابن الأثـير ايضاً ، في احداث سـنة ١٩٨ : « وفيها خطب للمأمون بامرة المؤمنين ، ودعا الفضـل بن سـهل ، وعقد لـه على المشرق من جبال همذان الى التبّت طولاً ، ومن بحر فارس الى بحـر الديلم وجرجان عرضاً ••• وعقد له لواءً على سنان ذي شعبتين ، ولقّبه ذا الرياستين ، رياسة الحرب ورياسة القلم » ويقول الجهشياريّ (٧٣) : « ولمـا استقامت الأمور للمأمون ردّ التدبير الى ذي الرياستين ، وامضاها على رأيه »

نقول : وحين رأى ابن الزيات حظوته عند الحسن بن سـهل ، اراد أن يرتفع بمديحه الى الفضل بن سهل هذا ، شأن شعراء المديح ، يتوسلون برجال الدولة الى من هم أعلى شأناً فيهاء وقد توسّل أبو تمام والبحتري بابن الزيات، ــ بعد ان وزر للخليفة ــ بايصال مديحهما الى الخليفة • وفي ديـوان ابن

(٧٢) الكامل ؛ ٦/٢٢٤ .
(٧٣) الوزراء والكتّاب ، ص : ٣٠٥ .

الزيات قصيدة تزيد على الخمسين بيتاً ، بعنوان[٧٤] : « قال في الفضل بن سهل » . وهي قصيدة من قصائد المدح الفريدة ، نحا فيها ابن الزيات منحى الشعراء الجاهليين أيضاً ، في اسلوبها ، وفي ألفاظها ومعانيها ، يقول في مطلعها :

قف بالمنازل والربع الذي دثرا
فسقّها الماء من عينيك والمطرا

ثم يتغزّل على طريقة الجاهليين ، أهل البادية أيضاً ، فيقول :

بل ما بكاؤك في دار تضمّنها
ريب الزمان فأجلى اهلها زُمَرا

ويطيل في هذا ، ويسلك مسالك اهل البادية ، حتى ليتوهّمه القارىء بدويّاً ، لا ينفك عن الترحال ، يقول :

يا دار دار الأولى ولّت حمولهم
لو شئت خبّرتنا عن اهلك الخبرا
قاظوا ربيعهم في خصب بادية
حتى اذا القيظ ولّى آثروا الحضرا
فقرّبوا كلَّ شملالٍ مخيَّسةٍ
قد شذّب النيّ عن أصلابها الوبرا

ثم يتحدث بها عن سفره الى الممدوح ، وعن ناقته ، فيقول :

اليك اعملتها تدمى مناسمها
من مسحها المرو والكدّان والبهرا
تخدى على ثفناتٍ يرتمين بها
اذا المطيّ ونى لم تعرف الخورا

(٧٤) الديوان : ص : ٣٣ .

لأياً انيخت قليلاً ثم ازعجها
حاد اذا ماونى امثاله انشمرا
يعضّ من هوْله الحادي بأصبعه
ويجعل الماء دون الزاد مدّخرا

كلّ هذا يقوله عن سفره ، وعن ناقته ، ليقول :

حتى انيخت بأعلى الناس منزلة
عند الامام ، واعفاهم اذا قدرا

ثم ينحدث عن الحرب بين الأمين والمأمون ، ويتخذ من حديثه عنها ، وسيلة لمديح الفضل بن سهل . ومع ان ابن الزيات عربيّ النسب ، بغدادي المولد ، كما قلنا ، وان الحرب بين الأمين والمأمون ، كانت تمثّل صراعاً بين العرب والفرس فاننا نراه يتحدّث عن « كتائب مرو » التي وردت « بطن السواد » اي العراق . ويسمى « بغداد » موطنه « دار الملك » ويذكر الداهية التي حلّت بها من كتائب مرو هذه ، فأشابت ابن العشرين ، وفرّقت بين الزوج وزوجه ، وانست الأمّ طفليها الصغيرين ، على شدة تعلّقها بهما ، يتحدّث عن هذا كلّه بلا توجّع ، ولا تألّم ، يقول :

ساق الكتائب من مروٍ فأوردها
بطن السواد بجرّ الشوك والشجرا
حتى احلّت بدار الملك داهيةً
شاب ابن عشرين منها واشتكى الكبرا
وفرّقت بين ذى زوج وزوجته
وانست امّ طفليها وان صفرا

ويأخذ بالاشادة في فرسان هذه الكتائب ، وبالاشادة في خيولهم ، فيصفها وصفاً دونه وصف عنترة العبسيّ لحصانه . نقول : لسنا نجد تعليلاً

لهذه الروح ، التي تطلع علينا من هـذه القصيدة ، غير ان ابن الزيّات ، وقد اعدّ نفسه لهذه القصيدة اعداداً ، تحدّث فيه عن هذا كلّه بأسلوب المديح ، ليرضي الفضل بن سهل ، وقد تجرّد عن عواطفه شأن شعراء المديح ، يغريهم طلب المال ، وينسيهم كلّ شيء غيره • وربّما كان مما ساعده على هذا ، انه رأى وهو يعمل مع ابيه في التجارة ، ان الحرب قد نمت فيها تجارتهم ، وان ثراءهم قد ازداد ، شـأن بعض التجار يستغلون الحروب لمنفعتهم ولزيـادة ثروتهم • ولا ننسى ان بعض تجار الكرخ ، قد انحازوا الى عسكر طاهر بن الحسين ، حين ضـيّق عليهم في الوصول الى متاجرهم ، وحين رأوا أمر الأمين قد ضعف ، ولا يبعد ان يكون عبدالملك الزيات ، التاجر الموسر واحداً منهم •

ويأخذ ابن الزيات في مديح الفضل بن سهل ، وهو غرضه في القصيدة، فيقول :

كم قـد تداركتنا من قعـر مظلمـةٍ
وكـم جبرتَ كسير العظـم فانجبرا
انت المـدبّر ، لـولا مـا تـداركنا
من يُمن رأيك كنّا للـردى جَزَرا

ويأخذ بالتعريض في العطاء ، شأن شعراء المديح ، فيقول :

الى متى اظـم لـم اجهـر براحلتي
سـدم المياه ، ولم اطرق بهـا الكدرا
الاّ مـوارد لا يلقى الغـريب بهـا
من دونهـا ذا يدٍ يهدي لـه الحجرا

ثم يخاطب نفسه يستحثّها على التوجّه الى المدوح ، يقول :

ائت الميـاه التي تسـقى اذا طـرقت
عذبـاً وتسـتر من ذي الفاقة العورا

ثم يخاطب الفضل بن سهل ، معرّضاً بطلب المال ، يقول :

انی شعرت فلم امدح سواك ولم
اعمل الى غيرك الادلاج والبكرا
يا ناصر الدين اذ رثّت حبائله
لأنت اكرم من آوى ومن نصرا
اعطاك ربّك من افضال نعمته
رياستين ، ولم تظلم بها بشرا
لو كان خلق ينال النجم من كرم
اذاً لنالت يداك الشمس والقمرا
لم يشكر الفضل كنه الشكر ان له
فضلاً يضاعف اضعافاً اذا شكرا
لا يجمع المال الا ريث يتلفه
ولا يزهّده في العرف مَن كفرا

ويختم القصيدة بقوله :

يا ليت انا تقيه السوء انفسنا
بل ليت اعمارنا كانت له عمرا

ومع انه أفاض في وصف السفر ، وفي حديثه عن ناقته ، فان أخبار ابن الزيات لا نجد فيها خبراً لسفره ، ولا نجد فيها اتصاله بالفضل بن سهل ، ولا نجد فيها ان الفضل بن سهل قد اطّلع على هذه القصيدة ، أو أثابه عليها على البعد ، بل نجد الكتب القديمة يتحدث بعضها ، عن بعض أبيات هذه القصيدة ، وتقول(٧٥) : « انها قالها في الحسن بن سهل الوزير » وتورد بيتين منها ، هما :

(٧٥) زهر الآداب ؛ ٢/٣٩٣ .

لم امتدحك رجاء المال أطلبه
لكن لتلبسني التحجيل والغررا
ما كان ذلك الا انني رجل
لا أقرب الورد حتى اعرف الصدرا

ولعلّ ابن الزيات ، وقد نظم هذه القصيدة في مديح الفضل بن سهل ، ولم يسعفه الزمن في ايصالها اليه ؛ لأن الفضل دخل الحمّام ، وهو في أوج قوته وسلطته ، واخرج منه قتيلاً[٧٦] .

والقصيدة نفسها — في الكثير من معانيها — تشير بما لا يدع مجالاً للشك ، في انها قيلت في الفضل بن سهل ؛ فهو الملقّب بذي الرياستين ، كما اشارت القصيدة ، وهو الذي نصر المأمون وآواه في خراسان ؛ فهو « اكرم من آوى ومن نصرا » وهو البصير بالحيل ، كما قال ابن طباطبا[٧٧] ، وانه انبرى بالمكر ، وان « ابن امّ الحرب من مكرا » .

ولا نشك في ان الحسن بن سهل قد اطلع على القصيدة ، والقصيدة تظهر ولاء ابن الزيات للفضل بن سهل وأخيه الحسن بن سهل .

وفي حديث القصيدة عن الحرب بين الأخوين ؛ الأمين والمأمون ، تبين ان صاحبها من أنصار المأمون لا من أنصار الأمين ، فهو يمتدح « كتائب مرو » ويقول عن الأمين :

وابتزّت الناكث المخلوع بزّته
وأوطأته بساط الذّل مقتسرا

وعندنا ، ان هذه القصيدة من الأسباب التي قرّبت ابن الزيّات من دار

(٧٦) انظر الحديث عن مقتل الحسن بن سهل ؛ ص ١٨٤ وما بعدها .
(٧٧) انظر ص ١٧٩ من هذا البحث .

الخلافة ؛ لأن المأمون ، وقد قتل الفضل بن سهل ، أبعد التهمة عن نفسه بقتله ؛ لأنه قتل قاتليه ، وبعث برؤوسهم الى الحسن بن سهل ، وصيَّر الحسن بن سهل وزيره ، مكان الفضل •

وهكذا صار محمد بن عبدالملك الزيّات التاجر ، شاعراً من شعراء المديح لرجال الخلافة الجديدة ، وصار أبوه التاجر متصلاً بتجارته في بلاط المأمون ، ثم صار محمد بن عبدالملك يتولّى في دار الخلافة ما تولاه أبوه التاجر • يقول الطبري[٧٨] : « وكان محمد بن عبدالملك الزيّات يتولّى ما كان أبوه يتولاه للمأمون من عمل المشمس والفساطيط وآلة الجمّازات » •

تاجر في البلاط :

ودخل ابن الزيات بلاط المأمون ، يتولّى ما كان أبوه يتولاّه من عمل المشمس والفساطيط ، وآلة الجمّازات ، وارتقى أمره فيه • يقول ياقوت[٧٩] في حديثه عن الحسن بن وهب : « قال الصولي : كان من أول أمر الحسن بن وهب اتصاله بمحمد بن عبدالملك الزيّات ، في آخر أيام المأمون ، وكان محمد يلي النفقات وغير ذلك » ثم نرى ابن الزيات يرتفع شيئاً في أيام الخليفة المعتصم ، فيكون له « تفقّد[٨٠] الدار ، والاشراف على المطبخ » ثم يكون في جملة كتّاب[٨١] المعتصم ، ثم منها يكون في الوزارة •

وأخبار ابن الزيّات ، التي اطلعنا عليها لا تسعفنا بتأريخ لتدرّجه في أعماله هذه • ولعلّ مؤرخيه لم يجدوا فيها من الأهميّة ما يستحق ان يشار اليه • على ان هذه الفترة ، وهي فترة طويلة ، قد تزيد على الخمسة عشر

(٧٨) الطبري ، تأريخ الرسل والملوك ؛ ص : ١١٨٣ ط : خياط - بيروت .
(٧٩) معجم الادباء ؛ ٣/٢٢٣ .
(٨٠) معجم الأدباء ؛ ٣/٢٢٣ .
(٨١) محمد بن عبدالملك الزيات ــ للهجرسي ص وخزانة الادب .

عاماً ــ من سنة ٢٠٤ ــ الى نحو سنة ٢٢٠ هـ ــ قد جاوز ابن الزيات فيها دور الشباب ، وتخطّاه الى الكهولة • ويبدو انه كان على شيء من الثراء والجاه ، وانه باعد نفسه ، ورغب عن ان يحشرها مع شعراء المديح ؛ فنحن لا نجد في ديوانه ما يمدح به الخليفة المأمون ، ولا نجده يمدح رجلاً من رجال المأمون لنيل عطيّة أو مال ، على نحو ما فعل مع الحسن بن سهل ، وأخيه الفضل بن سهل • على اننا نجده لا يفوّت الفرصة تعرض لأن يعلن ولاءه للخليفة ، ويبيّن انه من مشايعيه ومؤيديه • يقول صاحب الأغاني[٨٢] في الحديث عن ابنه عبدالله بن محمد بن عبدالملك : « لما وثب ابراهيم بن المهدي على الخلافة ، اقترض من مياسير التجّار مالاً ، فأخذ من جدي عبدالملك عشرة آلاف دينار ، وقال له : أنا أردّها اذا جاءني مال • ولم يتم أمره فاستخفى ثم ظهر ، ورضي عنه المأمون ؛ فطالبه الناس بأموالهم ، فقال : أنا أخذتها للمسلمين، وأردت قضاءها من فيئهم . والأمر الآن الى غيري » يقول : « فعمل أبي محمد ابن عبدالملك قصيدة ، يخاطب فيها المأمون ، ومضى الى ابراهيم ، فأقرأه اياها ثم قال : والله ! لئن لم تعطني المال الذي اقترضته من أبي ، لأوصلنّ هذه القصيدة الى المأمون ، فخاف أن يقرأها المأمون ؛ فيتدبر ما قاله فيوقع به • فقال له : خذ مني بعض المال ، ونجّمْ عليَّ بعضه ، ففعل أبي ذلك ، بعد أن أحلفه ابراهيم بأوكد الأيمان ، الا يظهر القصيدة في حياة المأمون ، فوفى له أبي بذلك . ووفى ابراهيم بأداء المال كله » ونقرأ القصيدة ، وهي طويلة[٨٣] تزيد على الأربعين بيتاً ، فنراها اعلاناً لولاء ابن الزيات للخليفة المأمون ، وهجاءً لابراهيم ، وتحريضاً للمأمون على الايقاع به ؛ يقول فيها :

---

(٨٢) الأغاني ؛ ٤٦٦/٢٢ .
(٨٣)ديوان ابن الزيات ؛ ص : ٢١ .

أما والـذي اصـبحت عبد خليفـة
لـه خـير ايمـان الخليفـة والعبـد
تعاوت لـه مـن كـل اوب عصابـة
متى يوردوا لا يصـدروه عن الورد
وتزعـم هـذى النـابتيّة أنـــه
امـام لهـا فيمـا تجنّ وما تبـدى
يقولون : سـنيٌّ ، وايّـة سُـنّة
تقوم بجوْن اللّون صَعل القفا جَعْد
وقـد جعلـوا رخص الطعام بعهـده
زعيماً لهم باليمن والكوكب السّعدي
اذا مـا رأوا يومـاً غـلاءً رأيتهـم
يحنـون تحنـاناً الى ذلـك العهـد
وقـد رابني مـن اهـل بيتـك أنني
رأيت لهـم وجـداً بـه ايّما وجـد
يقـولون : لا تبعـد مـن ابن مُلمّة
صـبور على اللأواء ذى مـرةٍ جلد

وهكذا نرى ابن الزيات يعلن ولاءَه للخليفة المأمون ، ويحرّضه على ابراهيم ، ويبيّن ان تحنان الناس لعهده ، وقد رخص به الطعام ، لا ينقطع ، وان اهل بيت المأمون من بني هاشم رأوا فيه : ابن ملمّة ، صبور على اللأواء ، ذى مرّةٍ ، جلد • ترى هذا ، ولا ترى ذكراً للمال ، ولا لاستداناته من ابيه عبدالملك الزيّات • ومع ان ابنه قال : ان اباه وابراهيم ، قد وفّى كلٌّ منهما لصاحبه ، هذا باخفاء القصيدة ، وذاك بتنجيم المال ، فان الذي نراه في أخبار ابن الزيات ، انه لم يوفّ بشرطه ، وان المأمون اطلع على القصيدة •

يقول ابن خلكان[٨٤] عن ابراهيم : « انه اخذ ليلا وهو منتقب بين امرأتين ، في زيّ امرأة . اخذه حارس ، وحسر عن وجه ابراهيم ، فرأى لحيته ، فرفعه الى صاحب الجسر ، وحمل الى دار المأمون ، فأمر ان يقعد على هيئته الى غد ، ليراه بنو هاشم والقواد والجند» ويبدو ان ابن الزيّات ، وهو في البلاط ، قد رأى ابراهيم في حالته هذه ، فانتهز الفرصة في عمل هذه القصيدة للتحريض عليه ، ولتأكيد ولائه انه من شيعة المأمون ، وان المال انما اخذ من ابيه غصباً ، لا حباً في ابراهيم ولا تأييداً لفتنته وانتقاضه على الخلافة .

وتردّد المأمون في قتل عمه ابراهيم. لقد انتقض عليه ابراهيم قبل اكثر من ست سنوات . وقد هدأت الأمور للمأمون في سنوات اختفائه هذه . وذكر الطبري [٨٥] : « ان ابراهيم بن المهدي بايعه العباسيون في الباطن ثم بايعه أهل بغداد». ترى مايكون موقف المأمون لو قتله الآن من العباسيين مبايعيه ! ؟ . رأى المأمون ان يشاور في أمره وزيره احمد بن أبي خالد ، وكان اثيراً عنده . فقال الوزير [٨٦] : « يا امير المؤمنين ! ان قتلته فالك نظراء، وان عفوت عنه فما لك نظير » .

واعرس المأمون ببوران بنت الحسن بن سهل . يقول ابن طيفور في حديثه عن العرس[٨٧] : «فلما جلس المأمون معها . نثرت عليها جدّتها الف درّة في صينيّة ذهب ... وقال المأمون : هذه نحلتك ، فاسألى حوائجك ، فأمسكتْ ، فقالت لها جدّتها : كلّمي سيّدك ، واسأليه حوائجك ، فقد

---

(٨٤) وفيات الأعيان : ١/٣٨٦ .
(٨٥) وفيات الأعيان ؛ ١/٣٩ .
(٨٦) وفيات الأعيان ؛ ١/٣٩ .
(٨٧) كتاب بغداد ؛ ص : ١١٤ .

امرك ، فسألته : الرضى عن ابراهيم بن المهدي ، فقال : فعلتُ » ويبدو ان قصيدة ابن الزيات هذه في التحريض على ابراهيم ، قد جاءت حين تردّد المأمون بين العفووبين ايقاع العقوبة ، ثم رأى ان يمضي في العفو . يقول ابن طيفور [٨٨] : « ... حدثني ابو عبدالرحمن السمرقندي ... قال : لما ظفر المأمون بابراهيم بن المهدي ، قال محمد بن عبدالملك ، يحرّضه على قتله ، او انشد المأمون » ويذكر القصيدة ، فقال المأمون : « والله ! لا اشمتّه به ، بل اعفو عنه » .

وعندنا ان ابن الزيّات ، ولن لم يؤخذ برأيه في ابراهيم ، فانه استفاد بقصيدته هذه ، ان استعاد المال الذي اقتُرض من ابيه ، وانه بيّن ان اباه انما اعطى المال قسراً لابراهيم، واستفاد بها ــ وهو الأهم ــ تأكيد ولائه للمأمون.

* * *

واتصل ابن الزيات ، وهو الأديب الشاعر بالكتّاب في بلاط المأمون . وكان في البلاط طائفة من الكتّاب ، من انبه مَن عُرف من العصور الاسلامية ادباً ، وكتابة ، وشعراً . وكان هؤلاء يؤلفون طبقة خاصة ، ذات ثراء وجاه . وحسبنا من ثراء طبقة الكتّاب هذه ، ان خلفاء بني العبّاس ، حين يعوزهم المال ، كانوا يميلون الى مصادرة كتّابهم [٨٩] .

وعاونه على الاتصال بهم ، ان كان ، مع وظيفته في البلاط ، اديبا شاعرا مثلهم ، وان كان ذا ثروة من تجارته ووظيفته ، وان كان ذا هيئة حسنة [٩٠] ، وقد وصف نفسه بهذا ، وبيّن انه ربعة لا بالطويل ولا بالقصير ، وكان من

---

(٨٨) كتاب بغداد ص ؛ ١٠٨ .
(٨٩) ينظر ابن الأثير ؛ في الكامل ؛ ٣٧/٧ والطبري ؛ ١٣٧٧/١٢ .
(٩٠) ديوان ابن الزيات ؛ ص : ٨٤ .

المتأنقين في ملبسه ومركبه • كان يلبس اللباس الأنيق الذي اختصت به طبقة الكتّاب ، اهل الثراء ، وقد اثار هذا غيرة كاتب المعتصم ثم وزيره ، الفضل ابن مروان ، حتى اعترض على ابن الزيات ، وانتهره بقوله[٩١] : « انت تاجر ! مالك ولملابس الكتّاب ! ؟ » • وكان مركبه مما يحسد عليه ، وفي حديث عن محمد بن يزيد المبرّد ، انه قال : « كان لمحمد بن عبدالملك برذون لم يُر مثله فراهةً وحسناً ، فسعى به محمد بن خالد حيلويه الى المعتصم ووصف له فراهته ، فبعث المعتصم فأخذه منه » ويبدو ان برذون ابن الزيات هذا ، كان مما يعزّ ان يوجد له مثيل • ومن هنا ذُكر للمعتصم ورأى المعتصم اخذه • ورأى ابن الزيّات في اخذه رزيّة تجلّ عن العزاء ، يقول[٩٢] :

قالوا جزعت ، فقلت : ان مصيبة
جلّت رزّيتها ، وضاق المذهبُ
كيف العزاء ، وقد مضى لسبيله
عنّا فودّعنا الأحمُّ الأشهبُ

ويأخذ في الحديث عن اناقة برذونه ، وزينته ، يقول :

فالآن اذ كملت اداتك كلّها
ودعا العيون اليك معجب
واختير من سرّ الحدائد خيرها
لك خالصاً ، ومن الحليّ المعجب
وكأن سرجك اذ علاك غمامة
وكأنما تحت الغمامة كوكب
ورأى عليَّ بك الصديق جلالة
وغدا العدوّ وصدره يتلهّب

(٩١) امراء البيان ، ص : ٢٨٢ . (٩٢) ديوان ابن الزيات ، ص : ٦ .

فأنت تراه يتأنق في مركبه ، ويختاره بما يغرى في الوانـه ، وزينته ، ولجامه ، وسرجه . ويرى الصديق به الجلالة له ، ويتلهّب صدر العدو حسداً عليه .

ويغنيه المغنّي ابو دهمان ، ويستجيد مناديله الدبيقيّة ، فلا يستطيع ان يقاوم رغبته ، في الحصول على واحد منها ، فيسرق واحـداً يضعه تحت عمامته ، ويقول من ابيات (٩٣) فيه :

ضـاعف الـكوْر علـى هامتـه
وطـوى منديلنـا طـيّ الخـرق

يـا ابـا دهمـان لـو جاملتنـا
لكفينـاك مؤنـات السـرق

ومع ان الكتّاب الذين عاصرهم ابن الزيات في بلاط المأمون والمعتصم كثيرون ، فاننا نجد اسمه يدور مع اثنين منهم ، هما : ابراهيم الصولي والحسن ابن وهب . اما ابراهيم فقد اختلف معه ابن الزيـات بعد ان استوزر ، وظلّ ابراهيم يهجوه في حياته وبعد مماته ، وسنوليه ببعض الحديث فيما بعد ، واما الحسن بن وهب فقد ظل صديقاً مصافياً لابن الزيات ، قبل ان يستوزر ، وبعد ان استوزر . وقتل محمد فرثـاه الحسن بأبيات باكية ؛ عرّض فيهـا ببني العباس ، وخاف على نفسه منها . قالوا : وخاف الحسن ان يظهر القصيدة في حياته ، وظهرت القصيدة بعد ان مات ، مكتوبة بخطّ الحسن بن وهب نفسه. ونرى الا نجـاوز الحديث عن علاقتهما ؛ من غـير ان نأخذ فيهـا بشيء من التفصيل لما لها من صلة في ايضاح حياة ابن الزيات (٩٤) .

(٩٣) ديوان ابن الزيات ؛ ص ٤٩ .
(٩٤) الاغاني ؛ ٢٢/٥٠٤ .

الحسن بن وهب وابن الزيات :

يقول الصولي[٩٥] : « كان من اول امر الحسن بن وهب اتصاله بمحمد ابن عبدالملك الزيات ، في آخر أيام المأمون ، وكان محمد يلي النفقات وغير ذلك » ثم علا أمره في أيام المعتصم ، فكان لا يبرح من داره الى ان وزر ابن عمّار للمعتصم ، وكان محمد بن عبدالملك ينوب عنه ، وأمرّ محمد على الكتابة الحسن بن وهب » .

والحسن بن وهب هذا ، من اسرة توارثت صنعة الكتابة من سابق الى لاحق . انه الحسن بن وهب بن سعيد بن عمرو بن حصين بن قيس بن قنان . وعجب عندنا ان تستمر سلسلة النسب هذه كلّها ، قائمة في صنعة الكتابة . كان أبوه وهب كاتباً لجعفر بن يحيى البرمكي ، ثم صار بعده في جملة كتّاب الفضل بن سهل . ويروون للفضل قوله فيه[٩٦] : « عجبت لمن معه وهب كيف لا تتيه نفسه » . وبعد مقتل الفضل بن سهل ، استكتبه أخوه الحسن ابن سهل ، وقلّده كرمان وفارس ، فأصلح حالهما . ثم وجّه به الى المأمون رسالة من « فم الصلح » فغرق في طريقه بين بغداد ، و « فم الصلح » . وكان جدّه سعيد بن عمرو في خدمة البرامكة . وكان عمرو كاتباً للخليفة المهدي ، وكان الحصين كاتباً لهشام بن عبدالملك ، ثم لمروان بن محمد ، ثم صار الى يزيد بن عمر بن هبيرة ، ثم الى أبي جعفر المنصور والمهدي ، وكان قيس كاتباً ليزيد بن معاوية ، ثم لمروان بن الحكم ، ولعبدالملك بن مروان ولهشام بن عبدالملك . أما جدّهم قنان فكان كاتباً لمعاوية بن أبي سفيان ثم ليزيد بن معاوية .

أما سليمان بن وهب ، أخو الحسن بن وهب ، فكان من جملة كتّاب

---

(٩٥) معجم الادباء ؛ ٢٢٣/٣ .
(٩٦) وفيات الأعيان ؛ ٤١٥/٢ .

المأمون ، قالوا : كتب للمأمون وهو ابن أربع عشرة سنة ، ثم كتب لايتاخ ثم لأشناس ، ثم ولي الوزارة للمهتدي بالله . ثم للمعتمد على الله .

وهكذا ترى اسرة الحسن بن وهب اسرة عريقة في الكتابة ، وتستطيع أن تقول ، وهذه صلة أفرادها بالخلفاء ، : انها عريقة في الجاه وفي الثـراء أيضاً . ولا عجب أن يقول أبو تمام في مديحها :

كلّ شـعب كنتـم بـه آل وهب
فهو شـعبي ، وشـعب كلّ أديب
ان قلبـي لـكم لكالكبـد الحرّ
رى ، وقلبـي لغـيركم كالقـلوب

وكانت الصلة بين ابن الزيات ، وبين الحسن بن وهب وثيقة ، ولا نكاد نجد في أخبارهما ما عكّر صفو هذه الصلة ، قبل ان يلي محمد الوزارة ولا بعد أن وليها . ومع كل ما بيّنّاه عن الحسن بن وهب وعن اسرته ، فان الذي نراه في أخبارهما ، ان محمداً كان هو المتفضل دائماً على صديقه الحسن ، بماله وبجاهه أيضاً . أما من الناحية المالية ، فقد كان محمد موسراً لعمله في التجارة مع أبيه ، ولصلته ببلاط المأمون والمعتصم ؛ اذ كان يلي النفقات في البلاط . وهذه الوظيفة ، وان كنا لا ندري مداها بالضبط ، ولكنها وظيفة متصلة بالمال على كل حال . يقول الصولي[٩٧] : «... حدثني هـارون بن محمد بن عبدالملك ، قال : دعا محمد بن عبدالملك الحسن بن وهب ، قبـل وزارته ، في آخر أيام المأمون فجاءه ، ودخلا حمّاماً له ، وأقاما على لهوهما ، ثم طُلب الحسن بن وهب لعمل احتيج فيه اليه ، فمضى ، وبطل يومهم ، فكان مما كتب اليه الحسن :

---

(٩٧) الأغاني ؛ ٢٢/٤٩٤ ، وفي ديوان ابن الزيات اختلاف في الرواية ، ص ٩٧.

سقياً لنضر الوجه بسّامه
مهذّب الأخلاق قمقامه

وفيها :

زرناه في يوم علا قدره
من سائر الأيام في عامه
فكان مسروراً بنا باذلاً
لرحله الرحب وحمّامه
نخدمه — وهو لنا خادم
بفضله — من دون خدّامه
ثم سقانا قهوةً لم يدع
أطيب منها بقرى شامه
صهباء قد دلّت على دينها
وحدّثت عن ضعف اسلامه

ويجيبه ابن الزيات بأبيات على القافية نفسها ، وعلى البحر نفسه ، بقوله :

وزائرٍ لذّ لنا يومه
لو ساعد الدهر باتمامه
ماذا لقينا من دواوينه
وخطّه فيها بأقلامه
اسرّ ما كنّا فمن مازح
وشاربٍ قد عبّ في جامه
فارقنا فالنفس مطروفة
بواكب الدمع وسجّامه

وعـاد بالمـدح لنـا منعمـاً
بـه الى سـالف انعامـه

يشـكر مـا نـال عـلى انـّـه
لا يشـكر الحـرّ لحمّـامـه

جعلت نفسي جنّـة للصبا
وبعت اسـلامي باسـلامه

وصـار ما يشـرب حِـلاً لـه
وصـرت مأخـوذاً بآثـامـه

وعندنا ان ما نقلناه من المقطوعتين يرينا أيّـة صلة كانت بين الصديقين ، وعندنا ان الأبيات في المقطوعتين تعلن عن هذا ، وتغنينا عن المزيد في الشرح والتعليق .

وتظل الصلة بينهما صلة العشير بالعشير ، ويبدو ان الحسن بن وهب ، كان مع حبّه لمحمد يحمل له الاجلال والاكبار . ويقدّمه على نفسه ؛ يسيران على مسناة[٩٨] ، والمسناة هي البناء بطريق ضيق على النهر — ، وقد كان هذا وما زال الى الآن على دجلة في بغداد — يسيران على مسناة ، فيعدل الحسن عن المسناة ، لئلا يضيق الطريق على محمد ، ويمازحه محمد في هذا متّهمـاً أنه انما عدل عن المسناة ، خوفاً على نفسه من السقوط ، يقول :

قد رأيناك اذ تركت المسنّا
ة وحاذيتني يسار الطريق
ولعمري ماذاك منـك وقد جَـد
د بك الجـدّ من فعـال الشـفيق

(٩٨) الاغاني ؛ ٢٢/٤٩٢ .

فيقول الحسن :

ان يكن خوفي الحتوف أراني
ان تراني مشبّهاً بالعقوق
فلقد جارت الظنون على المشـ
ـفق والظن مولع بالشفيق
عذر السيد الأجل وقد سا
ر على الجُرف من يمين الطريق
فأخذت الشمال بُقيا على السـ
ـيّد ، اذ هالني سلوك المضيق
ان عندي مودة لك حازت
ما حوى عاشق المعشوق
طود عزٍّ خصصتُ منه ببرٍّ
صار قدري به مع العيّوق
وبنفسي واخوتي وأبي البـ
ـرّ ، وعمي ، واسرتي وصديقي
مَن اذا رُوّعت آمن روعي
واذا ما شرقت سوّغ ريقي

وأبيات الحسن هذه تنضح بالعاطفة ، وتحسّ بها الصدق الأدبيّ ، الذي مزج به الود الصادق مع الاكبار والاجلال لمحمد ، وترينا ان الحسن يحسّ ان محمداً هو الذي يفرج روعه . اذا ما روّع ، وهو الذي يسوّغ ريقه اذا ما شرق . ويفدّيه بما لا مزيد في التفدية عليه ، في قوله :

وبنفسي ، واخوتي وأبي البـ
ـرّ ، وعمّي واسرتي وصديقي

ويبدو ان لقاء الصديقين كان متصلاً ، لا يقطعه انشغال بعمل . وكثيراً ما يكون هذا بين الأصحاب ، يُصفي كل منهم الودّ لصاحبه ، ويرى في مجلسه وحديثه راحة يتخفّف بها عمّا يحسّه من اتعاب العمل ، ومن احداث الحياة . يتأخّر الحسن بن وهب عن زيارة محمد ، فيعاتبه محمد بقوله :

قالوا : جفاك ، فلا عهد ولا خبرٌ
ماذا تراه دهاه ؟ قلت : أيلولُ
شهرٌ تُجذّ حبال الوصل فيه فما
عقد من الوصل الا وهو محلولُ

وشهر أيلول هذا له طعم خاص عند أهل بغداد ، وما حولها ، يقول ابن الرومي ، فيه :

لولا فواكه أيلول اذا اجتمعت
من كلّ نوع ، ورقّ الجوّ والماء
اذاً لما حفلت نفسي متى اشتملت
عليّ هائلة الجالين غبراء

ويزداد هذا الاحساس عندهم ، لأن شهر أيلول هذا يأتيهم في خاتمة أشهر الصيف الثلاثة الحارة الثقيلة ، التي يقول فيها ابن لنكك :

حزيران ، وتموزٌ ، وآبُ
ثلاثة أشهر فيها العذابُ
فان قُرنت بشهر الصوم صرنا
سبائك في بواتقها تذاب

وكأن ابن الزيات حين يشير الى « أيلول » هذا ، انما يريد ان الحسن بن وهب ، قد انشغل بملذاته عنه ، وانها ــ وحدَها ــ كانت السبب في انقطاعه ، وتكفيه هذه الاشارة معاتبة لصديقه .

وفي ديوان[٩٩] ابن الزيات : « حدّث البحتريّ عن الحسن بن وهب . قال : كتبت اليه استهديه ، ونحن ببلاد الروم ، مطبوخ العراق ، فبعث اليَّ خُماسيتين وكتب اليَّ ببعض الشعر . وهو : اسقي الصديق ... » وفي المقطوعة :

لم تلق مثلي صاحباً
أندى يداً وأعزّ جودا
أسقي الصديق بمنزل
لم يرو فيه الماء عودا
صهباء صافية كأنْ
نَ بكأسها دراً نضيدا
خذها اليك كأنما
كسيت زجاجتها عقودا

وفي ابن خلكان[١٠٠] : « وكان الحسن بن وهب لا يصحو من الشراب ، فقال له أخوه سليمان ، وقد رآه لا يشرب ذات يوم ، : أراك عازفاً ! ؟ قال : نَعمْ ، ولذلك لا اعدّه من عمري . وأنشد بديهاً :

ان كان يومي غير يوم مدامة
ولا يوم قينات فما هو من عمري
وان كان معموراً بعود وقهوة
فذلك مسروق لعمري من الدهر

وهكذا ترى أخبار ابن الزيات . مع صديقه الحسن بن وهب ، تدور على الترف واللهو والشراب ، يمدّهما فيه الجاه العريض والمال الوفير .

(٩٩) الديوان ؛ ص : ٢٦ .
(١٠٠) وفيات الأعيان ؛ ٢/٤١٥ .

شعر القُحيف العُقيلي

صنعة

الدكتور حاتم صالح الضامن

كلية الآداب — جامعة بغداد

مقدمة

من شعراء العصر الاسلامي القُحيف بن سُليم العُقيلي ذكره الجمحي في الطبقة العاشرة وهم اربعة رهط ، مزاحم بن الحارث العقيلي ويَزيد بن الطثرية وابو دُوَاد الرُّؤاسي والقحيف العقيلي وهذه الطبقة كلّها من بني عامر بن صعصعة (١) . وهو شاعر مقل من شعراء الاسلام (٢) .
وقال عنه صاحب المؤتلف والمختلف انه شاعر محسّن كثير الذب عن قومه (٣) وكان يُشبّب بخرقاء التي كان ذو الرّمة يُشبّب بها (٤) . ونسبه كما نقله صاحب الخزانة عن الجمهرة والعباب للصاغاني هو : القحيف (بضم القاف وفتح المهملة) ابن خُمَيّر (بضم المعجمة وفتح الميم) بن سُلَيم (بضم السين وفتح اللام) (٥). ومن الغريب ان يذكر البغدادي في مكان آخر من الخزانة بانه شاعر جاهلي (٦) وهو وهم كما ارى . ومن خلال متابعة

---

(١) طبقات فحول الشعراء ٢/٧٦٩ — ٧٧٠ .
(٢) الاغاني ٢٤/٨٣ .
(٣) المؤتلف والمختلف /١٢٩ .
(٤) الاغاني ٢٤/٨٣ .
(٥) الخزانة ٤/٢٥٠ .
(٦) الخزانة ٢/٢٤٢ .

اخبار القحيف يتضح لنا ان حياته الأولى كانت غير واضحة المعالم ولكن الأخبار تذكر رثاءه ليزيد بن الطثرية الذي قتل سنة (١٢٦) وله اخبار مع المهير بن سلمى الحنفي بعد قتل الوليد بن يزيد سنة (١٢٦) كذلك وهذا يؤكد لنا انه كان حياً بعد هذا التاريخ . ويذكر الشاعر في بعض قصائده ادراك الشيب له ويعبّر عن استيائه من الشيبات اللواتي طلّعن لان الشيب داءٌ يكرهه (٧) وتبقى اخباره الخاصة والمتعلّقة بأهله أو بيته غير متميزة سوى ماذكر عن علاقته بخرقاء التي تذكر الأخبار انها جاوزت تسعين سنة . وهي اشارة تدلل ولو بشكل تقريبي على عمره الذي يكون قريباً من سن خرقاء . ثم تقف بعض الأخبار على مجاورته لامرأة من عبس وقد اقام عندها شهراً وهام بها عشقاً ويؤكد هذا الخبر انه كان من أجمل الرجال واشطّهم (٨) ويشكو القحيف في بعض قصائده حساده الذين كانوا يغارون من نبوغه وشهرته وهم من ابناء عمه الذين حاولوا أن يفسدوا علاقته (٩) .

كانت منطقة الفَلَج وما أحاط بها من البادية هي دار بني كعب بن ربيعة بن عامر . وفي جنوبهـا كانت بلاد قيس ومنطقة الفَلَج هـي المنطقة التي كان يتحرك فوقها شاعرنا ،وتسمى فلج الافلاج لكثرة زرعها ونخيلها . وقد أشار اليها الشاعر ووقف عندها وذكر ثمارها ونخيلها وما توزع في ارضها من نبت خضيد ومنظر انيق وما تربعت فيها من خُرّد (١٠) . وفي ربوع المواضع المنتشرة في هذه المنطقة كان صوت القحيف يرتفع ليذبّ عن قومه بعد ان استعر أُوار الحرب بين بني عقيل وحنيفة عندما جاءت حنيفة غازية كعباً . وجاء صريخ كعب الى ابي لطيفة بن مسلم العقيلي وهو بالعقيق أمير عليها . فأرسل في عقيل يستمدها فأتته ربيعة بن عقيل وقشير

---

(٧) القطعة رقم (٢٥) .

(٨) الاغاني ٢٤ / ٨٥ .

(٩) القطعة رقم (١٣) .

(١٠) القطعة رقم (١٤) .

ابن كعب والحريش بن كعب وافناء خفاجة . وكان ممن سار معه القحيف ويزيد بن الطثرية . فساروا حتى واجهوا القوم فواقعوهم . وقتل في هذه الوقعة يزيد بن الطثرية فرثاه القحيف بابيات مجّد فيها بطولته ، وبكى شجاعته ، وذكر نخوته ومروءته واستذكر ايامه .

إن التزام الشاعر بالدفاع عن قضايا قومه كانت تنعكس في المشاعر الصادقة التي كان يطوي عليها ضلوعه وهو يرثي ابطالهم . ويمجد قتلاهم ويذكر حسن بلائهم فكانت هذه الومضات المتباعدة التي وقفنا عليها تؤشر الحسن الذي كان يتداخل في نفسه . واللوعة التي كانت تعتلج في حناياه وهو يبكي اولئك الرجال الأشداء امثال الشاعر يزيد بن الطثرية الذي كان ينعته بالصنديد والفتى الذي خمرت به القبيلة حامياً منحماتها ومدافعاً عن وجودها (١١).

وبناء القصيدة عند القحيف ينحو نحواً تقليدياً لأنه يحاول ان يمهد لكل غرض بما يتناسب معه . وقصيدة الحرب التي كانت تأخذ حجماً متميزاً من شعره كان الشاعر يهيىء لها لوازمها وعدتها ويعالج موضوعاتها بأساليبه التي تعطيها الصورة الواضحة . وتحقق لها المناخ المناسب ، بعد ان يمهد للاحداث التي سيعرض لها . متخذاً من الحجج مايبرر له خوضها ، ولعلّ قصيدته العينية التي عثرنا عليها — وهي اكمل من بقية قصائده — تكاد تكون من النماذج الكاملة في هـذا الميدان ، فهو يستحضر الهموم بعـد أن جرّعه البين السم الزعاف ، وبعد أن تذوق مطعمه الفظيع . ولكن هذه الحالة لم تحمله على ترك السياق العام الذي كانت تسير بموجبه مسارات القصيدة فهو كالشنفرى وكغيره من الشعراء الفرسان الذين يردون الماء البعيد في جوف الفلاة التي لاانيس بها الا الحمام والقطا . وقد اتخذ من زمامّ ناقته وعمامته صلة لرشائه حتى يبلغ

---

(١١) القطعة رقم (٢٢) و (٢٤) .

الماء لبعد قعره ، وقد أعيا ناقته التعب حتى كلت عن السير ، وقد أوغل بها في الوادي حلاً وترحالاً . فبدت عظامها وضلوعها من الهزال ، ممهداً بكل هذه الخصائص ليستقل الى المُهير الذي جمع لقبيلته الجموع ، ولكنه ينتهي الى تمجيد قومه الذين يكونون نعم القوم عند احتدام الوغى ، وفي اشتداد المعركة(١٢).

وتمثل قصيدته اللامية التي يمكن ان تكون نموذجاً آخر من قصائده المكتملة صورة البناء التقليدي الذي كان الشاعر يسعى اليه وهو يكشف لنا عن صورة اوضح لقصيدة الحرب التي مهد لها منذ الابيات الأولى ، ووضع لوازمها وادواتها التي استخدمها لتكون اكثر ايحاءً ، واشد تأثيراً ، وفي الابيات وضوح كامل للبيض والنصال والصريخ وحنين النبع والأسل والنهال ومحالفة السيوف وذكر الصافنات وكراديس القبائل ومجاميع الكتائب والنواصي الشعث . وصياح البيض التي نقرعها النصال . وغيرها من الألوان والأصوات والحركات والمواضع التي تعطى الحرب خلالها ، وتجل للمواقف قدراتها ، وقد اكتملت اللوحة في عرف الشاعر بعد ان استطاع ان يجعلها صوتاً آخر من اصواته الشعرية ، وملحمة ثانية من ملاحم قبيلته وهي تضارع حنيفة بعد أن كانت حنيفة هي القبيلة التي غزت دياره عدوانا ظانّة بأنفسها سدّة البأس . ومعتقدة بقدراتها على المصاولة . ولكن الحرب انتهت الى غير صالحها فتناثرت ممزقة وتوزعت اقساماً .

ان صوت الشعر الحربي كان يرتفع في قصيدة القحيف دفاعاً عن الحمى ، وايماناً بمصلحة القوم ، وحماية عن الارض التي وهب لها شعره ونفسه ، فكان حقاً من شعراء الحرب . وكان حقاً من شعراء القضية التي منحها من نفسه

(١٢) القطعة رقم (٢٠) .

ما تستحق ، ومن مشاعره ماجعلها منتصرة (١٣) وهو بذلك يمكن ان يضاف الى مجاميع الشعراء الفرسان الذين عشقوا البطولة ، وتمثلوا الفروسية ، وعبروا في مضامينهـم الشعرية عن القيـم التي كانت تتمثل في هـذا الاتجاه ، ولو قُيّض لشعر القحيف ان يكتمل لقدم لنا صورة واضحة عن هذا المفهوم الشعري في عصره ، وعلى الرغم من طول هذه القصيدة فان صاحب المكاثرة قد أورد ثلاثة ابيات ربما تكون جزءاً منها ؛ وهذا دليل آخر من ادلّة ضياع شعره وهو آفة ابتلي بها هذا الشاعر وغيره ، ثم تجاوزت الشعراء الى الشعر العربي الذي ضاع كثير منه ولازمته هذه الظاهرة في مراحله الاخرى .

وكان القحيف أميناً على سيادة قومه ، وحامياً لحمى قبيلته ، وكان شعره تعبيراً عن هذا التوظيف ، وكانت مضامينه تؤكد عمق الاحساس بالانتماء الى الارض التي عاش فوقها ، وفي مجابهته للمهير بن سلمى الحنفي كانت تتجسّد هذه الروح وتتعالى هذه الصيحة ، فكان دون العقيق الموت ورداً واحمرا (١٤) . وكان قتلى قومه من الشهداء الصابرين (١٥) وعلى الرغم من الجموع التي حشدها المهير من حنيفة فإن قومه سيرهبون خصومهم وهم يردون في إيمانهم البيض لامعة ، وقد تجمعت عقيل وقشير وجعدة والحريش وكلهم ليوث غاب (١٦) وعندما كانت تتصاعد في نفسه سورة الفخر ، وتعلو همته قدرات الاعتزاز كان شعره يأخذ اتجاهاً قومياً حاداً ، وكانت معانيه تلتقي في حدود إبائه الفذ ، وعندها تكون غضبة مضرية (١٧) ، وتختلط بفخره مروءته وانسانيته التي تعف عند المقدرة وتصفح عند التمكن عزةً وتكرماً . وهذا ماكان يؤكده الشاعر في بعض مقطعاته التي بقيت من

---

(١٣) القطعة رقم (٢٣) .
(١٤) القطعة رقم (١٨) .
(١٥) القطعة رقم (١٩) .
(١٦) القطعة رقم (٢٠) .
(١٧) القطعة رقم (٣٠) .

قصائد طويلة (١٨) وكثيراً ما كان فخره يأخذ المبالغة تأكيداً لروح الاعتزاز ، وترسيخاً لصوت الشموخ والتحدي (١٩) ، وكان الشاعر يعبر عن لذة الاشتفاء من الخصوم والتغني بالنصر والحرص على ادراك الثأر وتأكيد قدرة القبيلة في اذلال خصمها واذاقته الهوان ، وتجريعه كؤوس الهزيمة .

لقد تركت أيام الفلج اثرها الواضح في شعر القحيف بعد أن اقتطعت جزءاً من شعره واخذت حجمها المناسب من قصائده . لانه حاول ان يتحدث من خلالها عن قدرة قومه الحربية اذا اشتدت فيها سواعدهم ، والتقت قبائلهم ، وتوحدت سيوفهم ، وارتفعت راياتهم . وكان اعتزازه بقومه يوحي بعمق الصلة الممتدة في جذور انتمائه ، ويؤكد ولاءه الى النصر الذي يمكن ان يتحقق وهذا ما دفع صاحب المؤتلف والمختلف إلى ان يقول : كان كثير الذب عن قومه (٢٠) . ولعل خروجه ويزيد بن الطثرية في مقدمة المقاتلين دفاعاً عن حمى القبيلة . وذوداً عن كرامة ابنائها يعطي هذا التصور وجهه الواضح ، ويحدد رأي الشاعر في القضايا الحاسمة التي كانت تتعرض لها القبيلة . وان حرصه على ابلاغ رسالته الى قريش وافناء قيس كان يعني تحمله مهام قومه . واضطلاعه بالمسؤولية الكبيرة التي كانت تفرضها عليه تبعاته من خلال التزامه الشعري . وهذا ما كان يدفعه الى ادانة (حنيفة) القبيلة التي كانت تشكل محور الصراع من قومه وكان ذكرها يقترن بعبارات التهديد والوعيد مثل عتابها بالرماح وغيرها (٢١) وفي الطرف الثاني من الصراع كانت تتردد اسماء قبيلته وبطونها مثل عقيل وكعب وخاصة عندما تشتد زحمة الصراع ، وتتعالى قعقعة السيوف ويحتدم اشتجار القنا . كما أنّ فخره بانتصار قومه كان يقترن ايضاً بتذكيره لخصومه وهم يتساقطون صرعى على النشاش بعد أن

---

(١٨) القطعة (٣١) ، (٣٢) . (١٩) القطعة رقم (٢٢) .

(٢٠) المؤتلف والمختلف /١٢٩ .

(٢١) تنظر القطع رقم (١) ، (٧) ، (٢٠) ، (٢٣) ، (٢٦) .

ضربوا ضرباً شديداً (٢٢) أو تركوا صرعى تتناهبهم القشاعم والذئاب ، وتتوزعهم السباع والضباع (٢٣) ، وكما كانت النشاش تذكره بمواقع الانتصار كانت (النقب) تثير في ذهنه صورة الاقتدار وهو يذكر بني حنيفة وما جرى لهم .

وتظل اسماء المواضع التي عرض لها أو وقف عندها تمثل الاشارة الجادة في تعلقه بأرضه وحبه لها وصلته بكل جزء من اجزائها . وكان الشاعر حريصاً على تحديد هذه المواقع وهذا ما جعل البلدانيين يستشهدون بشعره ، ويعتمدونه في تثبيت هذه المواقع وقد استشهد له ياقوت في معجم البلدان بابيات كثيرة ، فقد ذكر (الدم) (٢٤) وأضاخ (٢٥) وخبت (٢٦) والسيدان (٢٧) والأوق (٢٨) والخنوقة (٢٩) وفلج الافلاج (٣٠) وذي بقر (٣١) وكتمان (٣٢) والعقيق (٣٣) .

إن دفاع الشاعر عن قبيلته ، وانصرافه الى تسجيل مآثرها الزم شعره بظاهرة تميزه بالفاظ الحرب والسلاح فكان قاموسه مشحوناً بالفاظ الحرب فالرماح (٣٤) والحرب (٣٥) والصارم (٣٦) والسيوف (٣٧) والقنا (٣٨) والدروع (٣٩) والمغفر (٤٠) والشهيد (٤١) واللواء (٤٢) والطعن (٤٣)

---

(٢٢) القطعة رقم (١١) .
(٢٣) القطعة رقم (٢) ، (٥) .
(٢٤) القطعة رقم (٧) .
(٢٥) القطعة رقم (٧) .
(٢٦) القطعة رقم (٩) .
(٢٧) القطعة رقم (٩) .
(٢٨) القطعة رقم (٩) .
(٢٩) القطعة رقم (١٠) .
(٣٠) القطعة رقم (١٤) .
(٣١) القطعة رقم (١٥) .
(٣٢) القطعة رقم (١٦) .
(٣٣) القطعة رقم (١٨) .
(٣٤) القطعة (١) ، (١٢) ، (٢٦) .
(٣٥) القطعة (١) .
(٣٦) القطعة (١٢) ، (٣٢) .
(٣٧) القطعة (٥) ، (٣٣) ، (١٢) .
(٣٨) القطعة (١٤) .
(٣٩) القطعة (١٨) ، (٢٠) .
(٤٠) القطعة (١٨) .
(٤١) القطعة (١٩) .
(٤٢) القطعة (٤) .
(٤٣) القطعة (٤) .

والصرعى (٤٤) والسبايا (٤٥) والصنديد (٤٦) والاسنة (٤٧) . وغيرها من الألفاظ التي تمثل المعاني البارزة في قصائده .

اما غزله فعــلى الرغم من روح القتال ، وخوض غمرات الحــرب التي عاشت في شعره ، وارتسمت في مدلوله الفني ، واتسع حجمها في استخدامه فان ذلك لم يحل دون اظهار عاطفته التي كانت تشرق في ملاحة ابياته ، وحبّه الذي كان يترقرق في ظل شوقه ، واحاسيسه التي كانت تُراق على اطراف الفاظه ، وترش وجوه معانيه ، فيزهو في دلالتها الشوق اللامع ، ويزهو في خفقاتها حبّه الأصيل (٤٨) . فخرقاء التي جاوزت التسعين سنة لم تزدد إلا ملاحة في عيني القحيف ، لأنهــا أصبح من القبس ، ولأنها تظل تحمل رونق الصبا . وتعيش الوجه المشرق ، وتضفي على الحياة من روحها ما تجعلها رائعة في كل العيون . رضية في كل القلوب ، ولأن الشاعر ظل ينظر اليها من خلال نظراته القديمة فبقيت الصورة لاتتغير ، وظلت العيون الخالدة تفيض بمعاني الشباب الفتي ، والنضارة الزاهية ، وهذا ما جعلها غير مرتبطة بالزمن ، لانها تخرج عليه في هذا المنظار ، وتبتعد عن صروفه في هذه العيون . ولا تقع تحت تأثيره في دائرة الاحداث التي يقع تحت ضغطها الآخرون . وهذا ما اعطاها صورة الملاحة ، ثم تبدو لنا شخصية ثانية عندما يتحدث الى امرأة من عبس ، ولكن الاخبار لاتروي لنا بقية القصة بعد أن تنقطع ابيات القصيدة عند البيت الرابع . وتنتهي معها قصة الشاعر الذي جاور بني عبس . واقام عندهم شهراً وهام بالمرأة العبسية . والابيات الاربع يغلب عليها طابع الفتوة والفروسية وتتصاعد فيهــا عبارات الحرب والشجاعة ،

(٤٤) القطعة (٢) ، (١١) ، (٢٠) .
(٤٥) القطعة (٣) .
(٤٦) القطعة (١٢) ، (٣٤) .
(٤٧) القطعة (٣٢) .
(٤٨) القطعة (٦) .

وربما اتخذها الشاعر وسيلة للتعبير عن قدرته ، وكانت المرأة فيها شاهداً على فروسيته ، وفي القطعة (٢٥) يذكر ابو الفرج أن بعض الفقهاء نهى القحيف عندما شاهده وهو يحد النظر الى امرأة فنهناه عن ذلك وقال له : اما تتقي الله . ويعبر الشاعر من خلال ابياته التي يراد بها عن فلسفته التي وجد لها طريقاً في تلك الابيات (٤٩) .

ووقفنا على مقطع من قصيدة له في مدح حكيم بن المسيب القشيري . ومديحه يجاري فيه معاني المديح المتعارف عليها ، ولكن انقطاع الابيات وضياع القسم الآخر من القصيدة قطع الصورة التي عبر من خلالها الشاعر عن منهجه فيه (٥٠) .

ديوانه :

يشير صاحب الخزانة الى ديوان الشاعر بخط محمد بن حبيب (٥١) وكذلك تأتي الاشارة في شرح ابيات مغني اللبيب (٥٢) ويشير البكري في التنبيه وهو يذكر بيتاً له بانه ثابت في ديوان شعره (٥٣) ، ويبدو أن عوادي الايام قد اتت على الديوان فطمرته مع المجاميع الاخرى التي لم تظهر حتى يومنا هذا ، وهذا ما دفع المستشرق كرنكو الى ان ينبري لجمع شعر الشاعر الذي جمع له ثلاثاً وعشرين مقطوعةً ونشرها عام ١٩٣١ (٥٤) . ومثله صنع الأخ الاستاذ حمد الجاسر ، حفظه الله تعالى . وعلى الرغم من الفائدة الكبيرة التي قدمها نشر هذا الديوان إلا ان الطبعة جاءت خاليةً من التخريج والشرح والدراسة التي تعطي هذا الشاعر نصيبه . وقد استطعنا ان نضيف واحداً وعشرين بيتاً الى ماجمع

(٤٩) القطعة رقم (٢٥) .
(٥٠) القطعة رقم (٣٣) .
(٥١) الخزانة ٤/٢٥٠ .
(٥٢) شرح ابيات مغني اللبيب ٢/٣٩٣
(٥٣) التنبيه / ١٥٠ .
(٥٤) في مجلة :
The Journal the Royai - Asiatic Society.

الاستاذان الفاضلان مع محاولة دراسة شعر الشاعر وحياته من خلال تحليل الابيات وابراز الجوانب المتميزة في شعره ، ويبقى فضل السبق لهما .

إن عدد الابيات التي عثرنا عليها تؤكد مجموعة من الحقائق التي يمكن ان ننتهي اليها . منها ان الصفة العامة عليها صفة الأبيات المفردة والمقطعات التي تعني انها اجزاء من قصائد . كما ان مقدمة بعض القصائد تؤكد انها مقدمات لاغراض الزم الشاعر نفسه بها ، وان هذه المقدمات كانت مشحونة بالعواطف وهي بلا شك محاولات للوصول الى الاغراض الاخرى التي تؤدي الى الغرض الرئيس الذي اراده الشاعر . ولكن انقطاع الابيات المفاجيء يوحي بالضياع الذي أصاب القطعة (٥٦) ، وتتجدد هذه الظاهرة في القطعة رقم (٩) التي لم تبين الأيام منها غير ثلاثة ابيات وقف فيها الشاعر عند المواضع التي كان يطوف بها ، أو يحن اليها ، وقد تقدمته الحمول الروائح ، وتبقى مقدمات القصائد التي وقف الشاعر عندها دليلاً من ادلة ضياع شعر الشاعر بعد أن وجدناه يباشر الموضوع ، ويقدم له ثم تنقطع الابيات (٥٧) .

وشعر القحيف العقيلي الذي كتب عليه ان يظهر للمرة الثالثة وهو بهذه القلة فان اسباباً كثيرة تختفي وراء هذا الشعر الذي يظل يمثل النقطة الأولى في جمع شعره أو العثور على ديوانه الذي اكدّت النصوص وجوده الى زمن البغدادي (١٠٩٣) للهجرة . وندعو الله جلّت قدرته أن يوفق العاملين على احياء التراث . إنّه نعم الموفــق .

---

(٥٥) في مجلة العرب م١ ج٥ ١٩٦٧ .

(٥٦) تنظر المقطعات رقم (١) ، (٢) ، (٣) ، (٨) .

(٥٧) القطعة رقم (١٤) .

ما بقي من شعره

- ١ -

التخريج : الحماسة البصرية ١ / ٩ .

١ – لعمري لقـد أمْسَتْ حنيفةُ أيْقَنَتْ
بأنْ ليسَ إلاّ بالرمـاحِ عتابُها

٢ – فخلوا طريقَ الحربِ لاتعـرضـوا لها
إذا مضر الحمراء عبّ عبابُها

٣ – فياحبذا قـيس لدى كلّ موطـنٍ
تزايل هامَ القومِ فيه رقـابُـها

٤ – ومن ذا الذي لايَجْتَوي حربَ عامرٍ
أذا ما تلاقت كَعْبُـها وكِلابُها

٥ – لعمري لقـد ضاقَتْ دِمَشْقُ بأهلِها
غـداةَ رأوا قيساً ترفُّ عقابُها

- ٢ -

التخريج : الموشح ٣٤٥ (هامش الأصل) .

هم تركوا على النَّشَّاش صـرعى
أباحوهـا القـشاعـم والذئابا

- ٣ -

التخريج : معجم البلدان ٤ / ٢٨٥ ((فيشان) .

أتَنْسَوْنَ ياحَزْنانَ طَخْفَـةَ نِسوةً
تُرِكْنَ سبايا بينَ فَيْشانَ فالنَّقْبِ

– ٤ –

التخريج : الأغاني ٢٤ / ٨٩ . قال أبو الفرج : ويرُوي لنجدة الخفاجيّ .

١ – لقد مَنَعَ الفَرائضَ عن عُقَيْلٍ
بطَعْنٍ تحتَ ألْويةٍ وضَرْبِ

٢ – ترى منه المُصَدِّقَ يومَ وافَى
أطَلَّ على معاشِرِهِ بصَلْبِ

– ٥ –

التخريج :البيتان ١ . ٢ في معجم البلدان ٤ / ٢٧٢ (فلج) .
البيتان ١ . ٣ في هامش الموشح ٣٤٥ .
البيت الأول في معجم البلدان ٥ / ٢٨٦ (النشاش) .
الرابع في اللسان والتاج (مهل) .

١ – تركنا على النَّشَّاشِ بكرَ بنَ وائلٍ
وقد نهِلَتْ منها السيوفُ وعَلَّتِ

٢ – وبالفَلَجِ العادي قتلى إذا التقت
عليها ضباعُ الغيلِ باتت وظَلَّتِ

٣ – فقلنا على النَّشَّاش منا عصابةٌ
كِراماً وسمناها الهوانَ فذَلَّتِ

* * *

٤ – إذا ما الضباعُ الجِلَّةُ انتجعتهُمُ
نَما النَّيُّ في أصلائها فاتمَهَلَّتِ

– ٦ –

التخريج : الأغاني ٢٤ / ٨٥
قال أبو الفرج : كبرت خرقاء (صاحبة ذي الرمة) حتى جاوزت

تسعين سنة ، وأحبت أنْ تَنفِّقَ ابنتها وتُخطبَ . فأرسلت الى القحيف العقيلي ، وسألته أنْ يُشَبِّبَ بها ، فقال :

١ — لقد أرسلتْ خرقاءُ نحوي جَرِيَّها
لتجعلني خرقاءُ ممنْ أضلَّتِ

٢ — وخرقاءُ لاتزدادُ إلاّ مَلاحةً
ولو عُمِّرَتْ تعْميرَ نوحٍ وجلَّتِ

---

١ — جريها : رسولها .

— ٧ —

التخريج : معجم البلدان ٥ / ١٥٤ (معدن البرم) .

١ — فَمَنْ مُبْلغٌ عني قُرَيْشاً رسالةً
وأفناء قيس حيثُ سارَتْ وحلَّتِ

٢ — بأنّا تلاقينا حنيفة بعدما
أغارت على أهل الحمى ثم وَلَّتِ

٣ — لقد نزلت في مَعْدِنِ البُرْمِ نزلةً
فلأياً بلأيٍ من أُضاخَ استقلَّتِ

— ٨ —

التخريج : الحماسة الشجرية ١ / ٥٤٢ عدا الأول . الأبيات ١ ، ٥ ، ٢ ، ٤ ، في الزهرة ١ / ١١ . البيتان ١ ، ٥ في الأغاني ٢٤ / ٨٢ .

١ — خليليَّ ما صبري على الزَّفَراتِ
ما طاقتي بالشَّوْقِ والعبَراتِ

٢ – سَقَى ورَعَى اللهُ الأَوانسَ كالدُّمى
إذا قُمنَ جُنْحَ الليلِ مُبْتَهِراتِ

٣ – إذا مِسْنَ قُدَّامَ البيوتِ عَشِيَّةً
قِصارَ الخُطى يَرْفُلْنَ في الحَبَراتِ

٤ – دَعَوْنَ بحبَّاتِ القلوبِ فأَقْبَلَتْ
إليهنَّ بالأَهواءِ مُبْتَدِراتِ

٥ – تَقَطَّعُ نفسي كُلَّ يومٍ ولَيْلَةٍ
على إثرِ ماقد فاتني حَسَراتِ

---

١ – الأغاني : بالهم .
٢ – الزهرة : منبهرات .
٥ – الأغاني : تساقط نفسي ... فاتها .
الزهرة : ... من قدفاتها .

– ٩ –

التخريج : معجم البلدان ١ / ٢٨٢ (أوْق) .

١ – ألاليتَ شعري هل تَحِنَّنَّ ناقتي
بِخبتٍ وقُدّامي حُمُولٌ روائحُ

٢ – تَرَبَّعَتِ السيدان والأوْق إذهما
محلٌّ من الأضرامِ والعيشُ صالحُ

٣ – وما يَجْزَأُ السيدان في رَيِّقِ الضُّحَى
ولا الأَوْق إلاّ أَفْرَطُ العينِمائحُ

– ١٠ –

التخريج : البلدان ٢ / ٣٩٤ (الخنوقة) .

تَحَمَّلْنَ من بَطْنِ الخنوقةِ بَعْدَما
جَرَى للثريا بالأعاصيرِ بارحُ

- ١١ -

التخريج : مجلة العرب م ا ج ٥ ص ٤١٤ .

١ - فداء خالتي لبني عُقَيْلٍ
وكعبٍ حينَ تزدحمُ الجدودُ

٢ - هم تركوا على النَّشَّاشِ صرْعى
بضربٍ ثمَّ أهوَنُهُ شديدُ

- ١٢ -

التخريج : الأغاني ٢٤ / ٨٥ .

قال أبو الفرج : كان القحيف العقيلي يتحدث الى امرأة من عَبْس . قد جاورهم وأقام عندهم شهراً وهام بها عشقاً ، وكان يخبرها أنّ له نَعَماً ومالاً ، وهويته العَبْسيَّة ، وكان من أجمل الرجال وأشْطَهِم ، فلما طال عليها واستحيا من كذبه إياها في ماله ارتحلَ عنهم ، وقال :

١ - تقولُ لي أختُ عَبْسٍ ما أرى إبلاً
وأنت تزعم مَنْ والاك صِنْديدُ

٢ - فقلتُ يكفي مكانُ اللوم مُطَّرِدٌ
فيه القَتيرُ بسَمْرِ القَيْنِ مَشْدودُ

٣ - وشِكَّةٌ صاغَها وَفْراءُ كامِلَةٌ
وصارِمٌ من سيوف الهندِ مَقْدودُ

٤ - إنّي ليرعَى رجالٌ لي سوامَهُمُ
لي العقائل منها والمقاحيدُ

---

٢ - القتير : رؤوس المسامير . السمر : شد الشيء بالمسمار . القين : الحداد .
٤ - العقائل : جمع عقيلة ، وهي كرائم الابل . والمقاحيد : جمع مقحاد ، وهي الناقة العظيمة القحدة وهي السنام .

– ١٣ –

التخريج : طبقات فحول الشعراء ٧٩١ .

قال ابن سلاّم : كان القحيف خرج زائراً لابراهيم بن عاصم العقيليّ، فبعث الأشهبُ بن كليب العقيليّ الى ابراهيم بن عاصم رسولاً يخبره أنّ القحيف قد هجاه وأساء القول فيه . ليحرمه وليقصيه . ففعل . فقال القحيف :

١ – متى ما تُحِطْ خُبْراً بنا يا ابنَ عاصِمٍ
تَجِدْ لي رجالاً من بني العَمّ حُسَّدا

٢ – وما ذاكَ عن ذنبٍ إليهم جَنَيْتُهُ
سِوى أنّ لي ذكراً أغارَ وأنْجدا

١ – ابراهيم بن عاصم العقيلي : أحد قواد اسد بن عبدالله القسري . أخى خالد بن عبدالله القسري . والاشهب الذي ورد ذكره في مقدمة القصيدة هو الاشهب بن عبدالله بن كليب بن خفاجة بن عمرو بن عقيل من بني عم القحيف . ذكره الآمدي في المؤتلف والمختلف وهو شاعر (هامش طبقات ابن سلام / ٧٩١) .

– ١٤ –

التخريج . معجم البلدان ٤ / ٢٧١ (فلج) .

١ – بدأنا فقلنا أثأبَ البحرُ واكتَسَتْ
أسافلُه حتى ارْجَحَنّ وأوّدا

٢ – أمِ التينُ في قُرْبانِهِ تَمّ نَبْتُهُ
خَضيداً ولولا لينُهُ ما تَخَضّدا

٣ – أمِ النخلُ من وادي القُرى انحرفت له
يمانيّةٌ هَزّ القنا فتأوّدا

٤ — سقى فلجَ الأفلاجِ من كل قُمَّـة
ذهابٌ تُرَوِّيه دِماثاً وقُـودّا

٥ — به نجدُ الصيدَ الغريبَ ومنظراً
أنيقاً ورَخْصاتِ الأناملِ خُرَّدا

٣ — في الأصل : هن القنا . وهو تحريف .
٤ — في الأصل : من كل همة . وهو تحريف . قال ياقوت : ويروى : سقى الفلج العاديّ .

— ١٥ —

التخريج : معجم البلدان ١ / ٤٧١ (بقر)

١ — فيا عجباً مني ومن طارقِ الكَرَى
إذا مَنَعَ العينَ الرقادَ وسَهَّدا

٢ — ومن عبرة جاءت شآبيبَ إنْ بدا
بذي بَقَرٍ آياتُ ربعٍ تأبَّدا

— ١٦ —

التخريج : معجم البلدان ٤ / ٤٣٦ (كتمان) .

١ — نظرتُ خلالَ الشمسِ من مشرقِ الضحى
ووافيتُ من كُتْمانَ ركناً عَطَوَّدا

٢ — بعينين لم تستكرها يومَ غُبْرةٍ
ولم تهبطا جوفَ العراقِ فترمدا

٣ — الى ظُعُنٍ للمالكياتِ بالضُّحى
فيالك مرأى ما أشاقَ وأبعدا

— ١٧ —

التخريج : الأزمنة والأمكنة ٢ / ٢٣ .

ولا استقبلت بينَ جبالٍ بم واسبيذ لهاجره أوار

- ١٨ -

التخريج : معجم البلدان ٤ / ١٣٩ (العقيق) .

١ - أأمَّ ابنِ ادريسٍ ألَمْ يأتِكِ الذي
صبَحْنا ابنَ ادريس بـه فتقطَّرا

٢ - فليتكِ تحت الخافقين تريْنَهُ
وقد جُعلت درعاً عليها ومِغْفَرا

٣ - يريدُ العقيقَ ابنُ المُهَيْرِ ورهطُهُ
ودونَ العقيقِ الموتُ ورداً وأحمرا

٤ - وكيفَ تريدون العقيقَ ودونَهُ
بنو المحصناتِ اللابساتِ السَّنَوَّرا

- ١٩ -

التخريج : أسماء المغتالين ٢٤٨ . الأغاني ٨ / ١٨٢ .

قال يرثي يزيد بن الطثرية :

١ - إنْ تقتلوا منّا شهيداً صابرا

٢ - فقد قتَلْنا منكم مجازرا

٣ - عشرين لمّا يدخلوا المقابرا

٤ - قتلى أصيبتْ قُعُصاً نحائرا

٥ - نُفُجاً ترى أرجُلَها شواغرا

---

٢ - الأغاني : فقد تركنا .
٤ - القعص : القتل السريع .
٥ - نفجاً : من الانتفاج ، وهو الارتفاع . شواغر : مرفوعات .

- ٢٠ -

التخريج : الأبيات ١ - ٦ ، ٩ - ١٥ في الأغاني ٢٤ / ٨٧ - ٨٨ .
الأبيات ٤ - ٨ في طبقات فحول الشعراء ٧٩٧ .
الأبيات ١ ، ٢ ، ١٦ ، ١٧ في معجم البلدان ٥ / ١١٨ (مريع) .
البيتان ١ ٣ في معجم الشعراء ٢١١ .
الخامس في شرح مايقع فيه التصحيف ٣٨٣ .
السادس في اللسان (رجع) .
السابع بلا عزو في اللسان (سمن) .
الثامن في اللسان (حدرج) .
السابع عشر في معجم البلدان ٣ / ٣٤٢ (شسعى) .

١ - أَمِنْ أهلِ الأراكِ عَفَتْ رُبُوعُ
نَعَمْ سَقْياً لهم لو تستطيعُ

٢ - زيارتَهم ولكن أحْضَرَتْنا
همومٌ ما يزالُ لها مُشيعُ

٣ - كأنَّ البَيْنَ جَرَّعني زُعافاً
من الحيَّاتِ مَطْعَمُهُ فظيعُ

٤ - وماءٍ قد وردتُ على جَبَاهُ
حَمامٌ حائمٌ وقَطاً وُقوعُ

٥ - جعلتُ عِمامتي صِلةً لدَلْوي
إليه حينَ لم تَرِدِ النُسوعُ

٦ - لأسقيَ فِتْيةً ومُنقَّباتٍ
أضرَّ بنِقْيِها سَفَرٌ وَجيعُ

٧ - ركبناها سَمانَتَها فلما
بدَتْ منها السَّناسِنُ والضُّلوعُ

٨ – صَبَحناها السِّياطَ مُحَدْرَجاتٍ
فَعَزَّتْها الضليعةُ والضليعُ

٩ – لقد جَمَعَ المُهَيْرُ لنا فقُلنا
أتحسَبُنا تروِّعُنا الجمُوعُ

١٠– ستَرْهَبُنا حَنيفةُ أنْ رأتنا
وفي أيمانِنا البِيضُ اللَّموعُ

١١– عُقَيلٌ تَغْتَزي وبنو قُشَيْرٍ
تَوارَى عن سواعِدها الدُّرُوعُ

١٢– وجَعْدةُ والحريشُ لُيوثُ غابٍ
لهم في كلِّ مَعْرَكةٍ صريعُ

١٣ – فنِعْمَ القومُ في اللَّزَباتِ قومي
بنو كَعْبٍ إذا جَحَدَ الرَّبيعُ

١٤– كُهولٌ مَعْقِلُ الطَّرْداءِ فيهم
وفتيانٌ غَطارِفةٌ فُروعُ

---

٤ – الجبى : الماء المجموع في الحوض للابل . وفي طبقات ابن سلام : وماء قد يظل .

٥ – النسوع : جمع نسع . وهو سير مضفور يجعل زماماً للبعير . وفي طبقات ابن سلام : لتبلغ اذ تقاصرت النسوع .

٦ – منقبات : رقيقة الاخفاف . النقي : مخ العظام . وفي طبقات ابن سلام : ومنفهات ... أنىر بنيّها . وفي اللسان : ومنفهات ... رجيع .

٧ – السناسن : حروف فقار الظهر ، او رؤوس اطراف عظام الصدر .

٨ – محدرجة : مفتولة . يقال : حدرج السوط أي فتله واحكمه حتى استوى وصار املس . وعزتها : غلبتها . الضليعة والضليع : القوي الشديد الاضلاع الواسع الجنبين .

١١– تغتزي : تقصد .   ١٣– اللزبات : الشدائد .

١٥ـ فمهلاً يا مُهَيْرُ فأنتَ عبدٌ
لكعبٍ سامعٌ لهمُ مُطيعُ

* * *

١٦ـ خليلٌ وامقٌ شفق عليها
له منها ابنُ أربعةٍ رضيعُ
١٧ـ مَرِيعٌ منهمُ وطنٌ فشِسْعَى
بعيدٌ مَنْ له وَطَنٌ مَرِيعُ

ـ ٢١ ـ

التخريج : تهذيب اللغة ١٣ / ٢١٩ ، اللسان والتاج (زلم) .

تبيتُ مع الأزلامِ في رأسِ حالقٍ
وترتادُ مالم تَحْتَرِزْهُ المخاوفُ

ـ ٢٢ ـ

التخريج : أسماء المغتالين ٢٤٨ ، الأغاني ٨ / ١٨٢ .

قال يرثي ابن الطثرية :

١ ـ ياعينُ بكّي هَمَلاً على هَمَلْ
٢ ـ على يزيد ويزيد بن جَمَلْ
٣ ـ قتال أبطالٍ وحَوْلَهُ حِلَلْ

ـ ٢٣ ـ

التخريج : الأبيات عدا السادس والسابع في طبقات فحول الشعراء ٧٩٢ ـ ٧٩٦ .

١٧ـ مريع وشسعى : موضعان .
٢ ـ الأغاني : حمل ، بالحاء المهملة .
٣ ـ الأغاني : جَرّار حلَلْ . والحلل : جمع حِلة ، بالكسر ، وهم القوم النزول ، وفيهم كثرة .

الأبيات ٦ – ٨ في البرصان والعرجان ٢٦٩ . الأبيات ٨ ، ١٠ ، ١٢ في الأغاني ٢٤ / ٨٩ . الأبيات ١٠ ، ١١ ، ١٥ في الاقتضاب ٢٥٥/٣ . الأبيات ١٥ – ١٧ في معجم البلدان ٤ / ١٢٥ البيتان ٨ ، ١٤ في اللسان (قوا) . الأول في التمام ١١٨ . البيت ١١ في أدب الكاتب ٣١٨ وشرح ما يقع فيه التصحيف والتحريف ٣٨٣ وشرح أدب الكاتب ٣٠٠ . البيت ٢٣ في العمدة ٢ / ٤٧ . البيت ٢٤ في معجم الشعراء ٢١١ . عجز البيت ١٣ في الصناعتين ٣٣٦ ه

وقال في يوم الفَلَج . حين جاءهم صريخ بني كعب بن ربيعة على بني عِجل :

١ – ديارُ الحيِّ تَضْرِبُها الطِّلالُ
من الخافي بها أهلٌ ومالُ

٢ – وأجْذَمَ ذَبُّها عَوْداً وبَدْءاً
بدَفَّيْه تَعَبْقَرَتِ السِّخالُ

٣ – بها الفُدْرُ الرِّيادُ وكلُّ هِقْلٍ
كبيتِ الرُّفْقَةِ احترقوا فقالوا

٤ – أما ومُعَلِّمِ التوراةِ موسى
ومَنْ صلَّى وصامَ له بِلالُ

١ – الطلال : جمع طل ، وهو مطر صغار القطر . الخافي : الجن ، وارض خافية : بها جنٌ .

٢ – اجذم : اسرع . الذب : الثور الوحشي . تعبقرت : جنت ، اي صارت كأنها في ارض عبقر ، وهي ارض الجن . والسخال : جمع سخلة ، وهي ولد الشاة . والدف : صفحة الجنب .

٣ – الفدر ، من الوعول : المسن منها او الشاب التام . الرياد : من راد يرود ، اذا جاء وذهب لم يطمئن ولم يستقر . الهقل : الظليم (ذكر النعام) . احترقوا : من شدة حر الشمس . قالوا : من القيلولة .

٤ – بلال : هو ابن رباح الحبشي ، مؤذن الرسول (ص) .

٥ - لقد كانَتْ تَوَدُّكَ أُمُّ عَمْرٍو
بذاتِ الصَّدْرِ إذْ نُسِيَ الخِـــلالُ

* * *

٦ وبَيْض يجعلونَ الهـامَ فـيـهـا
إذا ابيضَّتْ من الخلـل النِّصـالُ

٧ - ولمّا أنْ دَعَوْا كعبـاً وقـالـوا
نَـزَالِ وعـادةٌ لهُـمُ نـزالِ

٨ - أتـانـا بـالعقيقِ صـريخُ كَعْبٍ
فَحَنَّ النَّبْعُ والأَسَـلُ النِّـهالُ

٩ - ثلاثـاً ثُـمَّ وَجَّهْنـا إلَيْهِمْ
رَحىً للموتِ ليس لهـا ثِفـــالُ

١٠- وحالَفْنا السيوفَ وصـافِنـات
سـواءٌ هُـنَّ فينـا والعيـــالُ

---

٥ - ذات الصدر : اسم مكان على الأغلب . الخلال : المصادقة .
٦ - البيض : جمع بيضة وهي الخوذة التي توضع على الرأس . الخلل : منفرج ما بين الصفوف في الحرب . النصال : جمع نصل ، وهو حديدة السيف او السهم .
٧ - في البيت اقواء .
٨ - العقيق : عقيق اليمامة ، وهو واد واسع ، وهو لبني عقيل . الصريخ : المستغيث . النبع : شجر من اشجار الجبال تتخذ منه القسي . الأسل : نبات له اغصان كثيرة دقاق بلا ورق ، محددة الأطراف معتدلة ، وسميت الرماح أسلاً على التشبيه به . والنهال : المتعطشة الى الدم ، فاذا شربت منه رويت .
٩ - ثلاثاً : أي ثلاث ليال . الثفال : جلد يبسط تحت رحى اليد ليقي الطحين من التراب .
١٠- الصافنات : الجياد . وصفنت الفرس : اذا قامت على ثلاث . وفي الأغاني : ومضمرات .

١١- بنـاتُ بناتِ أعْوَجَ طامِحاتٍ
مـدى الأبصارِ جِلَّتُها الفِحالُ

١٢- شعيرٌ زادُها وفتيتُ قَتٍّ
ومن مـاءِ الحديدِ لها نِعالُ

١٣- وكَرْدَسَتِ الحريشُ فعارضُونا
بخَيْلٍ في فوارِسِها اخْتِيالُ

١٤- وسالت من أباطِحِها قُشَيْرٌ
بمِثْلِ أتِيٍّ بِيشَةَ حين سَالُوا

١٥- نقودُ الخيلَ كُلَّ أشَقَّ نَهْدٍ
وكلِّ طِمِرَّةٍ فيها اعتدالُ

١٦- تكادُ الجِنُّ بالغَدَواتِ منَّا
إذا اصْطَفَّتْ كتائِبُنا تُهالُ

١١- اعوج : فرس عتيق . وطمح ببصره الى الشيء : ارتفع . ومدى البصر : منتهاه . جلة : جمع جليل : وهو المسن . وفي ادب الكاتب وشرحيه : ملجمات .... عليتها الفحال .

١٢- القت : اجود علف الخيل . ماء الحديد : اي الحديد نفسه اذيب ثم سبك . ورواية الأغاني :
تعادى شزّباً مثلَ السعالي ومن زبر الحديد لها نعال

١٣- كردس القائد خيله : جعلها كتيبة كتيبة . والحريش : من بطون بني كعب بن ربيعة . الاختيال : الزهو والتيه . وفي الصناعتين : من فوارسها .

١٤- الاباطح : جمع ابطح . وهو بطن الوادي ومسيل مائه . وبيشة : واد . الأتي : السيل . ورواية اللسان :
وجاءت من اباطحها قريش كسيل اتي بيشة حين سالا

١٥- اشق : طويل . نهد : جسيم قوي . طمر : طويل القوائم خفيف . وفي الاقتضاب : نعوذ .

١٦- تهال : تفزع من شدة الهول . وفي معجم البلدان : اذا صفت كتائبها .

١٧- فَبِتْنَ على العُسَيْلَةِ مُمْسِكاتٍ
لَهُنَّ غُدَيَّةٌ رَهَجٌ جُفالُ

١٨- فلمّا شَقَّ أبْيَضُ ذو حَواشٍ
لـه حالٌ وللظلماءِ حـالُ

١٩- صبحناهُمْ نواصِيَهُن شُعْثاً
بِهِنَّ حرارةٌ وبنـا اغْتِلالُ

٢٠- فلمّا جُحْدِلَتْ مِئتانِ منهم
وَفرَّ حنانُهُمْ عنهم فزالوا

٢١- وصاروا بينَ مُمْتَنٍّ عليهِ
ومنصوبٍ لـه جِذْعٌ طُوالُ

٢٢- تُكَفِّنُهُمْ حَنيفَةُ بعد حَوْلٍ
وكيفَ يُكَفِّنُونَ وقد أحالوا

٢٣- أمِنْكُمْ ياحنيفَ نَعَمْ لَعَمْري
لِحيٍّ مَخْضوبَةٌ ودَمٌ سِجالُ

٢٤- ولولا الرِّيحُ أسْمَعَ أهْلَ حَجْرٍ
صِياحَ البَيْضِ تَقْرَعُها النِّصالُ

٢٥- كأنَّ الخيلَ طالِعَةً عليهم
بِفُرْسانِ الصَّباحِ قَطاً رِعالُ

١٧- العسيلة : ماء في جبل قنان . الرهج : الغبار . وعجز البيت في معجم البلدان : بهن حرارة وبها اغتلال .
١٨- ابيض ذو حواش : اي الفجر . وشق الفجر : طلع .
١٩- النواصي : جمع ناصية ، وهي منبت الشعر في مقدم الراس . والشعث : المتفرقة الشعر . الاغتلال : من الغليل والغلة ، وهو حرارة الجوف من العداوة والغيظ والشوق وغيرها .
٢٠- جحدلت : صرعت . الحنان : اراد رئيس القوم الذي يلوذون به .
٢٢- أحال : حال عليه الحول ، اي اتت عليه سنة كاملة .

٢٣ـ سجال : جمع سجل ، وهو الدلو العظيمة . وسجل الماء سجلاً : صبه صباً .
٢٤ـ حجر : مدينة اليمامة .
٢٥ـ الرعال : جمع رعيل ورعلة ، وهي القطعة المقدمة من الخيل .

ـ ٢٤ ـ

التخريج : المكاثرة عند المذاكرة ٥٧ .

قال في يوم النَّشَّاش :

١ ـ وبالنشاش يومٌ طارَفيـــــه
لنـــا ذِكرٌ وعُـــدٌ لنـــا فَعَـــالُ

٢ ـ كأنَّ الأَيْمَنَيْنِ بنـي نُمَيْـــرٍ
وإيـانـا وقـد حَسِرَ الـقـتـــالُ

٣ ـ سَحـابةُ صَيِّفٍ للبَرْقِ فـيـهـا
زَفيفٌ لـيـلـةَ اختبأَ الهـلالُ

ـ ٢٥ ـ

التخريج : الأبيات ١ ، ٢ ، ٤ ـ ٩ بلا عزو في أمالي القالي ٢ / ١٢٤ وزهر الآداب ١٠٥٧ .

وأكد نسبتها الى القحيف البكري في التنبيه واللآلى إذ قال : (هذا الشعر أشهر بالنسبة الى القحيف العقيلي من أنْ يرتاب به مرتابٌ أو يشك فيه شاكٌ) .

الأبيات ٢ ـ ٧ في الأغاني ٢٤ / ٨٩ ـ ٩٠ .

الأبيات ١ . ٢ . ١٠ . ١١ في التنبيه على أوهام أبي علي في أماليه ١٠٥ .

الأبيات ١ . ١٠ . ١١ في اللآلى ٧٥١ .

قال أبو الفرج : نظر بعض فقهاء أهل مكة الى القُحيف . وهو يحدُّ النظر الى امرأة . فنهاه عن ذلك ، وقال له : أما تتقي الله ؟ تنظر هذا النظر الى غير حُرمةٍ لك وأنت محرم ؟ فقال القحيف :

١ ـ أعينَيَّ مَهْلاً طالما لم أقُلْ مَهْلا
وما سَرَفاً م الآنَ قلتُ ولاجَهْلا

٢ ـ وإنَّ صبا ابنِ الأربعينَ سفاهةٌ
فكيف مع اللائي مُثِلْتُ بها مَثْلا

٣ ـ عواكِفَ بالبيتِ الحرامِ ورُبَّما
رأيتَ عيونَ القوم من نحوها نُجْلا

٤ ـ يقولُ لي المفتي وهُنَّ عَشيَّةً
بمكّةَ يَسْحَبْنَ المُهَدَّبَةَ السُّحْلا

٥ ـ تَقِ اللهَ لاتنظرْ إليهنَّ يافتى
وما خِلْتُني في الحجِ مُلْتَمِساً وَصْلا

٦ ـ ووالله لا أنسى وإنْ شَطَّتِ النَّوى
عرانينَهُنَّ الشُّمَّ والأعينَ النُّجْلا

٧ ـ ولاالمِسْكَ من اعرافِهِنَّ ولاالبُرى
جواعِلَ في أوساطِها قَصَباً خَدْلا

٨ ـ خليليَّ لولا اللهُ ماقلتُ مَرْحَبا
لأوّلِ شَيْباتٍ طَلَعْنَ ولا أهْلا

٩ ـ خليليَّ إنّ الشيبَ داءٌ كَرِهْتُهُ
فما أحسنَ المرعى وما أقْبَحَ المحلا

* * *

١٠ ـ ومن أعجب الدنيا إليَّ زُجاجةٌ
تَظَلُّ أيادي المنتشِينَ بها فُتْلا

١١ ـ يَصُبّونَ فيها من كُرومٍ سُلافةً
يروحُ الفتى عنها كأنّ به خَبْلا

١ ــ زهر الآداب : خليلي مهلاً ...
٢ ــ الأغاني : لسنيَّة بدل سفاهة . مثلن بنا مثلا .
زهر الآداب : اللات بدل اللائي . ومثل بالرجل : نكل به .
٤ ــ الأغاني : يلمحن . والمهدبة السحل : الثياب البيض الرقيقة ذات الاهداب.
٥ ــ زهر الآداب : بالحج .
٦ ــ الأغاني : اقسمت لا انسى . زهر الآداب : فوالله .
٧ ــ الأغاني : أعطافهن ... ضممن وقد لوَّينها قضباً خدْلا .
والبرى : جمع برة ، وهي الحلقة من خلخال او سوار . والخدل من النساء : الغليظة الساق ، ويقال : مخلخلها خدل اي ضخم .
٨ ــ زهر الآداب : ... لا والله .
١٠ــ قال القالي : وهذا البيت شاهد على أنَّ اليد العضو تجمع أياديَ .

ــ ٢٦ ــ

التخريج : النوادر في اللغة ٢٠٨ . الأول والثاني في اللسان (رعل) وخزانة الأدب ٢ / ٣٤١ . والخامس بلا عزو في المعاني الكبير ١٠٩٥ .

١ ــ أتعرِفُ أم لارَسْمَ دارٍ مُعَطّلا
من العام يمحاهُ ومن عام أوَّلا

٢ ــ قطارٌ وتاراتٍ خَريقٌ كأنّها
مُضِلَّةُ بَوٍّ في رَعيلٍ تَعَجّلا

٣ ــ ولو أنكرتْ ضَيْماً حنيفةُ حَلَّقَتْ
بها المُغرِبُ العَنْقاءُ حَوْلاً مُكَمَّلا

٤ ــ وفي الصَّحْصَحيّينَ الذينَ تَرَحَّلوا
كواعِبُ مِن بَكْرٍ تُسامُ وتُحْبَلا

٥ ــ أُخِذْنَ اغتصاباً خِطْبَةً عَجْرَفيَّةً
وأُمْهِرْنَ أرْماحاً من الخطِّ ذُبَّلا

---

١ ــ اللسان والخزانة : يغشاه .
٢ ــ اللسان : حريق ، بالحاء المهملة . ومضلة ، بفتح الميم والضاد .

- ٢٧ -

التخريج : نضرة الاغريض ٦٠ .

حياً وحياةٌ ما تَضُرُّ جنـــــودُهُ

بريـــئاً وتختصُّ الأثيمَ المُعَتَّـــلا

- ٢٨ -

التخريج : أدب الخواص ١١٣ .

١ - على كل ذَيَّالٍ أطارَ نَسيلَهُ

عُبابُ الحيا والخِصْبُ حتى تَفَسَّلا

٢ - رَعى للروضَ والقُريانَ حتى إذا رأى

نَصالَ السَّفا من حيثُ رُكِّبْن نُصَّلا

- ٢٩ -

التخريج : الأمثال (لمؤرج) ٤٩ . الثاني بلا عزو في كتاب سيبويه ٢ / ١٩٦ وهو برواية اخرى في اللسان (خنث) .

١ - عـــاشَتْ في العَتيقِ بنوقُشَيْرٍ

كَعيشِ جَعَارٍ في أخرى الرُّخالِ

٢ - خَنَاثَى يأكلونَ التمـــرَ لَيْسُوا

بزوجاتٍ يَلِدْنَ ولا رِجـــــالِ

- ٣٠ -

التخريج : مجلة العرب م ١ ج ٦ ص ٥٥٣ .

فلولا السَّرِيُّ الهاشميُّ وسيفُـــهُ

أعـادَ عُبَيْدُ الله يومـاً على عُكْلِ

- ٣١ -

التخريج : المؤتلف والمختلف ١٢٩ ، اللسان (غشم) ، التذكرة السعدية ١٨٥

١ – لقد لَقِيَتْ أفناءُ بكر بن وائلٍ
وهِزَّانُ بالبطْحاءِ ضَرْباً غَشَمْشَما

٢ – إذا ما غَضِبنا غَضبةً مُضَرِيَّةً
هتكنا حِجابَ الشمسِ أو قَطَرَتْ دما

– ٣٢ –

التخريج : معجم البلدان ٤ / ٢٧١ (فلج) .

١ – سلوا فَلَجَ الأفلاجِ عنّا وعنكم
وأكْمَةَ إذْ سالتْ سراراتُها دما

٢ – عشيَّةَ لو شئنا سَبَيْنا نساءَكُم
ولكنْ صَفَحْنا عِزَّةً وتكرُّما

٣ – عشيَّةَ جاءت من عُقَيْلٍ عِصابةٌ
تقدَّمَ من أبطالِها مَنْ تقدَّما

– ٣٣ –

التخريج : مجلة العرب م ١ ج ٦ ص ٥٥٧ .

١ – فإنْ تضربونا بالسياطِ فإنّنا
ضربناكم بالمرهفاتِ الصوارِمِ

٢ – وإنْ تحلقوا منا الرؤوس فإنّنا
قطعنا رؤوساً منكم بالغلاصِمِ

– ٣٤ –

التخريج : خزانة الأدب ٤ / ٢٤٧ – ٢٤٩ شرح أبيات مغني اللبيب ٣/٢٣١ و٢ / ٣٩١ . البيتان ١ ، ٢ في مجاز القرآن ٢ / ٨٤ ونوادر أبي زيد ١٧٦

١ – الغشمشم : الكثير الظلم .
٢ – قال الآمدي : أخذ هذا البيت بشار فادخله في قصيدته .

والاقتضاب ٣ / ٣٤١ واللسان (رضي) والمقاصد النحوية ٣ / ٢٨٢ وشرح شواهد المغني ٤١٦ . . . .

الأول في الكامل ٥٣٨ و ٨٢٤ والمقتضب ٢ / ٣٢٠ وجمهرة اللغة ٣ / ٤٩١ والمحتسب ١ / ٥٢ والخصائص ٢ / ٣١١ والاقتضاب ٢ / ٢٦٦ والانصاف ٦٣٠ وشرح المفصل ١ / ١٢٠ وهمع الهوامع ٢ / ٢٨ والدرر اللوامع ٢ / ٢٢ . . . . وينظر : معجم شواهد العربية ٤١٥ .

الرابع في مغني اللبيب ١١٧ وهمع الهوامع ١ / ١٢٧ والدرر اللوامع ١ / ١٠١ . . . . وينظر معجم شواهد العربية ٤١٦ ومعجم شواهد النحو الشعرية ٦٨٦ .

قال يمدح حكيم بن بن المسيب القشيري :

١ – إذا رَضِيَتْ عليَّ بنو قُشَيْرٍ
لعَمْرُ اللهِ أَعْجَبَني رضاها

٢ – ولا تنبو سيوفُ بني قُشَيرٍ
ولاتمضي الأَسِنَّةُ في صفاها

* * *

٣ – تَنَضَّيْتُ القِلاصَ الى حكيمٍ
خوارجَ من تَبالةَ او مَناها

٤ – فما رَجَعَتْ بخائبةٍ رِكابٌ
حَكيمُ بنُ المُسَيَّبِ مُنْتهاها

١ – هو من شواهد النحو المشهورة على انّ (على) بمعنى (عن) .

٢ – يريد ان سيوفهم قاطعة لا تنبو عن شيء ، وأسنة غيرهم لا تؤثر فيهم فانهم كالصخرة الملساء ، وهي الصفا .

٣ – تنضيت : يقال : انضى فلان بعيره ، أي هزَله . القلاص : جمع قلوص ، وهي الناقة الشابة . تبالة : بلدة باليمن . مناها : اي من مكان قريب منها .

٤ – هو من شواهد النحو على أن الباء قد زيدت في الحال المنفية .

- ٣٥ -

التخريج : الأغاني ٨ / ١٨١ . وفيات الأعيان ٦ / ٣٧٤ . مختار الأغاني ٨ / ٣٤٥ . الأول والثالث في معجم الشعراء ٢١١ .

قال يرثي يزيد بن الطثرية :

١ - ألا تبكي سَراةُ بني قُشَيْــرٍ
على صِنْــدِيــدِهــا وعلى فَتَاهــا

٢ - فإنْ يُقْتَــلْ يزيدُ فقد قَتَلْنــا
سراتَهُمُ الكهــول على لحــاهــا

٣ - أبا المكشوحِ بَعْدَكَ مَنْ يُحامي
ومَنْ يُزجــي المطــيَّ على وَجَــاهــا

- ٣٦ -

التخريج : الأمثال (لأبي عكرمة) ٢٥ . الأول بلا عزو في الزاهر ١ / ١٥٧.

١ - ومختبطٍ بَيَّتُّ إذْ جاء طارقــاً
وأحسنتُ مثــواه وأسررتُ مــايَهْوَى

٢ - فباتَ دَفِيــاً طاعِماً غيرَ مُوءَب
الى أنْ غدا مُرْغَى وأعلنتُ مايُرْوَى

* ★ *

مجلـــة
المجمع العلمــي العراقي

انشئت سنة ١٣٦٩ هـ / ١٩٥٠ م

تصدر اربعة اجزاء في السنة

سعر النسخة دينار ونصف
وتضاف اليها اجرة البريــد

★ ★ ★

توجه الرسائل والبحوث الى الامين العام للمجمع

- البحوث والمصطلحات التي ينشرها الكتاب في هذه المجلة تعبر عن آرائهم الشخصية .
- البحوث والمقالات التي لا تنشر ، لا ترد الى اصحابها .

(العنوان : بغداد / الوزيرية / ص.ب. ٤٠٢٣)

رقم الايداع في المكتبة الوطنية ببغــداد ١٦٧٦ لســنة ١٩٨٦

الفهرس

JOURNAL
of the
IRAQ ACADEMY



VOLUME 37

Part (3)

PUBLISHED BY

THE IRAQ ACADEMY

BAGHDAD

1 9 8 6